

غلام أصغر البجنوري

المستبصرون

الجزء الأول



المُتَّبِعُونَ



غلام اصغر جنوري

المستبصرون

الجزء الأول

دار الفنون
بسمات - لاهور

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م



ISBN: 9789953545073

دار الصفا للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت - بئر العبد - خلف محطة دباب - ص.ب، 25/91 الفبيري

فاكس، 00 29 55 (+9611) - هاتف، 42 49 27 (+9611) - 49 01 80 03

E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

الإهداء

إلى المستبصرين . .
إلى الذين تركوا مذاهبهم المختلفة ، وتمسكوا بمذهب أهل
البيت عليهم السلام . . .
إلى الذين فازوا ونجوا بركوبهم في سفينة أهل بيت العصمة ،
وتحملوا ما تحملوه من معاناة قابلوها بصبر عظيم ليكونوا بجوار أهل
البيت عليهم السلام ، في جنات الخلد . . .
إلى الذين أحبوا أهل البيت عليهم السلام ، وحشروا معهم . . .
إليهم جميعاً أهدي كتابي هذا راجياً مشاركتهم في الأجر
والثواب . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، باعث الأنبياء والمرسلين لهداية الناس
أجمعين ، والضلالة والسلام على صاحب الشريعة ، ومنقلد البشرية من
العمامة والضلالة ، محمد المصطفى ، وعلى آله المعصومين ، أنوار
أبصار المستبصرين ، وصحبه المتتبعين الميامين .

يقول العبد المفتقر إلى رحمة ربه ، الراجي توفيقه ، « غلام
أصغر بن المغفور له غلام حسين البجنوري » :

إن الكتاب « المستبصرون » هو مجموعة تراجم العلماء والمثقفين
الذين اختاروا طريق الحق المتمثل في مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ومنذ
فترة كانت أمنيته أن أجمع تلك التراجم في كتاب مستقل ، والحمد لله
تحققت الأمنية في الجملة ، وأسأل الله تعالى أن يوفقني لاستمرارية هذا
العمل ، كي أحصل على عدد أكثر فأكثر إن شاء الله ، اللهم تقبل منا
بأحسن قبولك ، بحق محمد وآله الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين .

مقدمة

لا يخفى على من له صلة بالتاريخ ، أن الإسلام تعرض منذ بزوغ فجره ، لهجمات شرسة من قبل أعدائه ، فالحروب والغزوات التي خاضها النبي ﷺ ووصيه بالحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، كلها كانت نتيجة لعداوة لله ورسوله ، ومن بعده ﷺ ، واجه أمير المؤمنين وأصحابه ، التحذيرات التي تعرض لها الدين الحنيف ، ثم أبناء المعصومون عليه السلام ، وأصحابهم المخلصون ، ومن بعدهم العلماء الفقهاء العاملون الصالحون ، الذين هم ورثة الأنبياء ، وتحملوا الكثير من المآسي والنكبات ، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ .

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : « إن أشد الناس بلاء النبیین ، ثم الوصیون ، ثم الأمثل فالأمثل » . وعن الإمام الباقر عليه السلام : « إن الله تعالى ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية » .

ولا يزال الإسلام يستهدف بتلك الهجمات من قبل أعدائه في أنحاء العالم ، ولكن الله سبحانه وتعالى خلق ويخلق في كل زمان ومكان ، أعوانه وأنصاره ، الذين واجهوا ويواجهون تلك الهجمات ، بكل ثبات وقوة ، وهم قَدَمُوا ويقدمون أموالهم ودماءهم ، رخيصة في سبيله . فلا عجب ولا استغراب ، من تعرض الكفار والملحدين للإسلام ، لأنه أمر متوقع ، ولكن العجب كل العجب من الذين يدعون الإسلام ، ويسمون لتحطيم بنيته ، والقضاء على قادته ١ .

وهنا لست بصدد بيان تفاصيله ، لأن كتب التاريخ والسير متكفلة بذلك ، ولكن أحب أن أشير إلى بعض المظالم التي نكب بها الإسلام ، وأتمته من قبل الذين يدعونه ، فانظروا إلى الذين غصبوا حق فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، فدك وكسروا ضلعها ، إلى ما هنالك من المصائب التي تحمّلتها ، سلام الله عليها ، حتى قالت :

« صُبْتُ عَلَى مَصَائِبَ لِرَأْسِهَا صُبْتُ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لِجَالِبِهَا »

فعلى أهل الحق والإنصاف ، أن يرجعوا إلى تفاصيل ما جرى بينها وبين من ظلمها في كتب التاريخ ، والتلميح يُغني عن التصريح .

ومن تصفح كتب التاريخ والسير ، بعين الناقد البصير ، شهد المعاناة العظيمة ، والآلام الكبيرة التي قاساها وصّى رسول الله الذي كان منزله بمنزلة هارون من موسى « وورد عنه عليه السلام أيضاً في شأنه عليه السلام » « عليّ مع الحق ، والحق مع عليّ » ، وقوله عليه السلام « عليّ مع القرآن ، والقرآن مع عليّ » ، وقوله عليه السلام : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه » يوم الغدير وتفاصيله موجودة في كتب الفريقين .

ويجب أن لا ننسى أساليب معاوية التي استعملها ، وتوسل بها ،

بسبب أمير المؤمنين عليه السلام وجعلها سنة استمرت على المنابر أربعين عاماً ، وعهده لابنه يزيد من بعده ، مما جعل الخلافة إراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ، وليس فيهم ، وتابعهم على ذلك خلفاء بني العباس ، حيث لاحقوا أهل البيت عليهم السلام ، وأولادهم وشيعتهم ، تحت كل حجر ومدر ، يقتلون على الظنة والتهمة ، ولسنا بحاجة لإعادة ما ذكرته كتب التاريخ والسير ، لكي لا يكون ذلك من قبيل تكرار المكررات . .

وخلاصة القول : إن الإسلام تعرض لكثير من الظلم الذي عانى منه المسلمون عموماً ، وأهل البيت وأبنائهم وشيعتهم على وجه الخصوص .

ومن المحطات الملفتة للنظر ، والتي يجب التوقف عندها ، والتأمل فيها ، والتدبر لاستمراريتها ، حتى الآن : أن يهاجم أحد أعظم رموز الإسلام بعد النبي عليه السلام ، باتفاق الفريقين ، بجيوش نجد وعسير ، حيث نهب المقام الحسيني في الحائر ، ودنست ساحته المباركة بخيل الذين يدعون أنهم مسلمون .

ولكن كل هذه لم تؤثر على انتشار المذهب الجعفري ، وتمسك المسلمين الشيعة بعقيدتهم ، كما استمر الاستبصار والمستبصرون في الأقطار والبلدان من العالم .

إن الاستبصار ليس بأمر عجيب ولا جديد ، فمنذ بزوغ فجر الإسلام بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، ومنذ قيام العلماء والمثقفين بالخطابة ، والكتابة ، ونشر الكتب ، لترويج المذهب الحق ، وكشف حقيقته ، اغتنم من أراد تحقيق الحق ، واختياره ، فرصة لخروجه من الظلمات إلى النور ، وها هم في الشرق والغرب يستبصرون أفراداً

وجماعة ، كما في (الهند) ، و (باكستان) ، و (إيران) ،
و (لبنان) ، و (سورية) ، و (الأردن) ، وبعض بلاد (أوروبا) ،
وفي بعض البلاد الإفريقية (الجزائر) ، و (تونس) ، و (أريتريا) ،
وغيرها ، وهم يواجهون مصائب شديدة من قبل أقربائهم وقومهم ، ولا
يخافون لومة لائم ، لأنه عندما يرتفع الحجاب عن وجه الحق ويميز
الإنسان بين الحق والباطل ، فإنه يقلع جذور التعصب والعنفوان ، ويختار
طريق الحق ، ويتحول تعصبه وعنفوانه تجاه الباطل ، بل أشد مما كان
تجاه الحق قبل اختياره ، لأنه كان سابقاً نتيجة الجهل ، وعدم وضوح
الرؤية ، أما الآن كونه على الحق بالدليل والبرهان ، فلا يبالي بقومه
وعشيرته ، ولا ترعبه المخاوف المتوقعة منهما ، ولا الفقر والبؤس ، لأنه
قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير » ويترك
المنصب والجاه من أجل السير على طريق الحق والثبات ، ويستعد لتحمل
جميع المصائب والمحن على ما ورد في بعض أحاديث
المعصومين عليهم السلام : « قال رجل للباقر عليه السلام : والله إنني لأحبكم أهل
البيت . قال : فاتخذ للبلاء جلباباً ، فوالله إنه لأسرع إلينا ، وإلى
شيعتنا ، من السبل في الوادي ، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم ، وبنا يبدأ الرخاء
ثم بكم » ^(١) .

وفي الواقع إن إعلان الحق بعد معرفته واختياره ، هو جهاد عظيم ،
وأمر خطير ، لأنه ترك لمذهب آبائه وأجداده ، وهذا يعني قطع الصلة
المقائدية بهم ، والتخلي عن الانشداد لهم نتيجة ذلك ، وبعبارة أوضح :
كأنه يقول لهم : إنني كنت من أهل الضلال ، والآن أصبحت من
المستبصرين ، وعلى طريق الحق والهدى ، وأنا مستعد لجميع التحذيات

(١) ميزان الحكمة : ١ / ٤٩٢ نقلًا عن (البحار) .

والمصائب ، وهذا ما حدث مع بعض المستبصرين ، كما يتضح للقارئ بمطالعة أحوالهم في هذا الكتاب .

وليس باستطاعتي إحصاء المستبصرين كلهم ، لأن الإحصاء يحتاج إلى بذل جهد عظيم ، ويلزم كتباً ضخمة ، ولكن هذا القليل يعطي دفعاً كبيراً إلى قضيتهم ، ويحرك شعور الآخرين إلى الوعي والتفكير واليقظة ، وأيضاً يكون إحياء لذكرهم ، لأنهم تعرضوا لمعاناة شديدة ، وتحملوا ما تحمّلوه في سبيل الإسلام وقادته ، وهذا يعتبر من قبيل ﴿ ومن يعظم شعائر الله فهو من تقوى القلوب ﴾ .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد المتواضع في سبيل أهل البيت عليهم السلام ، بضاعة نرجو قبولها ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(المؤلف)

٢٥ حزيران سنة ١٩٩٣ م / ٦ محرم الحرام ١٤١٤ هـ

الشِيعَة

● معنى الشيعة :

معنى الشيعة في اللغة كما جاء في (القاموس) : شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ .

ويطلق هذا الاسم على الفرقة المعروفة بموالاتها لعلي وأبنائه المعصومين عليه السلام ، حتى صار إسماً لهم خاصة (ا هـ) .

وفي (النهاية) : أصل الشيعة : الفرقة من الناس ، وتقع على الواحد ، والاثنين ، والجمع ، المذكر والمؤنث بلفظ واحد ، ومعنى واحد ، وغلب هذا الاسم على كل من يوالي علياً وأهل بيته ، حتى صار لهم إسماً خاصاً ، فإذا قيل : فلان من الشيعة ، عُرف أنه منهم . وفي مذهب الشيعة كذا : أي عندهم . وأصلها من المشايعة : وهي المتابعة والمطوعة . (انتهى كلامه) .

قال ابن خلدون في مقدمته : إعلم أنَّ الشيعة لغة هم الصحب والأتباع ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف ،

على أتباع علي وبنيه ، رضي الله عنهم .

لا شك ولا ريب أن المتبادر إلى الأذهان من كلمة الشيعة ، هو موالي الإمام علي وبنيه عليه السلام ، والتبادر علامة للحقيقة .

وقد ورد هذا المعنى في كتب أهل السنة والجماعة ، ولا أريد إحصاءها لأن ذلك يحتاج إلى كتاب مبسوط وضخم ، بل أكتفي بذكر بعضها ، مراعاة للاختصار .

قال جلال الدين السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾

أخرج ابن عساكر : عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا عند النبي ﷺ ، فأقبل علي عليه السلام ، فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده إن هذا - يعني علياً - وشيعته هم الفائزون يوم القيامة »^(١) ونزلت الآية المذكورة .

وجاء في « ربيع الأبرار » للعلامة الزمخشري : « يروى عن النبي ﷺ أنه قال : يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله وأخذت أنت بحجزتي ، وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزتهم ، فترى أين يؤمر بنا » .

وقال ابن الأثير في (النهاية) في ذيل شرح كلمة (قمح) :

« وفي حديث علي عليه السلام قال النبي ﷺ : ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين ، ثم جمع

(١) الدر المنثور : ٥٨٩/٨ . ط . بيروت .

يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح ،^(١) .

● منى ابتداء التشيع :

جاء في كتاب (تاريخ الشيعة) لسماحة العلامة الشيخ محمد حسين المظفر :

لا غرو لو قلنا : إن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقلد الأعظم « محمد » صلوات الله عليه وآله ، صارخاً بكلمة « لا إله إلا الله » في شعاب مكة وجبالها ، فإنه لما نزل عليه قوله تعالى ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾ جمع النبي ﷺ بني هاشم ، وأندرهم ، وقال ﷺ : أياكم يؤازرنى ليكون أخى ، ووارثى ، ووزيرى ، ووصيى ، وخليفتى فيكم بعدى ! فلما لم يجبه إلى ما أراد غير المرتضى ﷺ قال لهم الرسول ﷺ : « هذا أخى ، ووارثى ، ووزيرى ، ووصيى ، وخليفتى فيكم بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا » .

فكانت الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن ﷺ ، من صاحب الرسالة تمشي جنباً إلى جنب مع الدعوة للشهادتين ، ومن ثم كان أبو ذر الغفاري شيعة لعلي ﷺ ، وهو رابع الإسلام ، أو سادسهم^(٢) .

ولقد كفانا مؤنة التدليل على ما نريد ، محمد كرد علي ، في كتاب (خطط الشام ٥ : ٢٥١ - ٢٥٦) قال : عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي ﷺ في عصر رسول الله ﷺ ، مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين ، والإلتزام بعلي بن أبي طالب ، والموالاة له ، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول : أمر الناس

(١) الإقماح : رفع الرأس ، وفخس البصر .

بخمس ، فعملوا بأربع ، وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الأربع قال : الصلاة ، والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، قيل له : وإنها لمفروضة معهن ؟ قال : نعم هي مفروضة معهن .

ومثل أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، وأبي أيوب الأنصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وقيس بن سعد بن عباد .

قال : « وأما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أهل مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، فهو وهم ، وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم ، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ، ومن أقواله وأعماله ، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم ، علم مبلغ هذا القول من الصواب ، ولا ريب في أن أول ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد التشيع له . . . وفي دمشق يرجع عهدهم إلى القرن الأول للهجرة . . . » .

إن محمد كرد علي ليس من الشيعة ، ولا من أنصارهم ، غير أنه رأى أن من الأمانة إبداء هذه الحقيقة ناصعة ، دون أن يشوبها بغرض ، ودون أن يركن إلى النزعات المذهبية التي أضاعت الحق ، وشوهت الحقيقة . فهذا كرد علي بوجيز كلامه واستدلالة على نبوغ التشيع أيام صاحب الشريعة ، أغنانا عن المضي في التدليل على هذا الأمر ^(١) .

هقيدة الشيعة :

وأما عقيدة المسلمين الشيعة فنوجزها بما يلي :

(١) تاريخ الشيعة : ص ١٩ . ط . بيروت .

● إن الشيعة الإمامية الجعفرية مسلمون موحدون ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، ولمحمد ﷺ وآله ، بالرسالة ، ويؤمنون بكل ما جاء به من عند الله عز وجل ، وهم يعتقدون بأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين ، والالتزام بأحكام الشرع ، وإن ذلك هو الذي عليه مدار الأحكام من التوأث ، والتناكح ، والتكافل ، وغير ذلك ، والإيمان هو أعلى درجة منه ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ .

وتعتقد الشيعة أن أصول الدين لا يجوز فيها التقليد ، ولا اتباع الغير ، مهما كان هذا الغير ، فلا بد أن تؤخذ عن أدلة عقلية قطعية ، حتى يكون صاحبها على يقين من صحتها كوجود النهار .

وتعتقد الشيعة بأن صفات الله عز وجل ، ذاتية له ، وهي عين ذاته الكمالية ، وله الكمال المطلق ، منزّه عن جميع صفات النقص وعن ما يقتضي الحدوث وأن صفات الله تعالى الثبوتية ثمانية : ١ - قادر مختار ، ٢ - عالم ، ٣ - حيّ ، ٤ - مرید كاره ، ٥ - مدرك ، ٦ - قديم أزلي ، ٧ - متكلم ، ٨ - صادق .

وصفات الله تعالى السلبية سبعة : ١ - أنه ليس بمركب ، ٢ - ليس بجسم ، ٣ - ليس محلاً للحوادث ، ٤ - إنه لا يرى مطلقاً ، ٥ - ليس له شريك ، ٦ - ليس بمحتاج ، ٧ - ذاته لا يتصف بصفة .

عقائد الشيعة :

وتعتقد الشيعة : أن الله عادل في حكمه ، يستحيل أن يجور على خلقه ، ولا يفعل ما يستقبّحه العقل السليم ، وأنه جلّ شأنه ، لا يجبر على فعل ولا ترك ، بل العبد اختار ما شاء منهما مستقلاً ، ولذا يصح عند

العقل والعقلاء ملامته وعقوبته على فعل الشر ، ومدحه ومثوبته على فعل الخير ، وإلا لبطل الثواب والعقاب ، ولم تكن فائدة في بعثة الأنبياء وإنزال الكتب ، والوعد والوعيد .

وتعتقد الشيعة أنَّ النبوة واجبة على الله لعباده ، للرباط بينهم وبينه عز وجل ، وأنها منصب إلهي يستحيل اختيار النبي من المخلوقات ، لأنه يجب أن يكون معصوماً عن كل نقص وعيب من أول حياته ، إلى منتهى عمره ، ولا يقدر أحد على ذلك إلا علام الغيوب فقط ، وتعتقد أنَّ خاتم الأنبياء وسيدهم ، وأشرفهم وأفضلهم ، سيدنا ونبينا محمد ﷺ .

وتعتقد الشيعة أن الإمامة والخلافة بعد النبي يجب أن يكون اختيارها من الله علام الغيوب ، لأنَّ الإمامة كالنبوة دون فارق ، غير أن النبي يتلقى المعارف عن الوحي ، والإمام يتلقاها عن النبي ، ولديه الاستعداد الكافي من الله أن يحفظ جميع معارف النبي ويشترط في الإمام أن يكون معصوماً كالنبي تماماً ، لأنه المبلغ بعد النبي ، والحافظ لشريعة الله تعالى عن كل ميل ، أو انحراف ، أو زيادة ، أو نقصان ، وهو مبين ما يستحيل على سواه معرفته من البيان ولا يُسأل عن شيء إلا وهو قادر على الجواب كالنبي .

وتعتقد الشيعة أنَّ تعيين الإمام بعد النبي يجب أن يكون باختيار الله ، والنص من رسوله ، وتعتقد أنَّ الله اختار علياً عليه السلام ، إماماً بعد رسول الله ﷺ ، وقد بلغ النبي ﷺ ذلك ، ونص على إمامته بأوضح بيان ، وأظهر برهان . ولكن الأهواء لعبت لعبتها بعد النبي ﷺ . وقد اختار الله تعالى اثني عشر إماماً بعد نبيه ﷺ ، كلهم معصومون عن كل نقص وعيب ، أولهم علي بن أبي طالب هو خليفة رسول الله ﷺ بلا فصل ، وعبد من عباد الله المكرمين ، يأكل الطعام ويسير في الأسواق ،

وبعده ولده الحسن ، وبعده أخوه الحسين ، وبعده ولده علي
 زين العابدين ، وبعده ولده محمد الباقر ، وبعده ولده جعفر الصادق ،
 وبعده ولده موسى الكاظم ، وبعده ولده علي الرضا ، وبعده ولده محمد
 الجواد ، وبعده ولده علي الهادي ، وبعده ولده الحسن العسكري ،
 وبعده ولده المهدي الحجة المنتظر عجل الله فرجه . وكل إمام من هؤلاء
 الأئمة معصوم عن كل نقص وعيب ، من أول حياته إلى آخر عمره ، وكل
 إمام منهم أعلم وأفضل من جميع أبناء عصره وزمانه ، وعلمه من الله
 تعالى ، ومن آياته ﷺ .

وتعتقد الشيعة أن الموت حق ، والنشور حق ، وأن الساعة آتية لا
 ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وإليه الحساب والنشور ، وذلك
 هو الاعتقاد بالمعاد ، أي يُعاد الشخص بعينه وجسده وروحه ، بحيث لو
 رآه الرائي لقال هذا فلان . ولا يجب أن نعرف كيف تكون الإعادة ، وهل
 هي من قبيل إعادة المعدم ، أو ظهور الموجود ، أو غير ذلك وتعتقد
 جميع ما في القرآن والسنة القطعية من الجنة والنار ، والبرزخ وعذابه ،
 والميزان ، والصراط ، والأعراف ، والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا
 كبيرة إلا أحصاها ، وأن الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن
 شراً فشر ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾
 إلى غير ذلك من التفاصيل المذكورة في محلها من كل ما صدق به الوحي
 المبين ، وأخبر به الصادق الأمين . هذا في الأصول .

وأما في الفروع : فإن الشيعة كغيرهم من المسلمين يعتقدون
 بالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن
 المنكر .

المستبصرون

والآن ، عزيزي القارئ ، بعد أن ألقينا بعض الضوء على عقيدة المسلمين الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، نقدم نماذج من الدين نور الله عز وجل عقولهم ، وهداهم إلى صراطه المستقيم فاهتدوا بعد ضلال ، وأبصروا بعد عمى ، إحياء لذكرهم ، وعبرة لغيرهم .

أباذر (أبوان) المسيحي الكاثوليكي

● هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي الحنيف ، وبالمختصر مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وذلك عام (١٣٥٣ هـ) .

● ولد أبوان عام (١٣٣٠ هـ) في المملكة الهستانية ، من أبوين مسيحيين ، وبعد بضع سنين ، دخل إحدى المدارس هناك ، ودام فيها ثلاث سنين ، تاقت نفسه يوماً لمغادرة بلاده فقصد (روسيا) ، وفيها واصل دراسته ستة أعوام أخرى ، فلم يشاهد ثمة في المدرسة إلا المعارضة ضد الدين ، وهذا ما أوجب تركه المدرسة ، فعزم على مغادرة (روسيا) فغادرها .

فقبض عليه في الحدود الروسية الإيرانية ، وسجن (١٩) يوماً فاتفق أن وجد في السجن مسلمين : أحدهما شيعي فارسي ، والآخر سني تركماني .

فجرى حديث إسلامي بينهم ، فاطلع على شيء من معتقدات الشيعة والسنة ، حول خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فمال من حينه إلى مذهب الشيعة .

● ولستمع إليه كيف يحدثنا بما جرى له في أيام سجنه مع الرجلين المسلمين :

قال : لما كنت سجيناً في (روسية) مع المسلمين المذكورين ، رأيت المسلم السني يتعامل على المسلم الشيعي ، وينسبه إلى المروق من الدين . عجبت من ذلك ، وقلت في نفسي : كيف ينسبه إلى ذلك ، وهما سيان في العقيدة ؟ سألت الشيعي عن سبب ذلك ، فقال : إننا معاشر الإمامية نقول بخلافة رجل (هو صهر نبينا ، وابن عمه من بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله) بلا فصل ، وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

وهذا ينفي خلافته كذلك ، وهو السبب في تحامله علي ، ونسبته لي إلى المروق من الدين . قال : فتوجهت إلى السني وقلت له : إننا في السجن الآن ثمانية رجال ، ولو فرضنا أن لك بنتاً واحدة ، فخطبها منك كل منا كنت تزوج أينا منها ؟

أجاب : كنت أزوج أحلمكم وأكرمكم (وعدد خصلاً حميدة) فأجبت : فقد أثبت بنفسك أفضلية علي على غيره من الصحابة ، إذ لم يزوج النبي ابنته فاطمة إلا إلى علي (مع تقدم غيره من الصحابة عليه في خطبتها منه) فلم يرد علي جواباً . (انتهى) .

● فمن ذلك الوقت عاهد ربه في نفسه ، إن خرج من السجن في يوم أضمره في نفسه ، أن يدخل إيران ، ويمتنق الدين الإسلامي وبالخصوص مذهب الشيعة مذهب أهل البيت عليهم السلام . وما أن حل ذلك اليوم ، وإذ بالأمر يصدر بإطلاق سراحه بلا سؤال ولا تحقيق ، فدخل إيران وأُمّ مشهد الإمام الرضا عليه السلام في (خراسان) ، وبقي شهرين أو ثلاثة أشهر فيها ، رغبة في اعتناق الدين الإسلامي رسمياً - وبالخصوص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام وفاء بمعهده . فدخل على العلامة الحجة المغفور له الشيخ مرتضى الأشتباني ، واعتنق الإسلام على يديه ، وبالخصوص المذهب الجعفري ، وسمّاه (أبا ذر) كنية الصحابي الجليل ، جندب بن جنادة ، أبي ذر الغفاري ، رضوان الله عليه ، الذي ثبت حين انقلب الناس أجمع مع رفاقه الثلاثة : سلمان ، والمقداد ، وعمار .

وأبا ذر (أبوان) يجيد اللغة الفارسية ، ويتكلم باللغتين الهستانية والروسية ، كما أنه يقرأ ويكتب فيهما ^(١) .

(١) ماذا في التاريخ : ٣٧٤ / ٢٥ .

مولانا أحمد حسين خان

ولد حوالي (سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م) وتوفي (١٣٦٤ هـ / ١٩٤٦ م) كان من كبار الإقطاعيين المثقفين في الهند ، ومتعصباً في مذهبه السنّي ، وقد وقعت المناظرة بينه وبين مظهر حسين مصنف « قواضب الأضياف » ، ومولانا محمد مهدي أديب من جهة أخرى مناظرة خطيّة ، فتشيع نتيجة ذلك ، وله كتاب قيم في التاريخ « تاريخ أحمددي » الذي لقي إعجاباً كبيراً في أسلوبه ، من قبل أهل العلم والمعرفة . وقد جمع فيه الأحداث والوقائع من كتب السنّة والجماعة بطريقة هادئة ، دون إظهار الرأي بحيث أنه إذا كان القارئ مخالفاً ، يتحول إلى التشيع من حيث لا يشعر ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الانكليزية في (بومبائي) .

كان شاعراً عظيماً مشهوراً به « مذاق » بين الشعراء ، وكان له مكتبة ضخمة هداها ابنه إلى « مكتبة الناصرية » في (لكهنؤ) ، وله كتب عديدة في التاريخ ، والفقه ، والعقائد .

تصانيفه ومؤلفاته : آيات بيّنات ، تفسير الآيات ، فضائل أمير

المؤمنين عليه السلام ، تاريخ أحمدى ، تاريخ الإسلام في العربية والأردنية ،
رفع الحجب عن أسامي الكتب ، الموافقة والمصالحة ، تقابل فقه السني
الشيعة ، معرفة العلماء ، أسماء الرجال ، تصحيح الأغلاط في اللغة ،
ديوان ، شرح المفاتيح لأقوال التراويح ، دقائق المذهب ، جذبات
مذاق ، وغيرها من الكتب ^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ٩٠ وإثبات حق.

السيد أحمد حسين شاه بن سرفراز علي

من سكان منطقة (نرمل كهيري) في (مدراس) من ولايات الهند . كان عالماً فاضلاً واعظاً ، ومحدثاً على مذهب السنة والجماعة ، وقد استمر في (بومبائي) مدة عشرين عاماً في الوعظ والإرشاد حسب تعليمات مسلكه ، ثم رغب في اكتشاف الحقيقة فحضر في خدمة ملا محمد باقر بن فتح محمد ، وتباحث معه في المسائل المتنازعة بين الفريقين ، حتى انكشف الحق لديه .

وفي ٩ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ هـ أعلن تشييعه أمام جمع غفير في (بومبائي) . وتجدر الإشارة إلى أن ملا محمد باقر خدم كثيراً في هذا المجال ، وقد تشييع بتبليغه كثير من السنة والمسيحيين وغيرهما من الملل في الهند^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ٥٠٠ .

الشيخ أحمد ديوبندي

العالم العامل ، الماهر الأكمل ، أسوة الأذكياء ، وقدوة الأصفياء ، الأديب البارع المكرّم ، الحبيب النسيب المعظم ، المحقق التحرير ، الأوحد الشهير ، أبلغ علماء الزمان ، الحكيم ، الشيخ أحمد بن الشيخ وجيه الدين عثمان ديوبندي .

كان أستاذاً في اللغة العربية والفارسية ، إضافة إلى كونه محامياً . حقق في الأديان والمذاهب ، فتشيع ووصل إلى ذروة التعصب عكس السابق كان يرد على كتب السنة بجرأة .

كان موظفاً رسمياً من قبل الدولة في قضاء (بجنور) بولاية (أثريديس) إحدى الولايات الهندية ، وفي (سنة ١٨٧٣ هـ) تخلى عن الوظيفة ، وبدأ التصنيف والتأليف .

يقول صاحب (مطلع أنوار مولانا السيد مرتضى حسين نقوي) :
إن كتابه الضخم «تاريخ الأنبياء در أقوال أصفياء» موجود في مكتبي ، ورأيت في مقدمة الكتاب أن أصل الكتاب كان في اللغة الفارسية ، ولكن بطلب بعض الأخوة المؤمنين ، ترجمته إلى «اللغة الأردوية» . إن

الكتاب اقتبست عباراته من التوراة والإنجيل إضافة إلى القرآن وغيرها من المصادر الموثوقة . وقد مدحه كثيراً « أغابزر كطهرانى » في كتابه « طبقات أعلام الشيعة ج ٢ ، ص ٧١ » .

يقول فضيلة الشيخ سعادت حسين في مقدمة رسالة « إثبات حق » لعبد الرزاق بشاوري : عندما نشيع الشيخ أحمد اهتزازاً مركزاً أهل السنة والجماعة في (ديبوند) بالهند ، ولم تصدق أوساط السنة ، واجتمع ثلاثمائة عالم من علماء السنة عنده ، وقالوا له : ماذا بدا لك ؟ فطرح عليهم الأسئلة ، وقال : هاتوا أجوبة هذه الأسئلة حتى أرجع إلى ما كنت عليه سابقاً . فلم يستطيعوا الرد على أسئلته ورجعوا خائبين متحيرين !!

تصانيفه : أسرار الهدى في جواب أنوار الهدى ، بدر الدجى ، شمس الضحى ، شرح موجز القانون^(١) .

(١) مطلع أنوار : ص ٧٠ ، إثبات حق : ص ٨ .



الشيخ أحمد أمين الأنطاكي

اسمه وكنيته ولقبه :

اسمه أحمد بن أمين بن أحمد بن يوسف بن علي بن قنبر . وكنيته أبو حسين ، ولقبه الهزة ، ولكن غلب عليه الأنطاكي . وكان سببه لما انتسب في (الأزهر) في (القاهرة) لقب بالأنطاكي ، لأنه من منطقة (أنطاكية) ، ولادته في قرية (عينصو) وهي تابعة لأنطاكية ، وهذه القرية واقعة في جبل « قصير أنطاكية » ، والقصير عبارة عن خمسة وثمانين قرية وينقسم إلى ثلاثة أقسام : قصير الفوقاني ، والوسطاني ، والتحتاني . هكذا مقسم . وهذه القرية وهي (عينصو) كلمة مركبة من كلمتين عربية وتركية . أما كلمة عين : فهي عين الماء ، وأما صوفان : ترجمته ماء . ولكثرة مياهها سميت بعينصو .

و « قصير انطاكية » كثير الخيرات ، فيه الأشجار من كل نوع من التين ، والزيتون ، والرمان ، والتفاح ، والسفرجل ، والجوز ، واللوز ، والمشمش ، أنواع منوعة .

وهذه القرية التي هي مسقط رأس المؤلف ، محفوفة بالأشجار من

كل نوع . وأما (أنطاكية) : فهي واقعة غربي جبل (النكونجلي) يمر بها نهر العاصي ، ومن جهة الغرب جبال شامخات ، ويقال للجبل الذي هو غربيها (جبل سندان) ، متصل (بجبل بيلان) . ومن جهة الشمال سهل واسع جداً ، ويسمى بالعمق ، أراضي زراعية ، كثيرة الحبوب . ومن جهة الجنوب بساتين وفيها من أنواع الثمار من الليمون ، والسفرجل ، والتفاح ، واليكندنيا ، ومن كل الثمرات بشتى أنواعها . ومن جهة الشرق (القصير) وكل قراه تابعة لأنطاكية .

والمؤلف تعهد تربيته أبواه ، واهتم والده بتعليمه حتى ترعرع وبلغ رشده . اشتغل بتحصيل العلم ، فأول شيخ أخذ عنه مبادئ العلوم في النحو ، والصرف ، وغير ذلك ، يدعى الشيخ رجب ، وهو من قرية (كشكيت) قريبة من قرينته (عينصو) . ثم راق له أن يذهب إلى (أنطاكية) فسافر إليها ، وبدأ بالتحصيل على الشيخ أحمد الطويل . وبعد مضي سنين جاء الشيخ سعيد العرفي وهو من (دير الزور) مبعداً فإن (فرنسة) كانت مسيطرة فبعده من الدير إلى (أنطاكية) . وقد أخذ بعض العلوم عنه مدة ثلاث سنوات .

ثم راق له أن يرتحل إلى القاهرة في الديار المصرية ، وينتسب إلى الأزهر الشريف . فارتحل إلى الأزهر ، وانتسب إليه ، وبدأ يحصل العلوم المقررة ومشايخه الذين قرأ عليهم : أولهم الشيخ محمد أبوطه ، فقرأ عليه النحو ، والصرف ، والفقه ، وأصول الفقه ، وغيرها . والشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقاً ، والشيخ محمد السملوط ، والشيخ حسنين حتى حصل العلوم المقررة في الأزهر ، وكان آنذاك شيخ الجامع الشيخ محمد أبو الفضل معاصراً لسعد زغلول ، وكلاهما ماتا في سنة واحدة . ثم بعده نصب الشيخ مصطفى المراغي ، ثم عزل ، ثم رجع

إلى منصبه ، ثم مات ، ثم الشيخ محمود شلتوت ، ثم توفي ، ثم الشيخ حسن مأمون .

ولد الأنطاكي سنة (١٨٩٣ م) ، وبعد أن حصل العلوم عاد إلى وطنه (أنطاكية) وكانت (فرنسة) مسيطرة على بلاده ، فلم يرق له أن يقيم في تلك البلاد .

وكان قد عزم أن يهاجر إلى الحجاز عندما سمع بأن عبد العزيز السعودي استولى على الحجاز ، ويحكم بكتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، فأخرج جواز السفر ، وكذا أخوه الشيخ محمد مرعي أمين ، فسافر إلى (بيروت) ومن (بيروت) أراد أن يدخل (فلسطين) لأنه أراد أن يتجول في بلادها كـ (حيفا) ، و (يافا) ، ويزور القدس .

ومن بيروت سافر إلى (صيدا) ، ونزل ضيفاً عند الشيخ عمر الحلاق ، لأنه كان رفيقه يوم تحصيل العلم في (الأزهر) ، ومن ثم دخل هو وأخوه (صور) ، ولم يبت بها ، بل خرج إلى (شمع) وهي قرية في رأس الجبل ، وقد حذّره صديقه الشيخ عمر الحلاق بأن هذه القرية كلها متاولة ، يعني شيعية .

فذهب إلى تلك القرية ، وكان فيها السيد أبو عبد الله ، ونزل هو وأخوه عند السيد أبو عبد الله ، وباتا عنده ، فأكرمهما غاية الإكرام . وثاني يوم ارتحل إلى فلسطين ، ونزل بمكاً عند صديقه محمد اللبايدي ، ضيفاً ، وتلقاه بكل حفاوة وتجلة وإكرام ، ثم سافر إلى (حيفا) ، ثم إلى (يافا) ، وكان له صديق يدعى الشيخ أسعد ، ثم إلى القدس ، ثم إلى شرقي الأردن ، ثم إلى (عمان) ، وبقي فيها ثلاثة أيام ، ومنها إلى (معان) ، وهناك نزل بها عند محمد أبو رمان . ثم إلى (العقبة) ،

ومنها إلى حدود الحجاز . وكان سيره على راحل الإبل ، لأنه لم يكن في هذا التاريخ سيارات إلا قليل ، حتى دخل الحجاز وأخوه فضيلة الشيخ محمد مرعي أمين يرافقه ، ونزل في بلدة يسمونها (ضبا) وهي أول بلد في الحجاز . وكان فيها أمير يدعى مسعود المبروك . ثم رجع أخوه الشيخ محمد مرعي إلى (سورية) وبقي هو فيها ، والتفوا حوله ، وأنزلوه منزلاً عالياً ، وطلبوا منه أن يفتح لهم مدرسة ليتلقوا منه العلوم ، كالنحو والصرف ، والمعاني والبيان والبديع ، والمنطق ، لأنه كان خريج الأزهر . وهناك طفق الناس يزدحمون عليه ليتعلموا منه ، فألقى عليهم الدروس من النحو وتوابعه ، ومن الفقه وأصوله ، حتى طار ذكره في أنحاء الحجاز ، فبلغ ذلك الملك عبد العزيز ، فأرسل له برقية يطلبه ليحضر إلى (مكة المكرمة) ، ويواجه الملك . فكان ذلك حيث طلب منه أن يكون قاضياً شرعياً ، فأبى لأنه درس أخلاقهم وعرف أنهم يكفرون كل فرقة من فرق الإسلام ، وكل مذهب إلا مذهبهم ، لذلك لم يرق له البقاء عندهم فهجروهم وغادر بلادهم ، وقفل راجعاً إلى بلاده .

وكان مفتياً على مذهب الشافعي مدة طويلة ثم ارتحل من بلاده (أنطاكية) إلى (حلب) لأن أناتورك استولى على (اسكندرون) ، وأنطاكية هي في هذا اللواء ، وطلب من المحافظ بحلب بواسطة مفتي حلب الشيخ عبد الحميد الكيالي ، بأن يكون مفتياً على مذهب الشافعي ، فأجابه ، وحولوا أوراقه إلى دمشق ، وجاءت بعد أيام مصدقة من المفتي العام ، وكان آنذاك الشيخ سعيد العرفي ، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ، فتوسط له في دمشق الشام .

كان متشبعاً وانتشرت أخباره بالشييع ، فقام مشائخ حلب وجاؤوا إلى مدير الأوقاف بضجة وضجيج ، بصرخون بأعلى أصواتهم : لا نرضى

أن يكون مفتياً ، فإنه شيعي ، ونخشى أن يتفشى مذهبه لأن الناس قد تبعوه في حلب ، ونواحيها ، وضواحيها ، وهذا أمر مخوف يقلب لنا الأمور ، والله المستعان ، ومنه نستمد التوفيق .

المؤلف والكتاب :

● هذا الكتاب مختصر تاريخ تشيع عالم من علماء الشافعية بقلم نفسه .

● يبحث المؤلف - في هذا الكتاب - عن الأسباب التي دعت إلى اعتناقه مذهب آل بيت الرسول - عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام - كما يعرض بعض النكبات التي واجهها في سبيل التشيع .

● يقول المؤلف : إن أحد الأسباب لتشيعي هو قول النبي ﷺ - المتفق عليه لدى المذاهب الإسلامية كلها - :

« مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » فإنتي لو اتبعت أهل البيت ، وأخذت الإسلام عنهم ، فلا شك أبلغ النجاة ، ولو تركتهم ، لأستمد الأحكام من غيرهم ، فلا ريب أكون من الضالين التائهين .

● مؤلفه العالم الفاضل الحبر الحجة الحاج الشيخ أحمد أمين الأنطاكي .

● ولد بأنطاكية سنة (١٣١١ هـ) .

● قضى العقدین الأولین من عمره تحت تربية والديه ، ثم ابتلي بمصائب جمّة في العقد الثالث من عمره ، لسيطرة الاستعمار الفرنسي على بلادهم .

● سافر إلى الحجاز في السنة (١٣٤٩ هـ) فأدى فريضة الحج ، ثم طُلب بأن يقطن الحجاز ليكون قاضياً ، فأبى ذلك لأن (الوهابيين) يكفرون الموحدين ، وقال : « ... وكانت إقامتي في الحجاز سنة ، وأنا أبحث عن عقائدهم ، فرأيتهم منحرفين عن كل فرقة ، وهم يكفرون الإسلام أجمع : سواء أكان سنياً أو شيعياً ، أم غير ذلك ، ولا يرون الحق إلا في مذهبهم ، ويرون غيره باطلاً ، وأي مسلم يوحد الله إذا قال : (يا رسول الله) يسمونه مشركاً ، وليس عندهم تأويل البتة ، وإذا زار أحد ضريحاً من الأضرحة المقدسة للأئمة المعصومين الطاهرين ، ومد يده إلى القبر ، ومسحها به فقد أشرك ، وإذا نذر - ولو إلى الله - وقال بمحبة أحد أولياء الله أشرك ، وهكذا دواليك . ولذلك هجرتهم ، ورجعت إلى وطني ... » .

● تشيع ، واختار مذهب أهل البيت عليهم السلام في أوائل العقد الخامس من عمره ، على أثر مطالعة كتاب (المراجعات) للإمام المجاهد المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس سره) .

● هدى جماعة من العلماء ، ومن سائر الناس إلى التشيع ، واعتناق المذهب الجعفري .

● قطعت الحكومة السورية في ذلك الوقت راتبه الشهري بمجرد علمها بتشيعه ، فكتب الإمام (شرف الدين) إلى الإمام البروجردي القصة ، فعين الإمام البروجردي له ، ولأخيه راتباً شهرياً .

● سجن على أثر تشيعه مرات عديدة ، وقصد المتعصبون بالتعصب الأعمى ، اغتياله مرتين ، لولا أن الله تعالى نجاه منهم .

● زار مرافد الأئمة الطاهرين بالعراق مرات ، كما زار (إيران) ،

ونزل في (إيران) ضيفاً على الإمام البروجردي ، وخرج منها وهو ضيفه .

● له مؤلفات مطبوعة ، ومخطوطة فمن المطبوعة : (رفع الشقاق في أحكام الطلاق) ، و (في طريقي إلى التشيع) .

والقاريء إذ يكبر في المؤلف الروح الإنسانية المتطلعة إلى الحق دائماً ، يأمل من الله تعالى أن يهدي الجميع إلى الحق ، وإلى صراط مستقيم .^(١)

(١) أخذنا ترجمة الأنطاكي من كتابه المطبوع «في طريقي إلى التشيع» .

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت أنا وأخي الشيخ محمد مرعي أمين ، ننقب ونبحث دائماً في المذاهب والديانات ، ونفكر في العقائد والمذاهب والمشارب ، ونتمتع من الخلافات بين المذاهب ، فنرى بعض المذاهب يحل المسألة ، والبعض الآخر يحرم ، والبعض يكره ، والآخر يراه مستحباً ، وهكذا دواليك .

رأينا مذهب الشافعي مثلاً يجوز نكاح البنت من الزنا لأبيها ، ودليله أن ماء الزنا غير محتوم ، فتكون البنت غير منسوبة لأبيها ، فيجوز له أن يعقد عليها ويتزوجها ، وأبو حنيفة يحرمه .

وأبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت ، يجوز نكاح المحارم ، قال في (ملتقى الأهر) والشرح (مجمع الأنهر) : ولا يجب الحد بوطأة امرأة محرم له سواء كان عالماً بالحرمة أو لا . . . ولكن إذا كان عالماً بالحرمة يوجع بالضرب . هذا عند الإمام أبي حنيفة . . . وعندهما أي أبي

يوسف ، ومحمد ، والأئمة الثلاثة ، عليه الحد إذا كان عالماً بذلك لأن الشرع أخرج المحارم عن محلبة النكاح ، فصار العقد لغواً .

وله أي لأبي حنيفة أن المحرم محل النكاح باعتباره المقصود منه التناسل ، وكل أنثى من بني آدم قابلة له ، ومحلبة النكاح ، إن انعدمت عن المحارم ، بدليل ، لكن بقيت شبهها كما في نكاح المتعة ، فيتدرا به الحد ، ووطأ المزوجة بغير شهود ، وغيرهما من شبهة العقد .

وقال أيضاً : من استأجرها ليزني بها ، فإنه لا يحد عند الإمام أبي حنيفة ، لأنه روى أن امرأة سألت رجلاً أن يعطيها مالاً حتى تمكنه من نفسها ، فدرأ عمر الحد وقال : هذا مهرها . (انتهى من الجزء الأول ، ص ٢٨٧) نقلته بالحرف فليراجع .

والشافعي يجوز أكل لحم الضبع ، والحنفي يحرم . والجري : يحرمه أبو حنيفة ، والشافعي يجوزه . والشلب : يحله الشافعي ، وأبو حنيفة يحرمه . والقناذ : يحلها الشافعي ، والآخرون يحرمونها . وهكذا الأمور دائرة بينهم والناس يقولون اختلافهم رحمة وتوسعة كأنها صارت كما يشاؤون بيدهم إن شاؤوا حرموا ، وإن شاؤوا جوزوا .

فمجبنا من ذلك وتحيرنا إلى أن جاء وقت من الأوقات ، ونحن في حلب ، كان رجل في فندق يدعى عبد القادر الحاج موسى ، ومعه كتاب (المراجعات) تأليف المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين ، فعثر شقيقي الشيخ مرعي عليه وقال : خذ هذا الكتاب واقراه وتعجب ، وفكر فيه ! فقلت له : من أي فرقة هو ؟ قال : من المذهب الجعفري . فقلت له : إليك عني أبعد فإنه ليس لي به حاجة فإني أكره الشيعة ، وما

هم عليه ، لأنني أحرفهم !! فقال : إقرأه ولا تعمل به وماذا يضرك إن قرأته ؟ وكان سابقاً قد جرى بحث بيني وبينهم في قرية (الفوعة) وهي الواقعة في نواحي بلد (إدلب) .

وسأكتب ما جرى معي ومعهم في (الفوعة) .

فأخذت الكتاب ، ورحت أنصفح صفحاته معجباً به ، وأكبرته ، ووقفت أفكر بهذا الكتاب وما فيه من الحكميات والمحاکمات بين السيد عبد الحسين شرف الدين ، قدس سره ، وبين الشيخ سليم البشري .

وكان الشيخ سليم البشري ، شيخ الجامع الأزهر في القاهرة آنذاك ، حين تأليفه ، يسأل السيد عن كل مسألة ، وهو يجيبه ويسلم له ، وهكذا إلى أن أكمل الكتاب ، والسيد يوقع (ش) والشيخ يوقع (س) - رمزاً إلى شيعي وسني - .

فعندئذ بدأت أتدبر مقالاته ، فأعجبني ما فيه من البلاغة والحكمة ، ورأيتة يقول الحق ، وجعلت أقرأ المقدمة وما بعدها حتى أتيت على جميع المراجعات ، فسلمت الكتاب لأخي وقلت في نفسي : إن هذا هو المذهب الحق ، ولم يبق عندي أدنى شبهة البتة .

وبدأنا نتذاكر أنا وأخي في هذا المذهب ، فمرة يكون هو عالماً سنياً ، وأنا أكون شيعياً ، ونبدأ بالمناظرة فنرى الحق مع الشيعي ، وهكذا دار الأمر بيني وبين أخي .

فعندما يكون هو شيعياً يطلب مني الدليل على التمسك بأحد المذاهب ، ويقول لي : ما دليلك على أن تتعبد بمذهب الشافعي ؟ هل من آية من كتاب الله عز وجل ؟ هل من حديث نبوي ؟ فلم أر آية ، ولا حديثاً ، استدلل بها على التمسك بأحد المذاهب ، فأقول له : الإجماع .

فيقول : الإجماع مفقود بل يستحيل الإجماع فإنهم اختلفوا في المذاهب ، فكيف يكون الإجماع .

وإذا سأله وهو يجعل نفسه جعفرياً أن يأتي بأدلة من كتاب الله ، وسنة رسول الله ، فيقول : جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تنحى عنها غرق وهوى » . وقال رسول الله ﷺ : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، ألا لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » الحديث . فأسلم له وأقول : أنا لم يسعني إلا التمسك بهذا المذهب الحق الذي هو مذهب آل بيت النبوة ، وصاحب البيت أدرى بما فيه .

وهكذا رأينا الحق بجانب مذهب آل بيت رسول الله ﷺ فاعتنقنا المذهب الجعفري ، ولم يبق لنا سبيل إلى غيره ، كما قال الكميث رحمه الله :
ومالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مذهب الحق مذهب
وكنمنا الأمر ، ولم نبح به خشية أن يعلم بنا علماء السنة بحلب ، فإنهم متعصبون لمذهبهم ، فيعذبونا ، إلى أن مضت مدة من الزمن ، ولم نعلم كيف نتعبد على المذهب ، حتى فكرت في نفسي : هل أذهب إلى النجف حتى أجتمع مع علمائهم ؟ ومضى الأمر على ذلك طويلاً ، فوقع في نفسي أن أذهب إلى لبنان ، فعزمت على السفر إلى لبنان ، وتوكلت على الله .

(سوريا/ حلب)

أحمد أمين الأنطاكي

إمداد إمام

ولد (سنة ١٢٦٥ هـ) الموافق (سنة ١٨٤٩ م) في بلدة (نيوره) قضاء (بنه) من ولاية (بهار) في الهند ، وتوفي (سنة ١٣٥٣ هـ / سنة ١٩٣٤ م) هناك .

هو شمس العلماء ، خان بهادر السيد وحيد الدين بن خان بهادر ، إمداد علي ، من أولاد أورنگ زيب ، أحد الملوك المغول .

اشتهر بلقبه « إمداد إمام » . ولم أعرف وجه تسميته . كان أجداده أمراء ورؤساء من أهل السنة والجماعة ، تعلم من كبار أساتذة (بهار) فكان عالماً جليلاً ، لاسيما في الكلام ، ومقارنة الأديان والأفكار ، وكان جامعاً لللغات العربية ، والفارسية ، والانكليزية . وكان طبيباً حاذقاً ولم أقف على كيفية تشييعه .

وقد ورد في كتاب « إثبات حق » لعبد الرزاق بشاوري ، حنفي المذهب سابقاً : إن من أشهر كتب « إمداد إمام » هو كتاب « مصباح الظلم » وقد تطرق فيه إلى كيفية تشييعه مفصلاً . وهذا الكتاب موجود في المكتبات العامة القديمة في الهند .

مؤلفاته : مصباح الظلم ، كاشف الحقائق ، مرآة الحكماء ، كتاب
الأثمار ، منظر المصائب^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ١٠٨ ، إثبات حق: ص ٩ .

أمير الدين

لم أجد تاريخ ولادته ، ووفاته .

كان سنياً متعصباً من كبار الإقطاعيين المثقفين في بلدة (جك جلال الدين) قضاء (جهنك) في (باكستان) .

تعلم عند الحافظ علي محمد ، فأصبح عالماً فاضلاً جليلاً في علوم التفسير ، والحديث ، والمنطق ، والفلسفة ، والكلام ، إضافة إلى علم الطب ، كان طبيباً حاذقاً ، وكان يقصده الأمراء والرؤساء للمعالجة والاستشفاء . وصل ذات يوم إلى بلدة (سركوها) فسمع عن حضور العلامة عبد العلي الهروي الطهراني إلى البلدة ، وعلم بفضلته وعلمه ، فسارع إلى لقائه ، وبدأ المناقشة في المسائل المتنازع عليها بين الفريقين ، وطال الحديث إلى ساعات ، وبعد طول المباحثة تشيع هو وأستاذه علي محمد^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ١٢٠ ، إثبات حق: ص ٩ .

أمير محمد تونسوي

ولد حوالي (سنة ١٣٢٤ هـ) في باكستان ،
وتوفي (سنة ١٣٩٤ هـ) في (ملتان) في باكستان . كان من سكان
بلدة (تونه) قضاء (دير غازی) ، وكان خطيباً ، بارعاً ، فاضلاً
جليلاً ، ماهراً في اللغة العربية والمنطق وفي (سنة ١٩٤٠ هـ) باحث
مولوي فيض محمد مكهبالوي في المسائل الخلافية بين الفريقين بغية
تحقيق الحق ، ونتيجة هذه المباحثات والمناقشات ، اختار المذهب
الإسلامي الشيعي ، وسكن في بلدة (حسين آباد) قضاء (ملتان) في
باكستان^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ١١٤ .

بركت علي شاه

مولانا بركت علي شاه بن بوئي شاه ، من بلده (كَمام)
قضاء (جالندهر) في مقاطعة (بنجاب) في الهند .

كان وهابياً من أهل السنة والجماعة وشغل منصب إمامة الجمعة
والجماعة في وطنه ، ثم انتقل إلى (بومبائي) ، وبدأ يمارس مهام التبليغ
وفق مذهب السُّني ، وعُيِّن إمام الجمعة والجماعة في إحدى المساجد
هناك .

ومن حسن حفظه أنه التقى بالحاج ملا محمد باقر بن فتح محمد
الذي كان مشهوراً بالعلم والثقافة والمناظرة ، وبدأ يناظره في المسائل
الخلافية بين الفريقين . وبعد مباحثة استمرت شهراً أو أكثر أعلن تشيعه
في (بومبائي) وبدأ يعلم الناس وفق تعليمات مذهب أهل
البيت عليه السلام ^(١)

(١) مطلع أنوار: ص ٥٠٠ .

برهان نظام شاه

ولد (سنة ٩٠٧ هـ / سنة ١٤٠١ م) ، وتوفى (سنة ٩٦١ هـ /
سنة ١٤٥٤ م)

هو برهان بن أحمد بن حسن البحري أحمد نكري ، من
ملوك (أحمد نكر) في ولاية (دكن) من الهند .

كان شديد التعصب لمذهبه مذهب السنة والجماعة ، ولكنه اعتنق
مذهب أهل البيت عليهم السلام ، بفضل توجيه العالم الفاضل الجليل مُلّا السيد
شاه محمد طاهر بن مهدي دكني الهمداني الذي تأتي ترجمته إن شاء الله .
كيف تشيع :

ذكر صاحب « تاريخ فرشته » : ج ٢ ، ص ١١٥ ، وهو سني
المذهب ، إن العالم الجليل طاهر شاه ، كان في (همدان) وفي (سنة
٩٢٦ هـ) حصل الخلاف بينه وبين شاه إسماعيل الصفوي ، فهاجر إلى
جهة (بيجاپور) في الهند ، حيث كان يحكم إسماعيل عادل شاه هناك ،
ولكن لم يستقر . وسافر إلى الحجاز للحج والزيارة ، ثم رجع

إلى (دكن) ونزل في « قلعة برنده » التي كانت تحت إدارة « خواجه جهان » ، فاستقبل عنده بكل احترام وإعزاز ، واستقر هناك .

ولكن اتفق أن برهان نظام شاه أرسل سفيره الخاص مُلاً بير محمد الشيرواني إلى خواجه جهان بعمل خاص ، فالتقى بطاهر شاه ، وأعجب بعلمه وفضله ، وأبدى رغبته في التعلم منه مع أن الشيرواني كان مشهوراً في علمه وفضله ، فبدأ الدراسة ، واستمر بها سنة كاملة ، ثم رجع إلى قصر برهان ، وأخبر عن قوة علم طاهر شاه وفضله فكتب البرهان إلى خواجه جهان أن يرسل طاهر شاه إلى (أحمد نكر) .

ففي (سنة ٩٢٨ هـ) قَدِمَ طاهر شاه إلى (أحمد نكر) وقد استقبل هناك باحترام وإعزاز ، حتى قيل إنَّ برهان أرسل أركان دولته للترحيب والاستقبال من بُعد عدة أميال ، وأسكنه قرب قصره ، وطلب منه التدريس في جامع (أحمد نكر) وكان يُدرّس يومين في الأسبوع .

كان برهان يحضر باستمرار ولكن مولانا طاهر كان يتقي خوفاً من الشاه ، ولم يعرف أحد أنه شيعي المذهب ، وهذا دليل على سعة معرفته في المذاهب الإسلامية .

واتفق أن عبد القادر ابن الملك برهان ، ابتلي بمرض شديد ، وعجز الأطباء عن علاجه ، ويشوا من حياته . ولما رأى الملك هذا الحال ، قال للطبيب قاسم بيگ : هل يحتاج ابني عضواً من أعضاء جسمي أقدمه ليشفى ؟ ووقع الملك في حيرة شديدة وبدأ يرسل الصدقات إلى الكنائس ، والمساجد ، والتمس الدماء من المؤمنين لشفاء ابنه .

اغتتم طاهر شاه هذه الفرصة واقترح على الملك أنه إذا شفي ابنه عليه أن يرسل الذهب بمقادير كثيرة هدية إلى مقامات الأئمة

الاثنى عشر عليه السلام ، فسأله الملك : من هم الأئمة الإثنا عشر ؟ فأخبره مولانا عنهم عليهم السلام ، بإيجاز واختصار ، فقال الملك : أتذكر أنني سمعت هذه الأسماء من لسان أمي مرة ! فأنا مستعد لما تقول ، لأنني تبرعت بأموال كثيرة للكنائس والمساجد ، فلا يصعب عليّ ذلك إن شفى الله ابني .

فقال مولانا : أتعدني بالأمان والاطمئنان ، أو أهادر إلى مكة ؟ فقال الملك : أنت في كل الأمان ، ولا يتجرأ أحد عليك .

فقال مولانا طاهر : إن هذه الليلة ، ليلة الجمعة ، أندر الله نذراً إن شفى الله ابني ببركة الأئمة المعصومين عليهم السلام ، في هذه الليلة ، عليّ كذا وكذا وأن أطلب من جميع خطباء الجمعة في المساجد أن يذكروا أسماء أهل البيت ، ويدعون الناس إلى اتباع مذهبهم عليهم السلام .

فوضع الملك كفه على كف مولانا ، وتعد بتفصيل ما وعد إذا حوفاً ابنه . إذ كان آيساً من حياة ابنه عبد القادر .

فجلس الملك قرب ابنه المريض من جهة رأسه كتيباً ، قلقاً ، لأنّ الحمى كانت على أشدها ، وكان لا يطبق الغطاء عليه ، لأنه كان يشعر أنه يحترق من شدتها ، فقال الملك : أتركوه دون غطاء ! فإنه ضيف لعدّة ساعات ، فليتنشق الهواء قليلاً .

مضى الليل ، وتنفس الصبح ، وإذا بالملك يحسّ بنعاس شديد ، فوضع رأسه قرب رأس ابنه ونام ، فرأى في المنام رجلاً جليلاً القدر ، ومعه إثنا عشر رجلاً . عندما رآهم قام لهم احتراماً وتعظيماً ، وإذا بقائل يقول له : أتعرف من هو والذين معه ؟ إنه محمد المصطفى وخلفاؤه الأئمة الإثني عشر عليهم السلام .

وقال : « اللهم بحق عليّ وأولاده ، إشف عبد القادر ابن الملك
ولا تخلف ما وعدت لإبني طاهر » .

استيقظ الملك من النوم ، فوجد الغطاء على ابنه ، ومضى إلى أم
عبد القادر ، فرآها في دهشة عظيمة ، وسألها عن سبب دهشتها ، كما
سأل عن الذي ألقى الغطاء عليه . فأجابته بأن الغطاء الذي على عبد القادر
تحرك أمامي من مكانه قليلاً قليلاً ، وانبسط عليه دون محرك ، وأنه من
شدة المرض ما كان يستطيع أن يحرك يده ولا رجله ، فكيف جاء الغطاء
عليه ؟ هذا هو السبب لاندهاشي . هرعوا إليه ، ورفعوا الغطاء عنه ،
فوجدوه صحيحاً وسليماً ، ولم يكن عليه حتى ، كأنه لم يكن مريضاً ،
فخّر الملك ساجداً ، وطلب من الخادم أن يدعو مولانا طاهر شاه فوراً .

سارع الخادم إلى بيت مولانا ودقّ بابه ، وكان طاهر شاه مشغولاً
بالدعاء لشفاء ابن الملك . فعندما سمع صوت الباب وخادم الملك ،
اضطرب كثيراً ، وأخذ يتحدث في نفسه ، لعله مات عبد القادر ، أو تغير
رأي الملك تجاهه ! ولم تمضِ برهة حتى جاء خادم آخر مضطرباً .
فأوصى مولانا أهله وحياله وخرج معهما يصحبه خوف شديد .

عندما وصلوا قرب القصر ، دخل في حرمه ، استقبله الملك بحب
وكرامة ، وضّمّه إلى صدره ، وجاء به إلى ابنه ، وسأله عن أصول مذهب
الشيعة أمام الحاضرين ، فأخبره مولانا عمّا سأله الملك ، فتشيع وابنه
حسين ، وعبد القادر الذي شفي من مرضه تماماً ، وزوجته الست آمنة
وخدّمه المقربون إليه كلهم استبصروا ، وهم مسرورون ، يباركون الملك
بشفاء ابنه عبد القادر .

أراد الملك نظام أن يأمر خطباء الجمعة بذكر أسماء الأئمة

الاثنى عشر وتعاليمهم ، وعدم ذكر الخلفاء بتاتاً ، فمنعه مولانا من ذلك ، وطلب منه التروّي والهدوء والإطمئنان في القضية ، تجبياً لأيّ شغب يدهور الأمن في البلد ، وقال : أيها الملك ! ادعُ كبار العلماء ، وقل لهم إنني أريد تحقيق الحق فأعينوني في هذا المجال فقبل الملك ، ودعا علماءه المقربين مثل مُلّا بير محمد شاه ، وأفضل خان نوائط ، ومُلا داود دهلوي وغيرهم ، واجتمعوا في مدرسة مولانا طاهر شاه ، وبدأوا المباحثة لتحقيق الحق .

كان يحضر الملك كل يوم ، ويسمع مسار المباحثات التي استمرت عدة أشهر ، ولكن لم يختاروا مذهباً من المذاهب الأربعة ، وكلّ كان يدعو إلى مذهبه ، فتحير الملك ، وقال لمولانا طاهر شاه : هل يوجد هناك مذهب غير المذاهب الأربعة لأختاره ؟ إنني غير قادر على اختيار أربعة مذاهب بل أريد مذهباً واحداً ، فإذا كان ذلك المذهب حقاً أختاره بلا إشكال .

فقال مولانا : نعم يوجد مذهب آخر وهو المذهب الجعفري !

فاحضر طاهر شاه كتبه ، وجاء مع الكتب بعالم اسمه الشيخ أحمد النجفي وبدأوا بالمباحثة والمناظرة ، وأصبح مولانا طاهر شاه إلى جانب الشيخ أحمد النجفي ولكن دون أن يُعرف حاله أنه شيعي ، ولكن انكشف خلال المباحثة أنه جعفري وجرى الحديث حول من يستحق الخلافة بعد النبي ﷺ ، وحديث القرطاس ، فذلك ، وصمت علماء المذاهب الأربعة لعجزهم عن الردّ والجواب ، فقال الملك برهان : لماذا سكتم ؟ اعتقد أنّ المذهب الجعفري هو الحق . وأخبرهم عن شفاه ابنه ، وما رأى في المنام !

عندما سمع الحاضرون وغيرهم من الناس في البلد ، بالحادث ،
تشبع بحدود ثلاثة آلاف نسمة ، وغيرهم وقعوا في الحيرة والتردد ،
وأصبح (أحمد نكر) بلداً شيعياً على الأغلب .

ولكن الأمراء المتمردين على الملك ، اجتمعوا في بيت ملا پير
محمد ، وتشاوروا بينهم ، فتوافقوا على عزل الملك من الحكم ،
وتسليم ابنه عبد القادر ، ثم قتل طاهر شاه .

ولهذا تحركت كتيبة من الجيش مشتملة على اثني عشر ألف
جندي ، بين فارس وراجل ، وطوّقوا القلعة ومن فيها . عندما أخبر
الملك عن الأمر ، أمر بإغلاق أبواب القلعة ، ودعا مولانا طاهر شاه ،
وتشاورا في الأمور إذ أنّ مولانا كان عالماً في علم الجفر ، تتلمذ على
يدي ملا شمس الدين جعفر الذي كان أستاذاً في هذا العلم ، ففكر مولانا
قليلاً ، وأمن في حسابات علم الجفر ، ثم قال : أيها الملك ! أصدر
الأمر بفتح جميع أبواب القلعة ، ولا تخف ولا تحزن ! وأخرج إليهم مع
ما تملك من القوة والسلاح .

فامتلى الملك فرسه ، وجمع قوّته الموجودة داخل القلعة وتقدر
بألف راجل وخمسمائة راكب على الأفيال ، مع رايات خضر ، وكان
مولانا طاهر شاه راكباً مع الملك . فعندما خرجا مع الجنود الحاملين
الأعلام ، كان بيد مولانا تراباً فقرأ عليه الآية : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ
الدُّبُرَ ﴾ ^(١) ورمى به المطوقين . وإذا بهم حائرون خائفون . . . فهتف
الملك بصوت عال : من أراد الأمان فليدخل تحت الرايات ، والذي لا
يدخل ليس له أمان ولا نصيب له في الحكم . فبدأوا يتجمعون أمراء ،

(١) سورة القمر، الآية : ٤٤ .

وجنوداً ، وشرطة ، ولكن ملاً بير محمد وأعوانه المتمردين ، لاذوا بالفرار فأرسل الملك بعض الجنود بإمرة ملك أحمد تبريزي ، وخواجهي محمود ، لاعتقال بير محمد الذي جاؤوا به إلى القصر ، وأمر الملك بقتله ، فمنعه مولانا طاهر عن ذلك ، فألقي في السجن ولكن بعد أربع سنين أطلق سراحه بطلب مولانا طاهر ، وأرجع إلى القصر مكرماً ومحترماً .

ثم إن الملك برهان شيد عمارة عالية في المكان الذي رأى فيه المنام وشفي ابنه كما بنى مقاماً كبيراً أمام القلعة باسم « باب الإمام » وأوقف باسمه الممتلكات والأراضي الواسعة . وكان يُطعم المؤمنون كل يوم من « باب الإمام » .

وسارع الملك إلى تنفيذ ما تعهد لمولانا بإيفاء النذر ، فأرسل الذهب ، والفضة ، والأموال الكثيرة إلى المقامات المقدسة في العراق وخراسان ، وزينها بهما ، وأنفقت الأموال على توسعتها وتجديدها كما أرسل الأموال للسادات والعلماء .

إن بلدة (أحمد نكر) كانت مكاناً محظراً على الشيعة بحيث أن الجعفري لم يكن مسموحاً له الدخول أو المرور من هناك ، ولكن بعد إعلان تشيع برهان نظام شاه ، وأركان سلطنته ، وغيرهم من سكان البلدة ، أصبحت مركزاً للمسلمين الشيعة ، واجتمع فيها العلماء بأعداد كبيرة ، واستقروا هناك .

وقد عرف بعض أسماء الذين كانوا في زمن برهان شاه بعد تشيعه مثل مولانا شاه جعفر شقيق طاهر شاه ، ملاً شاه محمد نيشابوري ، ملاً علي گل استرآبادي ، ملاً رستم جرجاني ، ملاً علي مازندراني ، ملاً أيوب

أبو البركات ، ملاّ عز الله الكيلاني ، ملاّ محمد إمامي استرآبادي ،
وغيرهم .

وفي (سنة ٩٥٠ هـ) تلقى برهان نظام شاه بعض الهدايا الثمينة من
قبل شاه إيران آنذاك ، وأرسل أيضاً لمولانا طاهر رسالة ، وخاتمه الخاص
المحفور عليه « التوفيق من الله » ، وأرسل إليه مولانا بالمثل مع ابنه شاه
حيدر بعض الهدايا^(١) .

(١) مطلع أنوار: في أحوال برهان نظام شاه، وطاهر شاه دكني.

(ر.ج فلورز) قسيس بريطاني

هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي ، وبالأخص مذهب الشيعة ،
مذهب أهل البيت عليهم السلام . وما هو يقول : العلة التي دعتني لمشاركة فرقتي
الغربية ، (الفرقة الأرثوذكسية) ، واعتناق الدين الشرقي (الإسلامي)
ذات أهمية تمس صميم الحياة ، فليست هي من الطفيليات الآتية وليدة
العواطف والأحاسيس الطارئة ، بل هي نتيجة المراجعات الكثيرة
التفصيلية ، ووليدة التفكير العميق ، واستجابة للأدعية والطلبات من
الباري جلّ شأنه .

لست من الشبان الذين غمرتهم الأمانى ، عائشين في عالم الخيال
والأوهام ، فقد انحدرت إلى سن الكهولة ، وقضيت عمري في تجربة
الأمور . . .

وبعد تنصبي قسيساً ، تركت المشاغل المربوطة بالكنيسة إلى
صرف أوقاتي لمراجعة المرضى ومعالجتهم . وفي هذه الفترة أيضاً

وجدت مجالاً للوقوف على أعمال فرقة (الأرثوذكسية) ، وسائر الفرق . فمع الأسف الشديد إنني لم أجِد غير مظاهر الرياء والسمعة ، وعقائد خرافية بحتة .

فساطة الدين الإسلامي ، وصحته الطبيعية ، وواقعية سيرة المسلمين ، قد أثرت أثرها النهائي لتصميمي الجازم على اعتناق الدين الإسلامي ، فصممت على قطع جميع علاقاتي بالدين المسيحي الغربي . ولي الآن هدف واحد أنجه إليه في حياتي ، وهو التوفيق على أكمل وأتم خدمة عامة آلهية مدى الحياة ، في سبيل إله واحد لا شريك له . فالحمد لله الذي وفقني لذلك وقدر لي هذا التقدير . وأمنيته الآن هو السعي الحثيث في سبيل الاسلام والمسلمين بمعونه تعالى .

اعتبروني عبداً صغيراً ، وخادماً حقيراً في سبيل الهدف الرفيع الطاهر (الإخاء الإنساني في ظل الإيمان بالله تعالى) وفي خدمة البشرية العالمية ، والحياة الجماعية العامة .

فأعلن هنا : أنه لم يكن في قضيتي أي إكراه ، أو نفوذ ، أو ضغط خارجي ، وكان تصميمي وعزمي بهذا الصدد عن حرية وإرادة كاملتين . وقد تسربت هذه الفكرة من أعماق ركيضة قلبية ، وفي العظمة الإلهية . إنني أوقف في سبيل الخدمة البشرية ، والأخوة الإسلامية في أقطار العالم كلها . انتهى ملخصاً مجلة (نور دانس : سنة ١٣٤١ هـ) .

وقد أرسل هذا القسيس الحر كتاباً ، ينبئ عن إسلامه وتشبّعه الصادق ، إلى رئيس جمعية الشيعة الإمامية في لندن ، فضيلة السيد مهدي الخرساني ، ذكر هذا كله وافياً ، السيد المجاهد العلامة السيد محمد

الرضي الرضوي ، دام ظلّه (١) .

(١) ماذا في التاريخ: ٣٧٦/٢٥ نقلًا عن مجلة (نور دانش - العدد ٧ - عام ١٣٤٢ هـ - طهران).

حبيب الله (جهانكيري) البهائي

هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي الحنيف، وبالخصوص مذهب الشيعة، مذهب أهل البيت عليهم السلام. وها هو - حبيب الله - يتحدث عن إسلامه كيف كان. يقول: بعد أن تحررت الحقيقة كاملة، والتقيت مع علماء مخلصين، تحقق لدي بطلان الطريقة البهائية، وأحقية الدين الإسلامي المبين، وبالخصوص المذهب الشيعي الجعفري الإمامي، مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وبهذه المناسبة أبدي براءتي من طريقة والدي (البهائية) المزيفة، وأعلن لإخواني في الإسلام، علاقتي الوطيدة بالمذهب الحق الجعفري - مذهب أهل بيت النبي الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا - .

وأسأل الله تعالى أن يهدي العموم من ضلال الفرق المختلفة، ولا سيما الفرقة البهائية، وذلك في ظل بركات صاحب العصر، بقية الله (الإمام المنتظر) محمد بن الحسن العسكري عليه السلام عجل الله فرجه، وجعلنا من أنصاره وأطلب إلى جميع إخواني المسلمين دعاء الخير^(١).

(١) المصدر السابق.

الحر بن يزيد الرياحي

من أهم المستبصرين في تاريخ واقعة كربلاء يوم عاشوراء ، هو « الحر بن يزيد الرياحي » الذي كان من كبار القادة المسكرين في معسكر عبيد الله بن زياد . أرسل من قبل الأخير أميراً على ألف فارس من (القادسية) ليمنع الحسين عليه السلام من الوصول إلى الكوفة ، ولا يسمح له بالرجوع إلى المدينة .

كان من أشجع أهل الكوفة وأشرفها ، واستشهد مع الحسين عليه السلام بكربلاء (سنة ٦١ هـ) . وقد وردت أحواله في « أعيان الشيعة : ج ٤ » على التفصيل الآتي :

ليس لدينا شيء من أخبار الحر - رغم كونه من الرؤساء - سوى أخباره يوم كربلاء .

وفهم من كلام المؤرخين أن الحر كان مع الحصين بن تميم (بالقادسية) أخرجه ابن زياد معه من الكوفة . وكان ابن زياد بعث الحصين بن تميم ، صاحب شرطته ، وأمره أن ينزل (القادسية) ويقدم الحر بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين عليه السلام .

قال ابن الأثير : كان مجيء الحر من (القادسية) أرسله الحصين بن تميم في ألف فارس يستقبل بهم الحسين عليه السلام وانفرد ابن عساكر بقوله : إنه لم يبلغ الحسين قتل مسلم حتى كان بينه وبين (القادسية) ثلاثة أميال ، فلقية الحر بن يزيد التميمي فقال له : إرجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً ، وأخبره الخبر ، فهم أن يرجع وكان معه إخوة مسلم ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا ، أو نقتل فساروا (اهـ) .

وهذا اشتباه ، فإن الحر جاء ليمنع الحسين من دخول الكوفة ، وقد منعه من الرجوع ، ولم يذكر أحد أنه أشار عليه بالرجوع ، والحسين بلغه قتل مسلم قبل ذلك .

روى أبو مخنف عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين ، وروى نحوه ابن طاروس في كتاب (اللهوف) قالوا : كنا نساير الحسين ، فنزل الحسين (شراف)^(١) فلما كان السحر ، أمر فتياه باستقاء الماء ، والإكثار منه ، ففعلوا . ثم ساروا صباحاً فرسموا^(٢) صدر يومهم حتى انتصف النهار ، فكبر رجل منهم ، فقال الحسين : الله أكبر ! لما كبرت ؟ قال : رأيت النخل ، قالوا : فقلنا : إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط ، قال : فما تريانه رأى ؟ قلنا : رأى هوادي^(٣) الخيل . وفي (اللهوف) : فما ترونه ؟ قالوا : نراه والله أسنة الرماح ، وأذان الخيل ! قال : وأنا والله أرى ذلك .

ثم قال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم

(١) اسم المكان .

(٢) رسم : نوع من السير .

(٣) الهوادي جمع هاد : وهو العنق .

من وجه واحد ؟ قالوا : بلى ! هذا ذو حسم - وهو اسم موضع - عن يسارك تميل إليه ، فإن سبقت القوم فهو كما نريد ، فأخذ ذات اليسار ، فلما كان بأسرع من أن طلعت هواذي الخيل فتيبناها فعدلنا عنهم ، فلما رأونا عدلنا عدلوا معنا كأن أسنتهم اليعاسيب ، وكأن راياتهم أجنحة الطير . فاستبقنا إلى (ذي حسم) فسبقناهم إليه .

وأمر الحسين بأبنيته فضربت ، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ، حتى وقف هو وخيله في حر الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدوا أسياهم ، فقال الحسين لفتيانہ : أسقوا القوم واروهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً . فأقبلوا يملأون القصاع والطاس من الماء ، ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيها ثلاثاً ، أو أربعاً ، أو خمساً عزلت عنه ، وسقوا آخر حتى سقوها عن آخرها .

وكانت ملاقة الحر للحسين على مرحلتين من الكوفة : ولما التقى الحر مع الحسين عليه السلام ، قال له الحسين : ألنا أم علينا ؟ فقال : بل عليك يا أبا عبد الله ! فقال الحسين : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

فلم يزل الحر مرافقاً للحسين عليه السلام ، حتى حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق الجمفي ، وكان معه ، أن يؤذن فأذن . فلما حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام ، في إزار ، ورداء ، ونعلين ، فخطبهم ، وقال من جملة خطبته :

« إني لم آتكم حتى أنتني كتبكم أن أقدم علينا ، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم ، وإن كنتم لتقدومي كارهين ، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه . فسكتوا ... » .

فقال للمؤذن : أقم فأقام الصلاة . فقال للحر : أتريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال : لا ! بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك ، فصلّى بهم الحسين ، ثم دخل مضربه ، واجتمع إليه أصحابه ، ودخل الحر خيمة نصبت له ، واجتمع عليه جماعة من أصحابه ، وعاد الباقون إلى صفّهم الذي كانوا فيه فأعادوه ، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلها .

فلما كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يتّهبأوا للرحيل ، ففعلوا ، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر ، وأقام ، فاستقدم الحسين عليه السلام وقام فصلى ، ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه ، وخطبهم وقال في جملة كلامه : « ... ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان ، وإنّ أبينهم إلا الكراهية لنا ، والجهل بحقنا ، وكان رأيكم الآن غير ما أتنبي به كتبكم انصرفت عنكم ... » .

فقال له الحر : أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر !

فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه : يا عقبة بن سميان ! أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ ، فأخرج خرجين مملوءين صحفاً ، فنثرت بين يديه . فقال له الحر : إنّنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارق حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله .

فقال له الحسين عليه السلام : الموت أدنى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : قوموا فاركبوا فركبوا ، وانتظر هو حتى ركبت نساؤه ، فقال لأصحابه : انصرفوا ، فلما ذهبوا لينصرفوا ، حال القوم بينهم وبين الإنصراف ، فقال الحسين عليه السلام للحر : ثكلتك أمك ما تريد ؟ فقال له

الحر : أما لو غيرك من العرب بقولها لي ، وهو على مثل هذه الحال التي أنت عليها ، ما تركت ذكر أمته بالشكل كأننا من كان ، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدَّر عليه !

فقال له الحسين عليه السلام : فما تريد ؟ قال : أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد . فقال : إذن والله لا أتبعك ، فقال : إذن والله لا أدعك ، فتراد القول ثلاث مرات .

فلما كثر الكلام بينهما ، قال له الحر : إني لم أؤمر بقتالك ، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ، ولا يردك إلى المدينة ، يكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب إلى يزيد إن شئت ، أو إلى ابن زياد إن شئت فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك ، فخذها هنا ، فتياسر عن طريق (العذيب) و (القادسية) .

فتياسر الحسين عليه السلام وبينه وبين (العذيب) ثمانية وثلاثون ميلاً ، وسار والحر يسايره . فقال له الحر : إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلن ، ولئن قوتلتَ لتهلكن فيما أرى . فقال له الحسين عليه السلام : أقبال موت تخوفني ؟ وهل يعدو بكم الخطب أن نقتلوني ؟ ما أدري ما أقول لك ! ولكني أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه حين لقيه وهو يرهّد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه ابن عمه ، وقال : أين تذهب فإنك مقتول ؟ فقال :

سامضي وما بالموت عار على الفنى إذا ما نوى حقاً ، وجاهد مسلماً (وآسى) وراسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشبوراً ، ووقع مجرماً أقدم نفسي لا أريد بقاءها لتلقى خمباً في الوغى ، وهرمرماً

فإن عشت لم أندم ، وإن مت لم ألثم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما
فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه ، وجعل يسير ناحية عن
الحسين عليه السلام ، حتى انتهوا إلى (عذيب الهجانات) ، فإذا هم بأربعة نفر
قد أقبلوا من الكوفة لنصرة الحسين ، ومعهم دليلهم الطرماح ، فأتوا إلى
الحسين ، وسلموا عليه ، فأقبل الحر وقال :

إن هؤلاء النفر الذين جاؤوا من أهل الكوفة ، ليسوا ممن أقبل
معك ، وأنا حابسهم أو رادهم ، فقال الحسين عليه السلام : لأمنهم مما أمنع
منه نفسي ! إنما هؤلاء لأنصاري وأعواني ، وقد كنت أعطيني أن لا
تعرض لي بشيء حتى يأتيك جواب عبيد الله ؟ فقال : أجل لكن لم يأتوا
معك ! قال : هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي ، فإن بقيت على ما
كان بيني وبينك والآنجزتكَ . فكف عنهم الحر .

ولم يزل الحسين عليه السلام سائراً حتى انتهى إلى (قصر بني مقاتل) ،
ثم ارتحل من قصر بني مقاتل ، فأخذ يتياسر بأصحابه فيأتيه الحر فيرده
وأصحابه ، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه وارتفعوا .

فلم يزالوا يتياسرون كذلك حتى انتهوا إلى (نينوى) ، فإذا راكب
على نجيب له ، عليه السلاح ، متنكب قوساً ، مقبل من الكوفة ، فوقفوا
ينتظرونه جميعاً ، فلما انتهى إليهم ، سلم على الحر وأصحابه ، ولم
يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فإذا هو مالك بن النسر الكندي ،
فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله فإذا فيه :

« أما بعد ، فجمعجج بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك
رسولي ، فلا تنزلته إلا بالعرء في غير حصن ، وقد أمرت رسولي أن
يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري ، والسلام » .

فلما قرأ الكتاب جاء به إلى الحسين عليه السلام ومعه الرسول فقال : هذا كتاب الأمير يأمرني أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه . وهذا رسوله قد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره وأخذهم بالنزول في ذلك المكان .

فقال له الحسين : دعنا ويحك ننزل في هذه القرية ، أو هذه - يعني نينوى والغاضرية - أو هذه - يعني شعبة - قال : لا والله لا أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بعث علي حيناً .

ثم إن الحسين عليه السلام قام وركب ، وكلما أراد المسير يمنعه تارة ، ويساهرونه تارة أخرى ، حتى بلغ كربلاء :

قال أبو مخنف : لما اجتمعت الجيوش بكربلاء لقتال الحسين عليه السلام ، جعل ابن سعد على كل ربيع من الأرباع أميراً ، فكان على تميم وحمدان الحر بن يزيد ، فشهد هؤلاء الأمراء الذين جعلهم كلهم قتال الحسين عليه السلام إلا الحر ، فإنه عدل إليه ، وقتل معه .

مقتل الحر رضوان الله عليه :

ثم إن ابن سعد جاء لقتال الحسين عليه السلام بأربعة آلاف ، وانضم إليه الحر وأصحابه ، فصار في خمسة آلاف قال أبو مخنف وغيره : ثم إن الحر لما زحف عمر بن سعد بالجيوش ، قال : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال عمر : أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي . قال الحر : أفما لك في واحدة من الخصال التي عرض عليك رضا ؟ فقال : أما والله لو كان الأمر إلي لفعلت ، ولكن أميرك قد أبى .

فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً ، ومعه رجل من قومه يقال

له قرة بن قيس الرياحي ، فقال له : يا قرة ! هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا ! قال : فما تريد أن تسقيه ؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحى ، فلا يشهد القتال ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه ، فقلت : أنا منطلق فأسقيه ، فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه ، فوالله لو أطلعني على الذي يريد لمخرجت معه إلى الحسين عليه السلام !

فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلاً قليلاً ، فقال له المهاجر بن أوس : ما تريد يا بن يزيد ؟ أتريد أن تحمل ؟ فلم يجبه ، وأخذه مثل العرواء ^(١) ، وفي رواية مثل الأفكل ^(٢) ، فقال له المهاجر : إن أمرك لمريب ! وما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن ؟ ولو قيل لي : من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك ، فما هذا الذي أرى منك ؟

فقال الحر : إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ، ولو قطعت وحرقت ، ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ، ويده على رأسه ، وهو يقول : اللهم إليك أنيب فتب علي ، فقد أربعت قلوب أوليائك ، وأولاد بنت نبيك ، فلما دنا منهم قلب ترسه ^(٣) ، فقالوا : مستأمن ، حتى إذا عرفوه سلم على الحسين ، وقال :

جعلني الله فداك يا بن رسول الله ! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسأيرتك في الطريق ، وجعجت بك في هذا المكان ! والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المتزلة ! فقلت في نفسي : لا أبالي أن أصانع القوم

(١) قرة الحمى ورعدتها.

(٢) الرعدة.

(٣) علامة عدم الحرب.

في بعض أمرهم ، ولا يظنون أنني خرجت من طاعتهم ، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم ، والله لو ظننتهم لا يقبلونها منك ، ما ركبته منك ، وإنني قد جئتكم تائباً مما كان مني إلى ربي ، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك ، فهل ترى لي من توبة ؟ قال : نعم ! يتوب الله عليك ، ويغفر لك فانزل . قال : أنا لك فارساً خيراً مني راجلاً أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري قال : فاصنع يرحمك الله ما بدا لك .

فتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال : أيها القوم ! ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافاكم الله من حربه وقتاله ؟ فقال عمر : لقد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً . فقال : يا أهل الكوفة ! لأتكم الهبل^(١) ، والعبر^(٢) ! دعوتم ابن رسول الله (وفي رواية) : دعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا جاءكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، أمسكنم بنفسه ، وأخذتم بكظمه ، وأحطتم به من كل جانب ، لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة ، حتى يأمن ويأمن أهل بيته ، فصار كالأسير في أيديكم ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، وحلأتموه ونسأه ، وصبيتهم وأصحابه ، عن ماء الفرات الجاري ، فها هم قد صرعهم العطش ، بشما خلقتهم محمداً في دينه ، لا سقاكم الله يوم الظلما ، إن تتوبوا وتزعموا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه . . .

فحملت عليه الرجال ترميه بالنبل ، فرجع حتى وقف أمام الحسين عليه السلام ، وقال الحر للحسين عليه السلام : فإذا كنت أول من خرج

(١) الكل.

(٢) عَبرَ سَخنة في المين تكيها (صحيح).

عليك ، فائذن لي أن أكون أول قتيل يقتل بين يديك لعلّي أكون ممن صافح جدك محمد ﷺ غداً في القيامة ، هكذا في بعض الروايات .

ولا يخفى أن مقتضى بعض الروايات أنه قتل جماعة قبل الحر ، وهو المستفاد من تاريخ ابن الأثير ، فلذلك حمل قوله : أول قتيل بين يديك ، على أن المراد أول قتيل من المبارزين ، ويمكن كون الحر أول المقتولين . وعدم صحة ما دل على خلاف ذلك ، كما لعله يفهم من (إرشاد) المفيد ، فإنه لم يذكر أن أحداً تقدم الحر في القتل سوى ابن عوسجة صرع قبله .

قال ابن الأثير : وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين قتالاً شديداً ، وبرز إليه يزيد بن سفيان فقتله الحر . وقال غيره : فحمل الحر على أصحاب عمر بن سعد ، وجعل يرتجز ويقول - كما في (مناقب ابن شهر آشوب) وغيره :

إنني أنا الحر ، وماؤى الضيف أضرب في أعراضكم بالسيف
عن خير من حل البلاد الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

وروى أبو مخنف : إن يزيد بن سفيان الثغري ، من بني الحارث بن تميم ، كان قال : أما والله لو رأيت الحُر حين خرج لأتبعته السنان . فبينما الناس يتجاولون ويقتتلون ، والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدماً ويتمثل بقول عنترة :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولسانه حتى تسربل بالدم

وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبيه ، وإن دماءه لتسيل ، إذ قال الحصين بن تميم التميمي ليزيد بن سفيان : هذا الحر الذي كنت تتمناه قال : نعم ! وخرج إليه فقال له : هل لك يا حر بالمبارزة ؟ قال :

نعم ، قد شئتُ ، فبرز له ، قال الحصين : وكنت أنظر إليه ، فوالله لكأن نفسه كانت في يد الحر ، فخرج إليه فما لبث الحر أن قتله .

وروى أبو مخنف عن أيوب ابن مشريح الخيواني أنه كان يقول :
جال الحر على فرسه ، فرمته بسهم فحشأت^(١) فرسه ، فما لبث أن أرحد
الفرس ، واضطرب وكبا ، فوثب عنه الحر ، وكأنه لبث ، والسيوف في
يده وهو يقول :

إن تعفروا بي فأننا ابن الحر أشجع من ذي لبد مزبر
قال فما رأيت أحداً يفري فريه ، وأخذ يقاتل راجلاً ، وهو يقول :

الَيْتُ لَا أَتَلَّ حَنْسَى أَتَلَّا وَلَنْ أَصَابَ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلًا
أضربهم بالسيف ضرباً معضلاً (مفضلاً) لاناكلا عنهم ، ولا مهلاً
لا عاجزاً عنهم ، ولا مبدلاً أحمي الحسين الماجد المؤتملاً
وقال ابن الأثير : قاتل الحر راجلاً قتلاً شديداً ، وفي رواية : إنه
كان يرتجز ويقول :

إنني أنا الحر ، ونجل الحر أشجع من ذي لبد مزبر
رلست بالجبان عند الكر لكنني الوقاف عند الفر
وجعل يضربهم بسيفه حتى قتل نيفاً وأربعين رجلاً - على بعض
الروايات - وعلى بعضها ثمانية عشر رجلاً . وقال ابن الأثير : وحمل
الحر وزهير بن القين فقاتلا قتلاً شديداً ، فإذا حمل أحدهما وغاص
فيهم ، حمل الآخر حتى يخلصه ، ففعل ذلك ساعة . وفي ذلك يقول
عبيد الله بن عمرو البدائي من بني البداء ، وهم من كندة :

(١) حشأته : أصبت أحشاءه .

سعيد بن عبد الله لا تنسينه ولا الحمر إذ آسى على قسر

ثم حملت الرجالة على الحر ، وتكاثروا عليه ، فاشترك في قتله أيوب بن مسرح ، ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة ، فاحتمله أصحاب الحسين حتى وضعوه بين يدي الحسين وله رمق ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : أنت الحر كما سئتك أمك ، حر في الدنيا ، وسعيد في الآخرة . وفي رواية : إنه أناه الحسين ودمه يشخب ، فقال : بغي لك يا حر ! أنت حر كما سئيت في الدنيا والآخرة . وقبر الحر على فرسخ من مدينة (كربلاء) في مشهد مزور معظم ، ولا يُدرى ما سبب دفنه هناك ، ويدور على الألسن أنَّ قومه أو غيرهم نقلوه من موضع المعركة ، فدفنوه هناك ^(١) .

أقول : صحيح أنَّ الحر كان قائداً عسكرياً من كبار قادة الأمويين ، ولكنه كان حاملاً لفكر عميق ، وعقل سليم ، وعارفاً بالظروف المناسبة للحرب والسلام ، بمن يواجهه ، ولم يكن عنصراً همجياً ، أو مسؤولاً أعمى ، كمجرد أداة للتنفيذ ، دون التفكير بالعواقب ، وهذا ما تبيّن من بعض مواقفه يوم عاشوراء وقبله . حينما التقى بالحسين عليه السلام في مكان - ذو حسم - وحضر وقت صلاة الظهر ، وصلى هو وأصحابه بإمامة الحسين عليه السلام وهذا دليل نظافة قلبه ومعرفته وقناعته لاستحقاق الحسين عليه السلام بالإمامة والاقتراد به .

وعندما قال له الإمام : ثكلتك أمك ما تريد ؟ حين الحؤول دون انصراف الحسين عليه السلام وأصحابه إلى المدينة ، ولم يتجرأ على الجواب بالمثل ، احتراماً لنسب الإمام وعظمته عليه السلام ، مع أنَّ الحر كان أشجع

(١) أحيان الشيمة : ج ٤ .

الناس من أهل الكوفة .

وغيرها من المواقف ، آخرها كان عندما رأى يوم عاشوراء غير ما كان يتوقع ، حيث فهم الأمر بالدقة والوضوح المطلوبين من صاحب العقل السليم ، وتيقن من سوء العاقبة إذا بقي إلى جانب عمر بن سعد ، فتحير وتردد حتى قال له المهاجر بن أوس من عسكر ابن سعد : فما هذا الذي أرى منك ؟ فقال الحر : « إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ، ولو قطعت وحرقت ! » .

فتيقن من دخول الجنة ، والحياة الأبدية في التحاقه بالحسين عليه السلام والتخلي عن إمرة جيش ابن سعد ، فرجع تائباً ومستبصراً إلى حضرة الحسين عليه السلام . فتحوله هذا في آخر الوقت قبل فوات الأوان ، كان عبرة للمستعبرين ، فاستعبروا يا أولي الألباب !

حسن (روشنيان) البهائي

هذا العظيم يعتقد الدين الإسلامي ، وبالخصوص مذهب الشيعة ،
مذهب أهل البيت عليهم السلام . وهو العامل الفتي في مشروع الكهرباء في
(طهران) ، يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .
وعلى خلفائه الأئمة المعصومين ، ولا سيما الحجة ابن الحسن
المسكري عليه السلام عجل الله فرجه . أعترف وأقر بدين الإسلام لدى حجة
الإسلام (الشيخ محمد تقي الفلسفي) وهو يعتقد بأنه آخر الأديان
السموية ، وأن نبيه خاتم الأنبياء ، واعترف بوصاية الإمام علي بن أبي
طالب ، والأحد عشر من أولاده المعصومين عليهم السلام ، راجياً من الله تعالى
أن يهدي الضالين كما هداني إلى محبة السعادة والتوفيق ^(١) .

(١) ماذا في التاريخ: ج ٢٥، نفلاً من مجلة (نوردانش، العدد (١٣)، عام ١٣٤١ هـ،
طهران).

وارتون كرباسي الفرنسي

فرنسي من (باريس) ، وُلِّدَ حسين اثنا عشري بعد اعتناقه المذهب الإسلامي الإمامي الإثني عشري الجعفري :

هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي الحنيف ، وبالأخص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام ، يقول حسين اثنا عشري : ولدت في قرية (فونتبلو) التي تبعد عن (باريس) خمسين كيلو متر وذلك في سنة (١٩٣٩ م) ، وأكملت دراستي في دار المعلمين .

وفي عام (١٩٥١ م) غيب تحرر البلاد الفرنسية . . . توجهت إلى البلاد البريطانية ، وقضيت أربعة أعوام وبضعة أشهر في دراستي العالية ، مما يخص هندسة الراديو والكهرباء . وبعد الحصول على الشهادة العلمية المطلوبة في مدينة (باريس) عدت إليها .

وفي عام (١٩٥٦ م) وقعت عهداً بيني وبين إحدى شركات الطيران خصيصاً لمدة سنة في (مهرآباد) مطار طهران في الشعبة الفنية . وبعد الإنقضاء ، رجعت البقاء في (إيران) على العمدة إلى (فرنسا) ،

ولمدة ثلاث سنين ، اشتغلت في المعاهد التجارية المختلفة بعنوان مترجم .

وكانت الليالي فرصة مغتنمة للمطالعة حول الإسلام ، وقرأت القرآن عدة مرات ، ولكنني أصبت مدة إقامتي بمرض (سينوزيت) شديد جداً ، فكان يؤلمني ليلاً نهاراً . وانتهت نظريات الأطباء إلى العمل الجراحي ، ولم تطاوعني نفسي للتسليم .

وصادفت تلك الأيام شهر المحرم (شهر الإمام حسين عليه السلام) وفي جوارى دار واسعة ، أهدت للتعزية بالمناسبة ، وكانت المآتم تقام في الليالي ، وتلقى فيها ذكريات المصائب ، والكلمات التي تلقى فيها بالمناسبة .

فاتفق ذات ليلة أن قدم إلي أحد خدمة المآتم طبق شاي ، وقال : أيها السيد ! تشتهي أن تشرب شاي الإمام حسين عليه السلام . فقبلت منه على اشتياق ورغبة تامة ، وعندما لمست شفتاي ذلك الشاي ، أحسست أن نوراً خاطفاً في فكري ، فناجيت ربي : (إلهي بحرمة الإمام الحسين ومنزله ، أرني معجزة خارقة لأستريح من هذا الألم ، ومن شدة مرض (السينوزيت) المؤلمة ! وفي اليوم التالي وعند نهوضي من فراشي رأيت عجباً : إن المعجزة وقعت ، وشفيت رأساً .

إن مطالعاتي السابقة حول الإسلام وهذه الواقعة العجيبة التي شاهدتها عينا ، أثرت أثرها في نفسي ، فصممت على اعتناق الدين الإسلامي ، وبعد أشهر عدت إلى طهران ومنها إلى (قم) وحضرت مجلس آية الله (الشريعمداري) وأجريت مراسيم الشهادات ، واعتنقت

الإسلام - وبالأخص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام ،
وسميت باسم (حسين إثنا عشري)^(١) .

(١) من مجلة (نوردانش، العدد (١)، عام ١٩٦٠ م، طهران).

حمد الله

مولوي حمد الله بن حكيم شكر الله بن الشيخ دانيال بن بير محمد ، من سكان بلدة (سنديله) قضاء (لكهنؤ) في الهند .

كان من أرشد تلامذة ملا نظام الدين السهالوي ، واشتهر في الفلسفة ، والمنطق ، والطب ، وحصل على لقب « فضل الله خان »^(١) من قبل « شاه عالم » .

خالط كبار علماء الشيعة في عصره ، وتلقى منهم بعض العلوم ، فرغب في معرفة الحق ، واستفاضت معلوماته من العلامة مير محمد باقر داماد ، فتأثر به كثيراً ، وكشفت له الحقيقة ، فاختار مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وأعلن تشيعه .

مؤلفاته :

له كتاب معروف في المنطق « حمد الله شرح سلم العلوم » الذي يُدرّس في مدارس الهند وباكستان ، وقد كُتب عليه عدة شروح ، وله كتب

(١) الظاهر أنّ هذا اللقب لم يكن يعطى إلا لأهل العلم ، والفضل .

أخرى كشرح « زبدة الأصول » وشرح تصديقات من سلم العلوم ،
والحاشية على شمس بازغة ، وغيرها^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ٢١٠ .

حيدر علي

ملا حيدر بن ملا حمد الله ، سُني المذهب . كان عالماً مشهوراً في بلدة (سنديلة) قضاء (لكهنؤ) في الهند ، وكان موضع احترام وثقة بالغين في البلدة ، تتلمذ على يدي العالم الجليل ولدار علي ، المعروف بغفران مآب ، وأخذ من أفكاره فتاثر كثيراً ، وتوجه إلى التحقيق في المذاهب الإسلامية ، وبعد فترة قصيرة أعلن تشيعه على نهج والده تماماً ، وأكمل بعض مصنفات والده ومؤلفاته في مختلف العلوم ^(١) .

(١) مطلع أنوار : ص ٢١٢ .

السيدة خاور (يزداني) البهائية

هذه السيدة العظيمة ، تعتنق الدين الإسلامي الحنيف ، وبالخصوص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام .

وها هي تعترف وتقول : إنني معترفة بالدين الإسلامي المقدس ، وبخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، وبالأئمة الإثني عشر عليهم السلام ، وبأن القرآن المجيد هو الحق ، وأن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري حي يرزق وقد غاب عنا بأمر من الله الحكيم الخبير وهو القائم الموعود في الإسلام وجميع الكتب المقدسة المنزلة من عند الله تعالى هي حق وصدق ، وأن الله تعالى سيظهره ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

وأشكر الله تعالى على جزيل لطفه حيث هداني إلى دين الإسلام ، بعد أن شبيت على دين البهائية ، وأنست بها ، وذلك على أثر مشاركتي في الحضور في مجلس إسلامي حقيقي ، فتنور قلبي ، ولمع الحق لدي ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

خضر خضر العموري

ذكر عنه فضيلة الشيخ محمد حسن القبيسي قال :

« وفي عصرنا الحاضر (سنة ١٣٩٨ هـ الموافق سنة ١٩٧٨ م) قد
لمع نور من ضيائهم (أهل البيت) الوهاج ، فاستنار بضوئه أديب لامع من
الأدباء ، فأسرع فوراً إلى الهدى ، واستنار بنور الحق ، ثم جاهد
وسعى ، فأخذ بيده خالق العباد ، وهدهاه إلى سادة العباد ، فاستبصر بعد
العمية ، واهتدى بعد الضلالة ، وأعلن تشييعه لأهل البيت والعصمة
وشفعاء الأمة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم من
الزيغان عن أهل العصمة ، ثم قال في ص ٣٤٤ :

وإليك القصة ، كما وردتنا منه :

● كنت منحرفاً ، وعشت زماناً على انحرافي المحدود ، لأن كل
شيء ينمو ببيئته ، فللكفر مناخ ، وللشر مناخ ، وللدين والخير مناخ .

كنت أصلي وأصوم ، ولكن بدون معرفة ، بدون عقيدة ، لهذا
انحرفت ، وبعد أن مضى على انحرافي زمان طويل ، وظهر على فارقي

بياض الشيب ، جاءني من يقول لي : إنني أملك مؤهلات لو تمكنت من صقلها لأصبحت نجماً لامعاً ، ومطرباً فناناً ، أجمع الليرات ، وأملك السيارات ، وتظهر صورتي على المجلات ، ويجتمع عندي المعجبين والمعجبات .

وكننت أنظر إلى ابن خالي ، الحاج أحمد جبق ، وأتعجب منه كيف ترك مجتمعات اللهو والطرب ، وأقبل على الدين والصلاة والصوم ، وحبّ عياله وبناته .

ثم جاءني من يهمس بأذني قائلاً : هل علمت بأن ابن خالك الأستاذ أحمد جبق قد هستر ؟ فقلت : كيف هستر ؟ قال المخبر لي : هستر يا حرام الشوم وراح إلى الحج ، وزار الديار المقدسة ، ولبس عياله العبادة ، وبناته صرن محجبات ، ترك اللهو والطرب يا حرام الشوم ، وصار يصلي ويصوم .

قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقلت لمن أخبرني : بالحقيقة إن أحمد جبق كان دائماً يشكو إليّ همّه ، ويقول لي : يا ابن عمي أ صحيح معي مال كثير ، وبسط كثير ، ولهو كثير ، ولكن خلقي ضيق ، وقلبي مهموم مقبوض ، الناس حاسدوني على ما أنا عليه ، وأنا أحسد من يعيش على البساطة والاطمئنان .

ولما أبلغني المخبر عن ابن خالي بأنه هستر ، وترك اللهو واللعب ، وأقبل على العبادة ، قصده بسرعة هائلة ، وتوجّهت إلى بيت الأستاذ أحمد جبق فأول ما لفت نظري أن رأيت قد كتب على باب بيته من الخارج : (بسم الله الرحمن الرحيم) لا يسمح لأي امرأة بالدخول إذا كانت غير محجّبة ، قلت في نفسي : صحيح ما أخبرني به من قال إنه

هستر ! .

فطرقت الباب وإذا بالباب يفتح ، ووراء فتاة لا تتجاوز السادسة من عمرها تخاطبني من وراء الباب ، وهي محجّبة ، فقالت من تريد ؟ قلت لها : الحاج موجود ؟ قالت : نعم تفضل .

فدخلت ، وكانت الدعشة عظيمة ، فالأستاذ أحمد جبق ذاك الذي كان يمشق اللهو والطرب ، وإذا به يلبس الدشدشاشة ، وتارك لحينه ، ويحمل بيده السبحة .

فقلت في نفسي : يا حرام الشوم في الحقيقة أن ابن خالي قد هستر ، وبعد السلام قابلني والبسمة على شفتيه ، وأجلسني إلى جانبه ، فقلت له : حج منور وسعي مشكور .

فقال لي : نتمناه لك إن شاء الله تعالى ، وأخذ يخبرني عن الحج ، وعن الإيمان ، والدين واليقين . . . الخ ، ثم قال لي : أتذكر يا بن عمتي ! عندما كنت أقول لك من غير اليوم ، عندما كنت غارقاً في لهوي وطربي ، يا بن عمتي : مال كثير ، وسهر كثير . ولكن قلبي مقبوض ، وفكري مشوّش ، وأنا غير مبسوط . . . الخ ، يا بن عمتي ! بذكر الله تطمئن القلوب ، وأنت لازم تروح تحج وتصلّي وتزور ، فالسعادة في الإيمان .

الحمد لله الذي قدّم عليّ ، وتركت ما كنت عليه من لهو وطرب ، وفساد وضلال ، وفي الدين طريق النور والراحة ، والسعادة والإنشراح والإطمئنان الصحيح .

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، يا أبا طلال ! يا بن عمتي ! أنت عزيز على قلبي ، بذلك تصلّي ، وأنا أدهو

لك ربي أن يهديك كما هداني ، حتى نجتمع على الدين الصحيح ،
والإيمان الحق المبين وأنت لك عليّ حق فقد علمتني الخياطة ، وبعد
كلام كثير تركته وخرجت ، وأنا أفكر كيف ابن خالي قد هستر .

قصدت أماكن الطرب ، وأجريت أغنية مطربة جديدة ، وانتهيت
ونجحت في فني فكانت الفرحة للأصدقاء كبيرة جداً ، أما بالنسبة لي
فكانت الفرحة باهتة ، لأن الصراع بدأ بمخيلتي يتقارب ، أفكر وأفكر
تقول لي : أصبحت نجم المطربين ، وأصبحت تملك شخصية مرموقة ،
غداً سأجمع الليرات ، غداً يتهافت عليّ المحبات والمعجبات ، وغداً
سأشتري السيارات ..

ثم تأتي أفكار أخرى إليّ ، فتقول : أحمد جبّق كان مثلك ، وكان
عنده الليرات ، وكان دائماً يشتكي الهم ، والقلق ، وضيق القلب ،
وعندما عرف الدين ، وذاق حلاوة الإيمان ، ترك كل ما كان عليه ،
وأصبح مرناح الضمير ، هادئ البال ، منشرح الصدر .

وكانت هذه الأفكار تتابني وأنا سائر ، ولما وصلت إلى الشياح إلى
شارع الخليل ، حي الجامع ، وإذا قد سمعت صوت المؤذن يقول : الله
أكبر ، حي على الصلاة ... حي على خير العمل .

فقلت في نفسي : أي عمل سأقدم عليه ، وأي عمل أقدمه في
المستقبل ؟ وهكذا كانت أفكاري تحدّثني ، تارة تشوقني إلى الدنيا ،
وأخرى تذكّرني الدين ، والعمل الصالح .

فما فوجئت إلا بيد قبضت على كتفي ، وإذا بها يد ابن خالي الحاج
أحمد جبّق وإذا به يقول : رب صدقة خير من ميعاد ، اليوم الجمعة ،
وأرجو أن تحضر خطبة الجمعة ، وتصلّي جماعة ، عسى الله تعالى أن

يهديك طريقاً مستقيماً .

وبالفعل ما أمكنتني إلا إجابته بجاذبية غير اختيارية ، فدخلت المسجد ، وكان خطيب المسجد الشيخ محمد حسن القبيسي ، فكان قسماً لأولي الأبصار أطل الله بعمره .

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

فمن ذلك اليوم ، ومن تلك الساعة الخيرة ، ومن ذلك المجلس الصالح ، ومن تلك الخطبة ، ومن تلك الموعظة التي سمعتها ممن يخرج كلامه من صميم قلبه ، فيدخل في صميم قلب سامعه ، كما قال الرسول الأعظم ﷺ « إذا خرج الكلام من القلب ، وقع في القلب » .

فمن ذلك اليوم السعيد ، والساعة الخيرة ، تركت كل ما كنت عليه ، وتركت الحلم الذي كنت أحلم به ، تركت الغناء ، تركت الطرب والمطربات ، والمعجب والمعجبات ، تركت كل ذلك لوجه الله تعالى الذي به الكفاية والحماية ، الذي يغني من أطاعه وأحرز رضاه ، عن كل من سواه ، وخرجت من العناء والقلق إلى الراحة والاطمئنان ، خرجت من غنى العباد إلى غنى خالق العباد ، خرجت من حماية المخلوق الضعيف إلى حماية الخالق القوي الذي لا يغلبه غالب ، وبالتالي خرجت من الشقاء إلى السعادة الأبدية في الحياة ، وفي الممات ، وكانت المنّة عليّ أن هداني لمعرفة ، وشرّفتني بطاعته ، وأسبغ عليّ من نعمه التي لا تحصى .

وأخذت أتردد إلى الحاج أحمد جبق ، وأستمع للأشرطة التي سجلها عن القبيسي ، وعن الكاشي ، وبالحقيقة أرجو أن يسمعها كل عاقل وفاهم حتى يقتبس من فوائدها ، ويستنير بضيائها ، ويتنشق من

طبيب عيبرها ، فيحيا من موته ، ويخرج من عماء ومرضه .

بعض الأحلام بشرى وسلام :

لقد رأيت حلماً تفاعلت بأنه بشرى لي على ما هداني ربي ، رأيت سفينة تمخر الماء ، فقلت في نفسي ما أجمل هذه السفينة ، وما أجمل تلك الحمامات التي ترزف فوقها ، البيضاء النقية ، يا ليتني أستطيع أن أصعد على ظهرها ! وكانت السفينة متجهة صوبي ، ووقفت بقربي ، ولكن لم أر السلم الذي يمكنني من الصعود على ظهرها .

وبعد فترة ، صفرت وأفلعت ، وبالحقيقة قد استيقظت على صوت المؤذن ، وهو يقول : الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن علياً ولي الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على خير العمل . قمت إلى صلاة الصبح ، وقصدت الحاج أحمد جبتي ، وأخبرته بالرويا ، فقال لي : أعلن نشيئك وولايتك لإمام الحق والعدل ، جاهر بولايتك لأمير المؤمنين ، وهذه هي السفينة التي أمر رسول الله ركوبها ، وحصر النجاة والفوز بالصعود إليها ، حيث يقول الرسول الأعظم ﷺ :

« أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هوى » .

وقد أعطاني الحاج أحمد جبتي عذة كتب ، ومن جعلتها كتاب (المراجعات) .

إعلان موالاتي لأهل بيت النبي خروجي من الظلام إلى النور :

● والذي مسلم سني ، اسمه خضر العموري .

والدتي مسلمة شيعية ، اسمها نزهة جبتي متديّنة جداً متمسكة بولاء

علي بن أبي طالب ، وأهل بيته المعصومين ، الذي يقول فيهم الإمام الشافعي :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم
ركبت على اسم الله في سفن النجا
وأمسكت جبل الله ، وهو ولاؤهم
إذا اشرقت في الدين سبعون فرقة
ولم يك ناج منهم غير فرقة ،
أنسى الفرق الهلاك آل محمد ،
فإن قلت : في الناجين ، فالقول واحد ،
إذا كان مولى القوم منهم ، فإنني
فخلوا علباً لي ولياً ، ونسله ،

ونعم من قال :

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً
فدع عنك قول الشافعي ، ومالك ،
ووال أناساً قولهم وحديثهم :

ونعم من قال في عظمة أهل البيت عليهم السلام :

من معشر ، حبههم دين و بغضهم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

وقال :

وجدهم خير الخلائق كلهم
وهم آل بيت المصطفى سيد الورى

ومذهبهم ما أنزل الله غيره
وفي الصلوات الخمس أوجب ربهم
وأجمع كل المسلمين بأنه
وإن قلت من أفسى الأنام جميعهم
فلولا هم ما كان في الدهر مؤمن
تمسكت بالهادين آل محمد
فمن عاب قول الحق لا شك أنه
وهم من جميع الخلق أذكى وأفهم
على كل من صلى الصلاة عليهم
جميع الذي جازوه بالدين محكم
وأعلمهم نادت أعاديهم : هم
ولولا هم والله ما كان مسلم
فلأنني بهم من شدة النار أسلم
جهول ، سخيف الرأي ، أعمى وأبكم

● لقد مات والدي وأنا جنين في بطن أمي ، ولما ولدت سمّني
أمسي على اسم والدي (خضر خضر العموري) ، وقد
ولدت (سنة ١٩٢٨ م) ، في قرية (مقنة) قضاء بعلبك ، ساكن حالياً
في برج البراجنة ، متزوج ولدي خمسة أولاد ، نشأت كما عليه الناس ،
والآن وقفت حباتي في مدح أهل الحق والعدالة الإنسانية ، وهم أهل بيت
محمد ﷺ ، الذين هم العلامة الفارقة بين الهدى والضلال^(١) .

(١) ماذا في التاريخ : ١٣ / ٣٤٣ .



الشيخ خليل إبراهيم هاشم

أنا خليل ابن إبراهيم وُلدت (سنة ١٩٦٦ م) في بلدة (شبعاء) ،
في العرقوب ، قضاء (حاصبيا) ، التي تقع على سفوح (جبل الشيخ)
المسمى بجبل (حرمون) .

وفي (سنة ١٩٦٩ هـ) انتقل أهلي من بلدة (شبعاء) إلى
(بيروت) ، وكان لي من العمر ثلاث سنوات . دخلت « مدرسة
الروضة » في منطقة (الشياح) تعلّمت هناك ثلاث سنوات . ثم انتقل
أهلي إلى منطقة (حي السلم) ، فدخلت « مدرسة الغزالي » في المرحلة
الابتدائية ، وتعلّمت هناك إلى الصف الرابع الابتدائي ، ثم انتقلنا إلى
« حي الصحراء » التابعة للشريفات ، إحدى مناطق جبل لبنان جغرافياً ،
وكنّت في سن الحادية عشرة ، فتعلّمت في « مدرسة البر والإحسان » في
المنطقة المذكورة .

وكان يشتغل والدي في (معمل غندور) في (الشياح) ، ثم انتقل
إلى (معمل غندور) في (الشويفات) ، وبدأ يمارس عمله هناك ، وكان
أهلي جاهلين بالأمور الدينية ، ولم يكن عندهم اطلاع على مذهبهم السني

من المذاهب الأربعة ، ولكن كانوا متعصبين لسنّيتهم عقائدياً ، وغير ملتزمين بها بشائناً ، وما كانوا يعرفون من المذهب شيئاً سوى أنهم مسلمون من أهل السنّة والجماعة . فتعرف والذي على بعض العمال في المعمل ، وكانوا من مختلف المذاهب ، وسمعهم يتعصبون لمذاهبهم ، فتعصب لسنّيته أكثر فأكثر ، وكان يحدثنا بما كان يجري أمامه في المعمل .

وبدأ العمال يكره بعضهم بعضاً ، وكان يقع الجدل بينهم ليتخذ شكل الحدة وصولاً إلى أعلى مراتب التعصب ، حتى بدأت أناقش والذي حول المذهب فتأثرت من تلك المناقشات والنعرات الطائفية التي وصلت إلى ذروتها ، وبدأت أجادل رفاقي وزملائي الشيعة في المدرسة والملعب ، وهم يقولون لي : أنتم السنّة لا أمان لكم ! وعندما أذهب إلى رفاقي السنّة يقولون : إن الشيعة لا أمان لهم فإنهم خوارج !

وكنت أقف متحيراً بين الفكر الشنّي والشيعة ، وكان هناك شاب سنّي يدهى « إبراهيم دلّي » كان أحد أفراد كرة القدم ، تابع له (كشافة^(١) الرسالة الإسلامية) فعلى هذا كنت أنتفذه كثيراً لأن عناصر الفريق ينتمون إلى المذهب الشيعي ، وكنت أقول له : إن أهلنا يقولون : إن الشيعة خوارج ! فلماذا تخالطهم وتلعب معهم ؟ ولكن في نفس الوقت كنت أرغب في اكتشاف الأمر الواقع .

وكان الأستاذ عدنان أبو مرعي يدرّسنا الدروس الدينية في المدرسة ، فتحدث يوماً عما جرى بين الإمام علي عليه السلام ، وعمرو بن عبد ود العامري « يوم الخندق » ، وكيف برز الإمام علي عليه السلام إلى عمرو ، وهو أصغر سنّاً بين المسلمين الحاضرين ، والنبي صلى الله عليه وآله كان

(١) الكشافة : مجموعة من الشبيبة عادة تنشأ في المدارس ، لتقوم ببعض النشاطات الاجتماعية المحدودة .

يقول لهم : من لعمرو وأنا ضامن له على الله الجنة ؟ فيخرسون ، لما رسخ في أذهانهم من رجولة عمرو ، وشدة بطشه وفتكه ا فكرر النبي ﷺ الطلب والضمان عدة مرات ا ومع ذلك لم يستجب لطلبه في كل مرة إلا علي ﷺ فقال له النبي ﷺ : يا علي ا إنه عمرو بن عبد ود فارس بني ياليل ، فقال : بلى يا رسول الله ا وأنا علي ابن أبي طالب فارس بني هاشم ا .

فبرز علي إلى عمرو ، وقال النبي ﷺ حينذاك : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » وبعد (حوار) بين علي ﷺ وعمرو ، ضرب الإمام عمرواً على رجليه فقطعها ، ثم جلس علي على صدره ، فتفل ذلك الكافر على وجه الإمام ، فتأخر عن قتله لحظات ، ثم بعدها قطع رأسه ، ورجع به إلى رسول الله ﷺ ، ولما سأله النبي ﷺ عن سبب تباطئه في جز رأس عمرو ، أجابه الإمام علي قائلاً : « يا رسول الله ا عندما جلست على صدره أثار غيظي وغضبي بتفله على وجهي ، فما أحببت أن أقتله شفاء لغضبي ، وإنما أردت أن يسكت الغضب عني ، فيكون قتلي إياه غضباً لله ، وليس غضباً لنفسي » .

وتابع الأستاذ كلامه : عندما حضرت أخت عمرو عند أخيها المقتول ، وجدته في لباسه ودرعه وسيفه على غير العادة التي كانت جارية عند العرب حيث أنه إذا قتل أحد شخصاً ، فكان يسلب لباس المقتول ، ودرعه ، وسيفه ، فقالت : « ما قتله إلا كفو كريم » وأنشأت قائلة :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنك أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدهى أبوه بيضة البلد^(١)

(١) رئيس قوم أو بلد ، مرجع الناس إليه في شؤونهم .

وعندما سمعت هذا الحديث من الأستاذ ، وقع حب الإمام علي عليه السلام في قلبي ، فجئت إلى البيت ، وسألت أهلي عن الخلفاء الثلاثة فقالوا : إنهم من خواص أصحاب الرسول ! ولكنني بقيت أفكر بالإمام علي عليه السلام ، ولم أعط الأهمية لمثل أولئك الأصحاب .

وكنت أتابع التحقيق في المسائل الدينية المتنازع عليها ، بتوجيه الأسئلة المختلفة إلى الأساتذة والمشائخ من السنة والشيعة .

وفي سن الرابعة عشرة انتقلت إلى « مدرسة الغدير الرسمية » الواقعة في منطقة (المريجة) من ضاحية بيروت الجنوبية ، والتحقت هناك بالمرحلة المتوسطة الأولى ، وتعرفت هناك على رفاق كانوا ينتمون إلى الأحزاب والتيارات المختلفة ، وكنت بكامل وعيي لا أبحث إلا عن الحقيقة وكان يأتي أستاذ إلى المدرسة لتدريس الدين ، وما كانت لي رغبة في حضور ذلك الدرس ، وكان الرفاق يقولون لي : لماذا لا تحضر الدرس ؟ كنت أقول لهم : ليست لي رغبة في ذلك ، فقال أحد رفاقي يوماً : لقد تحدث الأستاذ اليوم عن مخلص البشرية الإمام المهدي ، عجل الله تعالى فرجه الشريف ، يخرج في آخر الزمان هو من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله ، اسمه على اسم جده محمد ، وكنيته على كنيته « يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » .

وهكذا كان الرفاق يتحدثون كل يوم عن شيء من الدين ، وأنا كنت أتجاهل أحياناً ، ولا أهتم بالأحاديث الدينية ، وكنت أفكر في بعض الأوقات في الذي أسمعه منهم ، وكنت أسأل أحياناً عن الصحة والخطأ ، وهكذا كنت أعيش ذهنية غير مستقرة على مبدأ أو فكر ، كل واحد كان يدعو إلى جهة أذهب معه ، ولكن كنت متمسكاً بفكر المذهب السنّي

إجمالاً ، دون التزام بتعليماته .

ونتيجة هذه المتاهات تعرفت على التيار الشيوعي من خلال « جمعية الشباب الديمقراطية » ، وكنت أحضر دروسهم الحزبية كل نهار جمعة ، في بيت أحد العناصر ، وكان يقول المدرّس : إن الدين لا دخل له بالعمل الديمقراطي ، ويُخاطبنا أحياناً قائلاً : نحن لا دخل لنا إن صليتم ، أو لم تصلوا ! إن المهم أن تكونوا « حماة الوطن » . وكانوا يُرغبونا بالفرق الرياضية والكشفية ، ومع كل هذه الدروس والمحاضرات لم يتغير عندي شيء ، ولم أتاثر بأفكارهم .

ثم تعرّفت على إخوة في مدرسة الغدير ، كانوا ينتمون إلى تيار إسلامي « حركة أمل » ، وكانت لهم ساعة معينة لدرس الدين ، وكانوا يشجعونني على حضور ذلك الدرس ، فلم أهتم بقولهم في بادئ الأمر ، ولكن بدأت أفكر بكلامهم وأمورهم الدينية ، وأخذت نفسي تميل إلى مذهبهم ، وهذا كان بداية التردد في مذهبي السنّي ، فقرّرت أن أحضر ساعة الدين لإرضاء هؤلاء الإخوة ، وكان مدرّسنا في ذلك الوقت هو الأستاذ خضر الموسوي .

فعندما حضرت أول درس ، كان يتحدث عن النبي محمد المصطفى ﷺ ، وعن النبوة بشكل عام ، فأحببت درسه . فعند ذلك اليوم واظبت على الحضور ، وظلّ يدرس هذا الأستاذ حتى المرحلة الثالثة المتوسطة .

ثم جاء في المرحلة الرابعة الأستاذ صلاح العنّ ليُدرّسنا ، وقد تعلّمت دروساً عديدة من هؤلاء الأساتذة ، لا سيّما كيفية الصلاة وأصول الدين الخمسة : التوحيد ، العدل ، النبوة ، الإمامة ، المعاد ، ولكن لم

أصل إلى درجة الاعتقاد بها حتى وصلت إلى السنة الأولى من المرحلة الثانية .

و كنت أذهب مع صاحبي إسماعيل حمدان ، وهو سني المذهب من بلدي إلى ابن عمه محمد شاكر حمدان الذي كان مؤذناً في مسجد (الطريق الجديدة) ، ف كنت أطرح عليه بعض الأسئلة ، وكان يرد عليها ، ولكن دون جدوى ، فكان يجرني إلى شيخ سني كان يعلم طلاب العلوم الدينية التابعين للمذهب السني ، فما كنا نجد الشيخ هناك ، فنجلس مع الطلاب ، وكنت أتحدث عن ولاية أهل البيت عليهم السلام ، وكانوا يقولون : لماذا الشيعة يعترضون على خلافة أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله ؟ مع أنه نُصب من قبل النبي صلى الله عليه وآله ؟ فقلت : ما هو الدليل على ذلك ؟ فقالوا : قول الرسول صلى الله عليه وآله للحاضرين عنده قبل وفاته : إن الخليفة من بعدي أقرب الناس إلي ، وكان أقرب الناس إليه في ذلك الوقت أبا بكر ! فيكون مستحقاً للخلافة بعده مباشرة ، ولكنني لم أقتنع بذلك الدليل .

وجئت إلى الأستاذ الشيعي الذي كان يدرسنا في (ثانوية الرئيس الرسمية) في (بيروت) وقلت له : ما الدليل على خلافة الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ؟ فقال : هو قول النبي صلى الله عليه وآله : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » حينما انصرف من حجة الوداع فعقد لعلي موكب للتهتة حتى أن أبا بكر نفسه ، وعمر ، كانا من جماعة المهتئين للإمام ، يقولان : « بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة » .

ف كتبت الحديث على ورقة صغيرة ، واحتفظت بها ، وذهبت بعد مدة أنا وإسماعيل حمدان إلى بيت ابن عمه الكائن في (الطريق الجديدة) ، وطلبنا منه الذهاب إلى الشيخ في المسجد ، فوجدناه هناك

وهو فلسطيني الأصل ، قد تخرج من جامعة الأزهر بمصر .

وعندما دخلنا إليه قالوا له : هذا هو الأخ خليل هاشم ! فعرفت أنهم ذكروني عنده سابقاً في غيابي ، فقام الشيخ للصلاة ونحن كذلك صلينا معه ، وعندما انتهى من الصلاة ، قال لي : ما هي القصة ؟ قلت له : أريد أن أعرف الحقيقة ! فقال : وأيّ حقيقة ؟ قلت : جئت إليكم من قبل ، ولم أجدكم ، فتحدثت مع الطلاب حول الخلافة بعد النبي ﷺ ، وسألتهم ! إنكم تقولون بخلافة أبي بكر بعد النبي ﷺ فما هو دليلكم ؟ فقالوا : من كان أقرب الناس عند النبي وقت الوفاة ! فقال الشيخ : نعم ! هذا هو الصحيح ، فقلت : إن الشيعة يقولون : إن الخلافة بعد النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام ويستدلون بقول الرسول يوم الغدير « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » عندما انصرف النبي ﷺ من حجة الوداع ، وجمع الناس هناك ، وتكلم بهذا الكلام ، وكلامه هذا موجود في كتب السنة والجماعة ! فأجاب الشيخ بنبرة قوية قائلاً : نعم ! موجود ، ماذا تريد أنت ؟ إن الشيعة يختارون عندي مذهب السني ! أنت من ؟ وكان هناك شخص واقفاً فقال : أنا كنت شيعياً والحمد لله صيرتُ سنياً ، فقلت بصوت هادئ : « أنا أريد معرفة الحقيقة فقط بأن الحديث « من كنت مولاه . . الخ » ورد بحق الإمام علي عليه السلام أم لا ؟ فقال الشيخ : نعم ! ورد بحق الإمام علي عليه السلام ، ومن يحب الرسول يجب عليه أن يحب الإمام علي عليه السلام . انتهى كلام الشيخ .

فقمنا أنا وصاحبي إسماعيل ، وابن عمه من المسجد ، وعندما خرجنا بدأت أفكر في كلام آخر للشيخ وهو : « إن أبا بكر كان من أصحاب الرسول ، وسُني صديقاً لتصديقه بالنبي ﷺ ! ونزلت الآية : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي

الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ﴿^(١)﴾ بحق أبي بكر ، وكنت أتحدث في نفسي أن الآية ليست في حق الشخص المذكور ، فأنا أحقق في الأمر جيداً وكتبت في مذكرتي « المطلوب تحقيق شأن نزول الآية : ﴿ إذ أخرجه الذين ﴾ الخ .

وذهبت إلى السيد ، وكان في الحسينية ، وسألت عن الآية بحق من نزلت ؟ قال : إنها نزلت بحق الرسول ﷺ ، وأبي بكر ، عندما كانا في الغار ، وكان كفار قريش يلاحقون النبي ﷺ ، وعندما وصلوا قرب الغار يتحدثون عنهما ، فسمع أبو بكر ، فخاف على نفسه فقال النبي ﷺ لصاحبه . . أبي بكر : « لا تحزن إن الله معنا . . الخ » فكيف يمكن أن يكون صاحباً للنبي ﷺ وهو يخاف ؟ والله والنبي معه ! وهذا ينافي اعتقاده بالنبوة ، فلا يمكن أن يكون مثل هذا خليفة للنبي ﷺ . بينما الإمام علي عليه السلام قد ضحى بنفسه لحماية النبي ﷺ عندما بات على فراشه ، وكان البيت محاصراً من قبل الأعداء لقتل النبي ﷺ .

وذهبت مرة أخرى إلى بيت محمد شاكر لكي أذهب معه إلى بيت الشيخ أو المسجد لبعض الأسئلة ! فعندما رأيته الشيخ قال لي : أنصحك أن تباعد عن هؤلاء الشيعة ! قلت له : أريد أن أعرف الحقيقة .

ولم أستفد منه شيئاً ، ولكنني كنت أطلع بعض الكتب لمعرفة الأمور المختلف عليها بين السنة والشيعة ، وكنت أسأل مشايخ الفريقين عن بعض المسائل المختلفة فسألت أستاذ الدين عن آية في حق الإمام علي عليه السلام ، فقال : آية ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ^(٢) نزلت في حق الإمام

(١) سورة التوبة، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ٥٥ .

علي عليه السلام ، عندما تصدق بخاتمه في حالة الركوع .

وأيضاً أحببت أن أعرف هل هذا ثابت في كتب السنة والجماعة ؟
فوجدت في كتب كثيرة لأهل السنة والجماعة أن الآية المذكورة نزلت في
حق الإمام علي عليه السلام ، ولكن قال بعضهم من ليس له حظ في العلم
والثقافة ، وبعيد عن العدل والإنصاف : إن ثبوت الآية في حق الإمام
علي عليه السلام ضعيف ، ولم أعط أهمية لكلامه ، لأنه عار عن الصحة بل
الصحيح ما اطلعت على التحقيق الوارد حول الآية في كتاب « لماذا
اخترت مذهب أهل البيت عليهم السلام للمجاهد العلامة المرحوم الشيخ محمد
مرعي الأمين الانطاكي :

فيقول بعد استعراض الآية : « اتفق جميع أهل البيت عليهم السلام ،
وعلماء التفسير والحديث ، من الشيعة بقضائها وقضيضها ، وكثير من
مفتري السنة بل جميعهم ، على أن هذه الآية الكريمة نزلت في علي
أمير المؤمنين عليه السلام ، عندما تصدق بخاتمه على المسكين ، وهو يصلي
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إن ذلك كان مسلماً عند الأصحاب في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتابعين ، والشعراء السابقين ، ونظموه في
أشعارهم ، وسنورد لك أيها القارئ اللبيب بعض من نص على ذلك من
علماء السنة في هذا الكتاب » ، فراجع تجد ما فيه الكفاية .

وسألت الشيخ من أهل السنة والجماعة : من هم أهل البيت ؟
الذين خصهم الله بالذكر في القرآن بقوله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ^(١) فكان جوابه : أهل البيت هم
نساء النبي صلى الله عليه وسلم ! فذهبت إلى أستاذ الدين وسألته : هل المراد من كلمة

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٣ .

« أهل البيت » الواردة في آية التطهير نساء النبي ﷺ ؟ قال : لا ! إن نساء النبي ﷺ خوطبن بنون النسوة في القرآن مثل ﴿ إن كنتن تردن الله ورسوله ﴾ ^(١) ومثل ﴿ من يأت منكن بفاحشة مبينة ﴾ ^(٢) وهكذا في آيات أخرى ، وأما في آية التطهير فقد ورد الخطاب بضمير المذكر للأغلب ، كما هو معروف بحديث الكساء حسب اتفاق الفريقين . وقد سُمع في المجالس النبوية التي يقيمها أهل السنة والجماعة : « اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وعلى أزواج محمد » فلو كانت كلمة آل محمد شاملة لنسائه لاكتفوا بقولهم : « اللهم صلّ على محمد ، وعلى آل محمد » انتهى كلام الأستاذ .

وهناك تحقيق حول الموضوع للمجاهد العلامة المرحوم الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي في كتابه « لماذا اخترت مذهب الشيعة » أنقل إليكم بعضه ، قال ﷺ : « ولو كانت شاملة لنساء النبي ﷺ خصوصاً عائشة ، لعلّلت وزمّرت ، وأسّمت الأحياء جميعاً حتى الموتى . ثم لو أريد الأزواج منها على نحو الاختصاص ، أو الاشتراك مع الخمسة ، لكانت أم سلمة أحق بالدخول ، لمنزلتها عند رسول الله ﷺ ونزول الآية في بيتها ، فلما لم يرد أخرجها رسول الله ﷺ بجذب الكساء من يدها ، ويقول حينما سألته : ألسْتُ من أهلك ؟ « لا ! قني مكانك وأنت إلى خير » كما أخرج عائشة وزينب بمنعهما من الدخول معهم ، وأجابهما بمثل ما أجاب به أم سلمة . وما غشى رسول الله ﷺ ، عليّاً وفاطمة والحسين بالكساء والوى يده عليهم مخاطباً لهم ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٣٠ .

تطهيراً ﴿ إلا ليفصلهم عن غيرهم من المسلمين أجمع أزواجه وغيرهن .
وقوله « اللهم هؤلاء أهل بيتي » وفي رواية « أهلي » أي لا غيرهم .
فالمفسر للآية رسول الله ﷺ فأي تفسير يُقبل بعد تفسيره .

وأيضاً إن أكبر دليل على عدم كون نساء النبي ﷺ من أهل بيته :
عدم إخراجهم لهم يوم باهل نصارى (نجران) ، وكان قد وعدهم بإخراج
نسائه على ما حكاه القرآن بقوله : ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا
ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ ^(١) كما خاطب سيد النصارى حزه قائلاً .
« إن أخرج محمد ﷺ بأهل بيته ، فلا تباهلوه ، وإن أخرج بأصحابه
فبأهلوه » ، ويأجماع من المفسرين والمؤرخين أن النبي ﷺ ، لم يخرج
معه للمباهلة سوى علي وفاطمة ، وابنيهما الحسين ﷺ ، فأنجلي أنهم
أهل بيته دون غيرهم ، ولو وجد سواهم لأخرجه النبي ﷺ بياهل به في
أعظم موقف تنازع فيه الحق والباطل .

فهؤلاء الذين باهل بهم النبي ﷺ نصارى (نجران) هم الذين
أذهب الله عنهم الرجس في القرآن المجيد « (ا هـ) .

وهناك تفاصيل أخرى في الموضوع فراجع كتابه ﷺ ينجلي أمامك
المطلوب أكثر فأكثر ، وأنا بدوري اقتنعت بما قال لي أساتذة الدين
ومشائخ مذهب أهل البيت ﷺ ، وبما بذلت جهدي بالمطالعة والتحقيق
فاستبصرت أخيراً ، وبعد الاستبصار دخلت الحوزة العلمية الدينية
الجعفرية ، وتعلمت هناك ستين ، وكنت أتابع دراستي المرحلية في
المدارس العصرية ، حتى وصلت إلى مرحلة الجامعة ، وما زلت أتابع
دراستي في كلا المجالين ، وقد أعلنت عن تشييمي (بتاريخ

(١) سورة آل عمران، الآية : ٦١ .

١٢/٥/١٩٨٩) ، وأبلغت دوائر النفوس في الدولة كي يسجلوا على هويتي (شيعي) بدل (سني) لأجل أولادي .

وقد حصلت على بطاقة الهوية المسجل عليها (شيعي) وأنا أفتخر كثيراً بانتمائي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . والحمد لله رب العالمين .

خليل هاشم

الراهب والراهبة مع الإمام الكاظم عليه السلام

● عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن علي ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر ، قال :

كنت عند أبي إبراهيم عليه السلام فأتاه رجل من أهل نجران اليمن ، من الرهبان ومعه راهبة ، فاستأذن لهما الفضل بن سوار ، فقال له : إذا كان غداً فات بهما عند بئر زمزم .

قال : فوافينا من الغد ، فوجدنا القوم قد وافوا ، فأمر بخصفة بوارى ، ثم جلس وجلسوا ، فبدأت الراهبة بالمسائل ، فسألت عن مسائل كثيرة ، كل ذلك يجيبها الإمام عليه السلام .

ثم سألتها أبو إبراهيم عليه السلام : عن أشياء لم تكن عندها ، ثم أسلمت وآمنت مطيعة مظعنة لله ثم أقبل الراهب يسأله ، فكان يجيبه في كل ما يسأله ، فقال الراهب : قد كنت قوياً على ديني ، وما خلفت أحداً من النصراني في الأرض يبلغ في العلم مبلغى .

ولقد سمعت برجل في الهند ، فسألت عنه بأي أرض هو . فقيل لي : إنه (بسبذان) ، وإنه إذا شاء حج إلى بيت المقدس في يوم وليلة ،

ثم يرجع إلى منزله بأرض الهند

وسألت الذي أخبرني فقال : هو علم الاسم الذي ظفر به آصف صاحب سليمان عليه السلام لما أتى بعرش سبأ ، وهو الذي ذكره الله لكم في كتابكم ، ولنا معشر الأديان في كتبنا .

فقال أبو إبراهيم عليه السلام : فكم لله من اسم لا يرد ؟ فقال الراهب : الأسماء كثيرة كثيرة . فأما المحتوم منه الذي لا يرد سائله فسبعة ، فقال له أبو إبراهيم عليه السلام : فأخبرني عما تحفظ منها . قال الراهب : لا والله الذي أنزل التوراة على موسى ، وجعل عيسى عبدة للعالمين ، وفننة لشكر أولي الألباب ، وجعل محمداً صلى الله عليه وآله بركة ورحمة ، وجعل علياً عليه السلام عبدة وبصيرة ، وجعل الأوصياء من نسله ونسل محمد ، ما أدري ، ولو دريت ما احتجت فيه إلى كلامك ، ولا جئتك ، ولا سألتك !

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام : عد إلى حديث الهندي . فقال له الراهب : سمعت بهذه الأسماء ، ولا أدري ما بطانتها ، ولا شرائعها ، ولا أدري ما هي ، ولا كيف هي ، ولا بدعائها . فانطلقت حتى قدمت (سبذان الهند) فسألت عن الرجل ، فقيل لي : إنه بنى ديراً في جبل ، فصار لا يخرج ولا يرى إلا كل سنة مرتين ، وزعمت الهند أن الله فجر له عيناً في ديره ، وزعمت الهند أنه يزرع له من غير زرع يلقيه ، ويحرق له من غير حرث يعمله .

فانتهيت إلى بابه ، فأقمت ثلاثاً لا أدق الباب ، ولا أعالجه . فلما كان اليوم الرابع جاءت بقرة عليها حطب تجر ضرعها يكاد يخرج ما في ضرعها من اللبن ، فدفعت الباب فانفتح ، فتبعته ودخلت ، فوجدت الرجل قائماً ينظر إلى السماء فيبكي ، وينظر إلى الأرض فيبكي ، وينظر

إلى الجبال فيبكي !

فقلت : سبحان الله ما أقل ضربك في دهرنا هذا ! فقال لي : والله ما أنا إلا حسنة من حسنات رجل خلّفته ورث ظهرك ! فقلت له : أخبرت أن عندك من أسماء الله ما تبلغ به في كل يوم وليلة بيت المقدس الذي بالشام .

قال : ليس بيت المقدس ، ولكنه البيت المقدس ، وهو بيت آل محمد ﷺ . فقلت له : أما ما سمعت به إلى يومي هذا فهو بيت المقدس . فقال لي : تلك محاريب الأنبياء ، وإنما كان يقال لها : حضيرة المحاريب ، حتى جاءت الفترة .

فقلت : إني قد ضربت إليك من بلد بعيد ، تعرّضت إليك بحاراً وغموماً ، وهموماً وخوفاً ، وأصبحت وأمسيّت مؤيساً ، ألا أكون ظفرت بحاجتي ؟!

فقال لي : ما أرى أمك حملت بك إلا وقد حضرها ملك كريم ، ولا أعلم أباك حين أراد الوقوع بأمك إلا وقد اغتسل وجاءها على طهر ، ولا أزعم إلا أنه قد كان درس السفر الرابع من شهره ذلك ، فختم له بخير .

إرجع حيث جئت ، فانطلق حتى تنزل مدينة محمد ﷺ ، التي يقال لها (طيبة) ، وقد كان اسمها في الجاهلية (يثرب) ، ثم اعمد إلى موضع منها يقال له (البقيع) ، ثم سل عن دار يقال لها (دار مروان) فانزلها ، وأقم ثلاثاً ، ثم سل الشيخ الأسود الذي يكون على بابها يعمل (البوارى) ، وهي في بلادهم ، واسمها (الخصف) فالطف بالشيخ وقل له : بعثني نزيلك الذي كان ينزل في الزاوية في البيت الذي

فيه الخشبيات الأربع ، ثم سله عن فلان بن فلان ، وسله أين ناديه ، وسله أي ساعة يمر فيها فيريكاه ، أو يصفه لك ، فتعرفه بالصفة ، وسأصفه لك . قلت فإذا لقيناه أصنع ماذا ؟ قال : سله عما كان ، وعما يكون ، وسله عن معالم دين من مضى ، ومن بقي .

فقال أبو إبراهيم عليه السلام : قد نصحك صاحبك الذي لقيت ! فقال الراهب : ما اسمه جعلت فداك ؟ قال : هو متمم بن فيروز ، وهو من أبناء الفرس ، وهو ممن آمن بالله وحده لا شريك له ، وعبدته بالإخلاص والإيقان ، وفرّ من قومه لما خافهم ، فوّهب له ربه حكماً ، وهذه سبيل الرشاد ، وجعله من المتقين ، وعرف بينه وبين عباده المخلصين ، وما من سنة إلا وهو يزور فيها مكة حاجاً ، ويعتمر في رأس كل شهر مرة ، ويجيء من موضعه من (الهند) إلى (مكة) ، فضلاً من الله وعوناً ، وكذلك يجزي الله الشاكرين .

ثم سأل الراهب عن مسائل كثيرة ، كل ذلك يجيبه فيها ، وسأل الراهب عن ثمانية أحرف نزلت فتبين في الأرض منها أربعة ، وبقي في الهواء منها أربعة ، على من تنزل ؟ ومن يفسرها ؟ قال عليه السلام : ذلك قائمنا عليه ينزلها الله عليه فيفسرها ، وينزل عليه ما لم ينزله على سواه .

ثم قال الراهب : فأخبرني عن الإثنين من تلك الأربعة التي في الأرض ، ما هي ؟ قال : أخبرك بالأربعة كلها : أما أولهن : فلا إله إلا الله ، وحده لا شريك له باقياً . والثانية : محمد رسول الله ﷺ مخلصاً . والثالثة : نحن أهل البيت . والرابعة : شيعتنا منّا . ونحن من رسول الله ﷺ ، ورسول الله من الله بسبب .

فقال له الراهب : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،

وأن ما جاء به من عند الله حق ، وأنكم صفوة الله من خلقه ، وأن شيعتكم
المطهرون المستبدلون ، ولهم عاقبة الله والحمد لله رب العالمين .
فدعا أبو إبراهيم بجبة خز وقميص قومي ، وطيلسان ، وخف ،
وقلنسوة ، فأعطاه إياه ، وصلى الظهر ، وقال له : اختتن . فقال :
« اختنت في سابمي ... »^(١) انتهى .

(١) الكافي : ٤٨١ / ١ . ونقلته من كتاب (ماذا في التاريخ : ١٨٢ / ٩) .

راهب نصراني

في (البحار) عن (الخرائج) بأسانيده عن سليمان بن مهران
الأعمش قال :

بينما أنا في الطواف بالموسم ، إذ رأيت رجلاً يدعو ، وهو يقول :
اللهم اغفر لي ، وأنا أعلم أنك لا تغفر ! قال : فارتعدت لذلك ، ودنوت
منه ، وقلت : يا هذا ! أنت في حرم الله ، وحرم رسوله ، وهذه أيام حرم
في شهر عظيم ، فلم تيأس من المغفرة ؟ قال : يا هذا ذنبي عظيم !
قلت : أعظم من جبل نهامة ؟ قال : نعم ! قلت : يوازن الجبال
الرواسي ؟ قال : نعم ! فإن شئت أخبرتك . قلت : أخبرني . قال :
أخرج بنا عن الحرم .

فخرجنا منه فقال لي : أنا أحد من كان في العسكر المشووم ،
هسكر عمر بن سعد ، حين قتل الحسين عليه السلام ، وكنت أحد الأربعين
الذين حملوا الرأس إلى يزيد من الكوفة . فلما حملناه على طريق الشام ،
نزلنا على دهر للنصارى ، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح ، ومعه
الأحراس ، فوضعتنا الطعام ، وجلسنا لناكل ، فإذا بكف في حائط الدبر

تكتب :

أترجو أمة نزلت حسناً شفاعة جده يوم الحساب
قال : فجزعنا من ذلك جزءاً شديداً ، وأهوى بعضنا إلى الكف
ليأخذها فغابت .

ثم عاد أصحابي إلى الطعام ، فإذا الكف قد عادت تكتب :
فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب
فقام أصحابنا إليها فغابت .

ثم عادوا إلى الطعام . فعادت تكتب :
وقد نزلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب
فامتنعت وما هناني أكله .

ثم أشرف علينا راهب من الدير ، فرأى عسكرياً ، فقال الراهب
للحراس : من أين جئتم ؟ قالوا : من العراق ، حاربنا الحسين ! فقال
الراهب : ابن فاطمة بنت نبيكم ؟ وابن ابن عم نبيكم ؟ قالوا : نعم ،
قال : تباً لكم ، والله لو كان لميسى بن مريم ابن ، لحملناه على أحداقنا ،
ولكن لي إليكم حاجة ، قالوا : وما هي ؟ قال : قولوا لرئيسكم : عندي
عشرة آلاف درهم ، ورثتها من آبائي يأخذها مني ، ويعطيني الرأس يكون
عندي إلى وقت الرحيل .

فجاؤوا إلى الراهب ، فقالوا : هات المال حتى نعطيك الرأس ،
فأدلى إليهم جرابين في كل جراب خمسة آلاف درهم . فدعا عمر بالناقد
والوزان فانتقدها ووزنها ، ودفعها إلى خازن له ، وأمر أن يعطى الرأس .

فأخذ الراهب الرأس فغسله ، ونظفه ، وحشاه بمسك وكافور ،
 كان عنده ، ثم جعله في حريرة ، ووضع في حجره . ولم يزل ينوح
 ويبكي حتى نادوه ، وطلبوا منه الرأس ، فقال : يا رأس ! والله لا أملك
 إلا نفسي ، فإذا كان خدأ ، فاشهد لي عند جدك محمد أنني أشهد أن لا إله
 إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أسلمت على يديك ، وأنا
 مولاك ! وقال لهم : إنني أحتاج أن أكلّم رئيسكم بكلمة ، وأعطيه
 الرأس .

فدنا عمر بن سعد فقال : سألتك بالله [و] بحق محمد ، أن لا
 تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس ، ولا تخرج بهذا الرأس من هذا
 الصندوق ، فقال له : أفعل . فأعطاه الرأس ، ونزل من الدبر يلحق
 ببعض الجبال يعبد الله .

ومضى عمر بن سعد . ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول ،
 فلما دنا من دمشق ، قال لأصحابه : إنزلوا ! وطلب من الجارية الجرايين
 فأحضرت بين يديه ، فنظر إلى خاتمه ، ثم أمر أن يفتح ، فإذا الدنانير قد
 تحولت خزفية ، فنظروا في سكتها فإذا على جانبها مكتوب ﴿ ولا تحسبن
 الله خافلاً عما يعمل الظالمون ﴾^(١) وعلى الجانب الآخر مكتوب ﴿ وسيعلم
 الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾^(٢) . فقال : إن الله ، وإننا إليه
 راجعون ، خسرت الدنيا والآخرة !

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٢ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

سلمان الفارسي

من أهم المستبصرين في تاريخ الإسلام ، وأشد معاناة في سبيل الله ورسوله ، هو سلمان الفارسي رضوان الله عليه ، وقد ذكر كثير من المؤرخين عن كيفية إسلامه ، فإليك ما أورده المجلسي رحمته الله في (البحار) عن (إكمال الدين) للشيخ الصدوق رحمته الله (١) الذي روى بأسانيده المعتبرة ، فقال : قال الراوي لموسى بن جعفر رحمته الله : يا بن رسول الله ! ألا تخبرنا كيف كان سبب إسلام سلمان الفارسي ؟ قال : نعم ، حدثني أبي (صلوات الله عليه) ، أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه وآله) ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر ، وجماعة من قريش ، كانوا مجتمعين عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان : يا أبا عبد الله ! ألا تخبرنا بمبدأ أمرك ؟

فقال سلمان : والله يا أمير المؤمنين لو أن غيرك سألني ما أخبرته ، أنا كنت رجلاً من أهل (شيراز) من أبناء الدهاقين ، وكنت عزيزاً على والدي ، فبينا أنا سائر مع أبي في عيد لهم إذا أنا بصومعة ، وإذا فيها رجل

(١) أمالي الصدوق : ٣٦٣ .

ينادي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن عيسى روح الله وأن محمداً حبيب الله ، فرصف حبّ محمد في لحمي^(١) ودمي ، فلم يهتني طعام ولا شراب ، فقالت لي أمي : يا بني ا ما لك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس ؟ قال : فكابرتها حتى سكنت ، فلما انصرفت إلى منزلي إذا أنا بكتاب معلق في السقف ، فقلت لأمي : ما هذا الكتاب ؟ فقالت : يا روزبه إن هذا الكتاب لما رجعنا من عيدنا رأينا معلقاً فلا تقرب ذلك المكان ، فإنك إن قرأته قتلك أبوك .

قال : فجاهدتها حتى جنّ الليل ، ونام أبي وأمي ، فقمّت وأخذت الكتاب فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من الله إلى آدم ، إنّه خالق من صلبه نبياً يقال له : محمد ، يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن عبادة الأوثان ، يا روزبه إئت وصيّ عيسى فأمن ، واترك المجوسية .

قال : فصعقت صعقة ، وزادني شدة ، قال : فعلم أبي وأمي بذلك فأخذوني ، وجعلوني في بشر عميقة ، وقالوا لي : إن رجعت وإلاّ قتلناك ا فقلت لهم : افعلوا بي ما شئتم ، حبّ محمد لا يذهب من صدري .

قال سلمان : والله ما كنت أعرف العربية قبل قراءتي الكتاب ، ولقد فهمني الله العربية من ذلك اليوم ، قال : فبقيت في البئر فجعلوا ينزلون إليّ قرصاً صغاراً ، فلما طال أمرّي رفعت يدي إلى السماء ، فقلت : يا رب ا إنك حبيب محمد وأوصيته إليّ ، فبحقّ وسيلته عجل فرجي ، وأرحني ممّا أنا فيه ، فأتاني آت عليه ثياب بيض قال : قم يا روزبه ، فأخذ بيدي وأتى بي الصومعة^(٢) فأنشأت أقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ

(١) في المصدر : فرسخ وصف محمد في لحمي .

(٢) في المصدر : إلى الصومعة .

عيسى روح الله ، وأنّ محمداً حبيب الله فأشرف عليّ الديرانيّ فقال : أنت روزبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : إصعد ، فأصعدني إليه ، وخدمته حولين كاملين ، فلمّا حضرته الوفاة قال : إنّي ميّت ، فقلت له : فعلى من تخلفني ؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتي إلّا راهباً^(١) بأنطاكية ، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام ، وادفع إليه هذا اللوح ، وناولني لوحاً .

فلما مات ، غسلته وكفّنته ودفنته ، وأخذت اللوح وصرت به إلى (أنطاكية) ، وأتيت الصومعة ، وأنشأت أقول : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ عيسى روح الله ، وأنّ محمداً حبيب الله ، فأشرف عليّ الديرانيّ فقال لي : أنت روزبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : أصعد ، فصعدت إليه ، فخدمته حولين كاملين ، فلمّا حضرته الوفاة قال لي : إنّي ميّت ، فقلت : على من تخلفني ، فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتي^(٢) إلّا راهباً^(٣) بالاسكندرية ، فإذا أتيت فآقرئه منّي السلام ، وادفع إليه هذا اللوح .

فلما توفّي غسلته وكفّنته ودفنته ، وأخذت اللوح ، وأتيت الصومعة ، وأنشأت أقول : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ عيسى روح الله ، وأنّ محمداً حبيب الله ، فأشرف عليّ الديرانيّ ، فقال : أنت روزبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : إصعد . فصعدت إليه ، وخدمته حولين كاملين ، فلمّا حضرته الوفاة ، قال لي : إنّي ميّت قلت : على من تخلفني ؟ فقال : لا أعرف أحداً يقول بمقالتي^(٤) في الدنيا ، وإنّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب قد حانت ولادته ، فإذا أتيت فآقرئه منّي السلام ، وادفع إليه

(١) راهب خ ل . أقول ، في المصدر : 'يقول بمقالتي هذه إلا رهباناً في (أنطاكية) .

(٢) في المصدر : 'يقول بمقالتي هذه' .

(٣) راهب - خ ل .

(٤) في المصدر : 'يقول بمقالتي هذه' .

هذا اللوح .

فلَمَّا توفِّي غَسَلته وكَفَّنته ودفنته ، وأخذت اللوح ، وخرجت فصحبت قوماً فقلت لهم : يا قوم أكفوني الطعام والشراب أكفكم^(١) الخدمة ؟ قالوا : نعم ، قال : فلَمَّا أرادوا أن يأكلوا شدوا على شاة فقتلوا بالضرب ، ثم جعلوا بعضها كباباً ، وبعضها شواء^(٢) ، فامتنعت من الأكل ، فقالوا : كل ، فقلت : إنِّي غلام ديراني ، وإن الديرايين لا يأكلون اللحم ! فضربوني وكادوا يقتلونني .

فقال بعضهم : أمسكوا عنه حتَّى يأتيكم شراب^(٣) ، فلمَّا لا يشرب ، فلَمَّا أتوا بالشراب قالوا : إشرَب ، فقلت : إنِّي غلام ديراني ، وإن الديرايين لا يشربون الخمر ، فشَدوا عليّ ، وأرادوا قتلي ، فقلت لهم : يا قوم لا تضربوني ، ولا تقتلونني ، فلمَّا أقر لكم بالعبودية ، فأقررت لواحد منهم ، وأخرجني وباعني بثلاثمائة درهم من رجل يهودي .

قال : فسألني عن قصتي فأخبرته ، وقلت : ليس لي ذنب إلَّا أن أحبيت^(٤) محمداً ووصيته ، فقال اليهودي : وإنِّي لأبغضك وأبغض محمداً ، ثم أخرجني إلى خارج داره وإذا رمل كثير على بابه ، فقال : والله يا روزه لئن أصبحت ، ولم تنقل هذا الرمل كله من هذا الموضع ، لأقتلنك ، قال : فجعلت أحمل طول ليلي ، فلَمَّا أجهدني التعب ، رفعت يدي إلى السماء فقلت : يا رب إنك حبيت محمداً ووصيته إليّ ،

(١) في المصدر : «أكفكم الخدمة» .

(٢) في المصدر : «وبعضها شواء» .

(٣) في المصدر : «حتَّى يأتيكم شرابكم» .

(٤) في المصدر : «ألا أني أحبيت» .

فبحق وسيلته عجل فرجي ، وأرحني مما أنا فيه ، فبعث الله عز وجل ريحاً فلفت ذلك الرمل من مكانه إلى المكان الذي قال اليهودي .

فلما أصبح نظر إلى الرمل قد نقل كله ، فقال : يا روزبه أنت ساحر ، وأنا لا أعلم ، فلاخرجتك من هذه القرية لئلا تهلكها ، قال : فأخرجني وباعني من امرأة سليمة ، فأحببني حباً شديداً ، وكان لها حائط ، فقالت : هذا الحائط لك ، كل منه ما شئت ، وهب ، وتصدق^(١) .

قال : فبقيت في ذلك الحائط ما شاء الله . فبينما أنا ذات يوم في الحائط ، إذا أنا بسبعة رهط قد أقبلوا تظلمهم خمامة ، فقلت في نفسي : والله ما هؤلاء كلهم أنبياء وإن فيهم نبياً ، قال : فأقبلوا حتى دخلوا الحائط والغمامة تسير معهم ، فلما دخلوا إذا فيهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ، وأبوذر ، والمقداد ، وعقيل بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، فدخلوا الحائط فجعلوا يتناولون من حشف النخل ، ورسول الله ﷺ يقول لهم : كلوا الحشف ، ولا تفسدوا على القوم شيئاً .

فدخلت على مولاتي فقلت لها : يا مولاتي هبي لي طبقاً من رطب ، فقالت : لك ستة أطباق ، قال : فجئت ، فحملت طبقاً من رطب ، فقلت في نفسي : إن كان فيهم نبي ، فإنه لا يأكل الصدقة ، ويأكل الهدية ، فوضعت بين يديه فقلت : هذه صدقة ، فقال رسول الله ﷺ : كلوا ، وأمرك رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ، وعقيل بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وقال لزيد : مديك

(١) في المصدر : «ونهب وتصدق» .

وكل ، فأكلوا وقلت في نفسي : هذه علامة .

فدخلت إلى مولاتي فقلت لها هي^(١) طبقاً آخر ، فقالت : لك ستة أطباق ، قال : جئت فحملت طبقاً من رطب ، فوضعت بين يديه ، فقلت : هذه هدية فمذ يده قال : بسم الله كلوا ، فمذ القوم جميعاً أيديهم وأكلوا ، فقلت في نفسي : هذه أيضاً علامة .

قال : فيينا أنا أدور خلفه إذ حانت من النبي ﷺ التفاتة فقال : يا روزبه تطلب خاتم النبوة ؟ فقلت : نعم فكشف عن كتفيه ، فإذا أنا بخاتم النبوة معجون بين كتفيه ، عليه شعرات ﷺ ، قال : فسقطت على قدم رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، فقال لي : يا روزبه أدخل على هذه المرأة ، وقل لها : يقول لك محمد بن عبد الله : تبيعنا هذا الغلام ؟

فدخلت فقلت لها : يا مولاتي ! إن محمد بن عبد الله يقول لك : تبيعنا هذا الغلام ؟ فقالت : قل له : لا أبيعك إلا بأربعمائة نخلة : ماتني نخلة منها صفراء ، ومائتي نخلة منها حمراء . قال : فجئت إلى النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : ما أهون ما سألت ، ثم قال : قم يا علي فاجمع هذا النوى كله ، فأخذه وخرسه ، قال : أسفه ، فسقاه أمير المؤمنين عليه السلام ، فما بلغ آخره حتى خرج النخل ، ولحق بعضه بعضاً ، فقال لي : أدخل إليها وقل لها : يقول لك محمد بن عبد الله : خذي شيئك وادفعي إلينا شيئنا ، قال :

فدخلت عليها ، وقلت ذلك ، فخرجت ونظرت إلى النخل فقالت : والله لا أبيعك إلا بأربعمائة نخلة كلها صفراء ، قال : فهبط جبرائيل عليه السلام فمسح جناحه على النخل ، فصار كله أصفر ، قال : ثم

(١) في المصدر : هي لي .

قال لي : قل لها : إنَّ محمّداً يقول لك : خذي شيك وادفعي إلينا
 شيئا ، فقلت لها ، فقالت : والله لنخلة من هذه أحبّ إليّ من محمّد
 ومنك ، فقلت لها : والله ليوم مع محمّد أحبّ إليّ منك ، ومن كلّ شيء
 أنت فيه . فأعتقني رسول الله ﷺ : وسَمّاني سلمان^(١) .

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ، ص ٣٥٥ .



الشيخ سليم البشري

ولد (سنة ١٢٤٨ هـ) الموافق (سنة ١٨٣٢ م) في محلة (بشر)
بمحافظة (البحيرة) في مصر وتوفي (سنة ١٣٣٥ هـ) الموافق
(سنة ١٩١٦ م) .

إنه الشيخ سليم البشري « المالكي » ، درس بالأزهر في مصر ،
وتولى مشيخته مرتين : الأولى من عام (١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م) إلى
(سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٤ م) ، والمرة الثانية من (سنة
١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م) إلى (سنة ١٥٣٥ هـ / ١٩١٦ م) وفي عهده طبق
نظام امتحان الراغبين في التدريس بالأزهر ، واجتاز هذا الامتحان كثيرون
من العلماء ، وكان تلك حازماً في إدارته للأزهر ، ولم تمنحه مسؤوليات
المشيخة من إلقاء دروسه على طلابه .

وفي (سنة ١٣٢٩ هـ) وصل العلامة المجاهد المغفور له السيد
عبد الحسين شرف الدين إلى مصر ، واجتمع الشيخ به ، وعقدت بينه
وبين السيد اجتماعات متوالية ، ونتيجة تلك الاجتماعات رغب الشيخ في
المباحثة معه في أتمات المسائل الكلامية والأصولية ، بغية معرفة الحق

كما جاء كلامه في المراجعة له رقم (١) من كتاب « المراجعات » (١) ،
فقال **تَكَلَّمَ** :

« وإني لواقف على ساحل بحرك اللجي ، أستاذك في خوض
عبابة ، والفوص على درره ، فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض ،
تحرك في صدري منذ أمد بعيد ، وإلا فالأمر إليك ، وما أنا فيما أرفعه
بباحث عن عشرة ، أو متببع عورة ، ولا بمفتند أو منذد ، وإنما أنا نشاد
ضالة ، وبخات عن حقيقة ، فإن تبين الحق ، فإن الحق أحق أن يتبع ،
ولاً فأنا كما قال القائل :

نحن بما عندنا ، وأنت بما عندك راض ، والسراي مختلف
وسأقتصر (إن أذنت) في مراجعتي إياك على بحثين : أحدهما في
إمامة المذهب ، أصولاً وفروعاً ، وثانيهما : في الإمامة العامة ،
وسيكون توقيعي في أسفل مراجعاتي كلها (س) ، فليكن توقيعك (ش) .
وأسلفك برجاء العفو عن كل هفوة ، والسلام » .

س (سليم البشري)

إنه **تَكَلَّمَ** كان متواضعاً وبعيداً عن الحقد والعناد تجاه الشيعة هذا ما
نستفيده من كلامه : « وإني لواقف على ساحل بحرك اللجي أستاذك في
خوض عبابه ، والفوص على درره » .

ويستفاد أيضاً أنه كان طالباً لدرر الحقيقة ولؤلؤ الحق ، من بحر
العلم المتموج ، العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين **تَكَلَّمَ** تعالى .
ولعل هذه الرغبة كانت نتيجة اجتماعه بالسيد **تَكَلَّمَ** من خلال مطالعته

(١) كتاب معروف للسيد عبد الحسين شرف الدين ، جُمع فيه الرسائل التي تبودلت بينه
وبين الشيخ سليم البشري ، خلال الحوار .

لكتب الأصول والفروع من الفريقين ، فحصل عنده اضطراب في مذهبه ، كما قال : « فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض تحرك في صدري منذ أمد بعيد ، وإلا فالأمر إليك » .

فتنطبق عليه تلك الآية الكريمة ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ^(١) كأن الله سبحانه وتعالى بعث السيد إلى مصر حتى اجتمع الشيخ معه وفتح الحوار ، فعلى كل منصف وعادل أن يسلك هذا الطريق في مجال العلم والثقافة لمعرفة الحق والحقيقة .

أما الدليل على رغبته في اكتشاف الحقيقة ، ومعرفة الحق ، فيستفاد :

أولاً من قوله : « وإني لواقف على ساحل بحرك اللّجج استأذنك في خوض عبابه - إلى قوله - وإلا فالأمر إليك » .

وثانياً : من قوله : « فإن تبين الحق فإن الحق أحق أن يتبع » .

وهذا صريح على رغبته في اعتناقه الحق بعد التبين ، فإنه تلكّله ، عندما فتح الحوار مع السيد ، كان على استعداد تام لتغيير المذهب حين انكشاف الحقيقة عليه ، وهذا ما حصل بالواقع ، كما تبين لنا في مراجعته الأخيرة رقم (١١١) بقوله : « فلما يستر الله اجتماعنا أويت منك إلى علم هدى ، ومصباح دجى وانصرفت عنك مفلحاً منجحاً .. الخ » وستأتي هذا المراجعة بكاملها في آخر الحديث .

وعندما نتتبع مراجعاته الأخرى ، تبين لنا بالقطع أن مباحثاته وحواره مع السيد ، كانت لاستيضاح الأمور ، ومعرفة الحق ، لا من أجل الرياء والجدال والعبارات الحسنة ، بل للاعتراف والقبول بعد حصول

(١) سورة المنكوت ، الآية : ٦٩ .

الرؤية الواضحة وفق الأصول والفروع . وهذا ما نلاحظه في مراجعته رقم (١٧) التي اعترف فيها بآيات واردة في حق أهل البيت عليهم السلام وغيرها من الاعترافات ، فإليك نص المراجعة :

١ - أما وعينك ما رأت عيناى أرشح منك فؤاداً ، ولا أسرع تناولاً ، ولا سمعت أذنائى بأرشف منك ذهنأ ، ولا بصيرة ، ولا قرع سمع السامعين ألبن منك لهجة ، ولا ألحن منك بحجة ، تدفقت في كل مراجعاتك تدفق اليعسوب ، وملكك في كل محاوراتك الأفواه والأسماع والأبصار والقلوب ، والله كتابك الأخير (ذلك الكتاب لا ريب فيه) يلوي أعناق الرجال ، ويقرع بالحق رأس الضلال .

٢ - لم يبق للسنن مانعاً من الاحتجاج بأخيه الشيعي إذا كان ثبناً ، فرأيك في هذا هو الحق المبين ، ورأي المعترضين تعنت ومماحكة ، أقوالهم بعدم صحة الإحتجاج بالشيعة تعارض أفعالهم ، وأفعالهم في مقام الإحتجاج تناقض أقوالهم ، فقولهم وفعلهم لا يتجاريان في حلبة ، ولا يتسايران إلى غاية ، يصدم كل منهما الآخر فيدفعه في صدره ، وبهذا كانت حجتهم جذماء ، وحجتك العصماء ، أوردت في هذه العجالة ما يجب أن تفرده برسالة سميتها لك - أسناد الشيعة في إسناد السنة - وستكون الغاية في هذا الموضوع ، ليس وراءها مذهب لطالب ، ولا مضرب لراغب ، وأرجو أن تحدث في العالم الإسلامي إصلاحاً باهراً إن شاء الله تعالى .

٣ - آمناً بآيات الله كلها - وآيات الله في سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وسائر أهل البيت رضي الله عنهم ، أكثر مما أوردتموه .

٤ - فما ندري لماذا عدل أهل القبلة عن أئمة أهل البيت ، فلم

يتعبدوا بمذاهبهم في شيء من الأصول والفروع ، ولا وقفوا في المسائل
الخلافية عند قولهم ، ولا كان علماء الأئمة يبحثون عن رأيهم ، بل كانوا
يعارضونهم في المسائل النظرية ، ولا يبالون بمخالفتهم ، وما برح عوام
الأمة خلفاً عن سلف ، يرجعون في الدين إلى غير أهل البيت بلا
نكير ...

(س)

● الدليل على تشييعه : تقدم كلامه في المراجعة (١) : « فَإِنْ تَبَيَّنَ
الحق ، فَإِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ » . وبالواقع بعد الغرلة والتمحيص في
الأدلة ، والحوار الطويل اعترف بالحقيقة ، وهذا ما نلاحظه في مراجعته
الآخيرة (١١١) الواقعة في (جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ هـ) ، وإليك
نصها :

« أشهد أنكم في الفروع والأصول ، على ما كان عليه الأئمة من آل
الرسول ، وقد أوضحت هذا الأمر ، فجعلته جلياً ، وأظهرت من مكنونه
ما كان خفياً ، فالشك فيه خيال ، والتشكيك تضليل ، وقد استشففته
فراقفني إلى الغاية ، وتمخّرت ريحه الطيبة فأنعشني قدسي مهبطاً بشداه
الفيّاح ، وكنت قبل أن أتصل بسبك على لبس فيكم ، لما كنت أسمع من
إرجاف المرجفين ، وإجحاف المجحفين ، فلما يَسَّرَ الله اجتماعنا ،
أويت منك إلى علم هدى ، ومصباح دجى ، وانصرفت عنك مفلحاً
منجحاً ، فما أعظم نعمة الله بك عليّ ، وما أحسن عائدتك عليّ ،
والحمد لله رب العالمين » .

(س)

هذه المراجعة الآخيرة أرسلها الشيخ رحمته الله إلى السيد ، وأنهى حوار

الطويل البناء . فانظر أيها القارئ المنصف إلى قوله **تَكْتَنُهُ** :

أشهد أنكم في الفروع والأصول - إلى قوله - « من آل الرسول » لقد شهد **تَكْتَنُهُ** بكون السيد شرف الدين ملتزماً بما انتمز به الأئمة المعصومون من الفروع والأصول ، فأصبح السيد موضع ثقة الشيخ في المذهب الشيعي .

ثم قال : « وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً ، وأظهرت من مكنونه ما كان خفياً . . الخ » أي الأمر الذي كان غامضاً عندي حول المذهب الجعفري أصبح واضحاً ، فالذي يشك فيه مجنون والذي يشكك الآخريين فهذا تضليلهم عن الصراط المستقيم .

وانظر إلى قوله جيداً : « وكنت قبل أن أتصل بسبيك على لبس . . . الخ » فإنه **تَكْتَنُهُ** كان ستيئاً شاكاً في المذهب الشيعي ، فعندما اجتمع وفتح الحوار البناء مع السيد ، زال التباسه عن المذهب الجعفري ، وحصل عنده علم يقيني بما كان يشك فيه ، ليس في المخفيات الشيعية بل في السنية أيضاً ، فإن الله سبحانه وتعالى أنار له الطريق فاهتدى إلى الصراط المستقيم باختياره للمذهب الجعفري . ويدل على ذلك قوله : « وانصرفت عنك مفلحاً منجحاً ، فما أعظم نعمة الله بك عليّ ، وما أحسن عائدتك عليّ » .

فإنه **تَكْتَنُهُ** اعتبر تشييعه من النعم الكبيرة ، وهو يشكر الله ويحمده عليه ، وهكذا برز الشيخ سليم البشري رجلاً معتدلاً استعمل علمه في معرفة الحق والتحقيق ، وهو خير استعمال للعلم .

وللشيخ جملة مؤلفات ، معظمها من الحواشي والتقارير على كتب السلف ، ومن آثاره (١) حاشية تحفة الطلاب لشرح رسالة الأدب . . . في

الأدب ، (٢) حاشية على رسالة الشيخ علي في التوحيد ، (٣) شرح نهج
البردة . . . في الأدب (٤) الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس :
وهو بحث في النحو عول عليه كثيراً في التدريس بالأزهر .

مولانا الحافظ سيف الله

ولد (سنة ١٣٤٤ هـ / سنة ١٩٢٥ م) في ولاية (بنجاب) إحدى الولايات الهندية المشهورة وتوفي (سنة ١٤٠٠ هـ / سنة ١٩٨٠ م) في (لاهور) من بلاد باكستان .

مولانا الحافظ سيف الله بن حفيظ الله ، من عائلة علمية عريقة في أهل السنة والجماعة ، من بلدة (لدهيانه) الهندية ، حتى إن جدته للأب كانت عالمة فاضلة ، بحيث كانت قادرة على تدريس كتاب (صحيح البخاري) وكان والده يتبع مسلك (ديوبند)^(١) في نهج العلم والدراسة والتعصب تجاه الشيعة ، وهم أشد تعصباً نسبة لغيرهم من السنة . تعلم العلوم الابتدائية في وطنه مع حفظ القرآن . ثم دخل « المدرسة الأنورية » ، ودرس « مُلّا جامي » في المسجد الملكي في (لدهيانه) . ثم دخل « مدرسة أنوار العلوم » في (كوجرانواله) لإكمال الدراسة العالية .

ثم رحل إلى (راولبندي) في باكستان ، وتلقى بعض العلوم من

(١) أكبر حوزة علمية للوهابيين من أهل السنة والجماعة في قضاء (سهارنپور) في الهند .

غلام الله خان . ثم ذهب إلى « حوزة ديوبند » ولكن لم يوافق المناخ هناك ، وبعد تأسيس باكستان ، سافر مع والديه إلى بلدة « توبه تيك سنگه » .

وفي (سنة ١٩٤٩ م) دُعي إلى بلدة (نوشهره وركان) لاستلام الجامع ، حيث كان يسكن الوهابيون هناك فبدأ يمارس مهام التبليغ ، وإقامة صلاة الجمعة والجماعة .

كان جيّد الاستعداد ، وواسع المطالعة ، ومتبحراً في المنطق والفلسفة ، حيث كان الطلاب يستفيدون منه كثيراً .

● كيف تشيع : يقول شقيق مولانا الحافظ أمين الله : إنه كان في بلدة (نوشهره وركان) طالباً يدرس (مشكاة الشريف) فعندما وصل إلى حديث « كلُّ بدعة ضلال » قال مولانا الحافظ في تعريف البدعة : العمل الذي لم يأت به النبي ﷺ ، ولكن عمل الخلفاء أو الأصحاب ليس ببدعة . وأما عند الإمامية ! « العمل الذي لم يأت به النبي ﷺ والأئمة » فسأل الطالب مثلاً : أن لا يكون بدعة عند السنة ، وتكون عند الشيعة ! فقال مولانا الحافظ : هو قول السنة في الأذان « الصلاة خير من النوم » .

أخبر التلميذ أساتذة آخرين في المدرسة عن قول الحافظ ، وفي أذان صبيحة ذلك اليوم ، حذف مولانا الحافظ « الصلاة خير من النوم » وهذا ما أوقع علماء المدرسة وأساتذها في حيرة وقلق ، واجتمعوا عند مولانا الحافظ للمناقشة والمناظرة . فاستمهل مولانا لفترة وجيزة ، وذهب إلى (لاهور) ، واشترى كتباً للرد على علماء السنة بمبلغ كبير ، فاتفق لقائه في طريقه إلى البلد مع أحد أساتذته من كبار العلماء الذي سأله : ماذا أتيت به ؟ فقال مولانا : قد أتيت بأجوبة على أسئلتكم .

يقول صاحب « مطلع أنوار » : إن مولانا الحافظ كان يقرأ التعازي بعد التشيع ، ففي (سنة ١٩٥٣ م) قرأ مجلس عزاء حسيني في مكان (كربلا كامي شاه) في باكستان أول مرة ، فعندما نزل من على المنبر سأله عن سبب التشيع ، فقال :

كنت مخالفاً لمذهب الشيعة ، وعدوا لهم ، وكنت أ منع أهل السنة والجماعة عن الحضور في مجالس التعزية ، وهم كانوا يقولون لي : هل يحرم محبة أهل البيت عليهم السلام ؟ نحن نحضر لاستماع مصيبة أهل البيت عليهم السلام ، وفضائلهم ، ووقائع كربلاء لا لأجل البكاء والصريخ ، فاتخذت القرار لقراءة التعازي ، وبيان فضائل أهل البيت عليهم السلام ، حتى لا يحضروا في مجالس الشيعة ، فغيرت منهج خطب الجمعة ، وبدأت أتكلم عن مزايا أهل البيت عليهم السلام .

وفي أيام عاشوراء كنت أقرأ وقائع كربلاء ، وقد ازدادت مطالعاتي حول هذه المواضيع ، وكثرت خطباتي ومحاضراتي حول الحسينيات أكثر فأكثر ، وبدأ أهل السنة والجماعة وعلماءهم يتهموني بالتشيع ، مع أنني كنت من أهل السنة والجماعة بجميع الاعتقادات عندهم ، ولكن كنت أنقل الأحاديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، عن قناعاتي الحاصلة من كتب علماء السنة ، حتى لا يحضر أهل مذهبي في اجتماعات الشيعة .

ولكن عندما رموني بالتشيع ، تحرك شعوري تجاه أهل البيت عليهم السلام وقضيتهم ، ولا سيما ما جرى في كربلاء ، وهو مذكور في كتب علمائنا أكثر من كتب الشيعة ، فقلت لهم : إن فضائل أهل البيت وعلي عليه السلام ، لم يرد في كتب الشيعة بقدر ما وردت في كتبنا ، مثل قول النبي ﷺ « علي مع الحق والحق مع علي » ، و « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من

موسى ، ، وغيرهما من الأحاديث في فضائل الإمام علي عليه السلام .

وعلى هذا قلت لهم : لا يجوز لنا القول : إن معاوية وعلي كان كلاهما على الحق في معركة (صفين) ، لأنه لو كنت أنا مع علي عليه السلام في (صفين) ورأيت معاوية هناك لقتلته أنا ، وقتله الإمام علي عليه السلام !

ولم يقتنعوا بكلامي ، وازداد غضبهم علي أكثر . ثم ألقى الحافظ محاضرة قيمة في بلدة (سر كودها) في باكستان حول « ألقاب الإمام علي » وقدم أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حول كل لقب من كتب أهل السنة والجماعة . والكتب كانت معه على المنبر ، فهاج مجمع أهل السنة والجماعة ورجع إلى بلدة (نوشهره وركان) .

وفي (٣١ كانون الأول سنة ١٩٥٢ م) أعلن عن تشييعه في الجامع ، وقدم استقالته عن إمامة المسجد ، وتحدى علماء السنة أن يأتيوا بأجوبة على أسئلته ! وقد وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة فانتشر خبر تشييعه في أنحاء الهند وباكستان ، لا سيما عندما تلقى هذا الخبر أفراد حوزتهم « ديوبند » اشتد غضب العلماء والأساتذة فيها ، ودُعي والد الحافظ ، وقُدّم له الاحتجاج بالعنف حتى هتكت حرمة ، ولكن دون جدوى . وراح الحافظ سيف الله يبلغ وفق تعليمات مذهب الشيعة بكل نشاط وقوة ، وبدأ يدرس في مدارس الشيعة . وفي الأخير جعل نائباً للمدرس الأعلى في المدرسة المشهورة (دار العلوم المحمدية) في بلدة (خوشاب) ، ولكن بعد فترة تدهورت صحته ، وجاء إلى (لاهور) للمعالجة . في (٢٩ من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ١٢ آب سنة ١٩٨٠ م) انتقل إلى رحمة الله تعالى في (لاهور) ، ودفن في محل سكته (جونيان) .

الشيخ صدر جهان المعروف بـ (ميان زنكو)

قال غلام حسنين طباطبائي في كتابه «سير المتأخرين»^(١) : عن مولانا السيد محمد عسكري جونيوري الهندي ، المعروف بالمفتي أبو البقاء ، أنه قال :

كان الشيخ «ميان زنكو» عالماً فاضلاً حاداً متعصباً لمذهبه السني . كنت ذات يوم جالساً بين يديه في بيته ، ويدي كتاب «فواتح مبيدي»^(٢) وكان يعرفني بأنني جعفري المذهب ، فقال : تعال نتباحث اليوم حول السنة والشيعه لتمييز مذهب الحق بينهما . وكان الشيخ أقوى مني علماً وفضلاً ومعرفة في الأمور ، فاعتذرت تأدباً ، ولكنه أصرَّ على المباحثة والمناظرة ، فقلت امتثالاً لأمره : أنا حاضر يا سيدي ! ولكن المباحثة يجب أن تكون من خلال الكتاب والسنة . قال : نعم ، فقلت : ننظر أولاً في الأفضلية بين أبي بكر والإمام علي عليه السلام ، بعد النبي ﷺ ، فقبل ذلك .

(١) سير المتأخرين : ج ٣ ، ص ٩٥١ ، ط لكهنؤ .

(٢) كتاب في الفلسفة يدرس في الجامعات الإسلامية في الهند .

قلت : أيّ صفة من الصفات الحسنة أحسن في الإنسان ؟ فأجاب :
علم يعرف به الله فقلت : ما رأيكم في أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه
ورسائله ، من جهة معرفة الله ووحدانيته ، وما يتعلق به ؟ فوضع رأسه بين
ركبتيه ، وقال بعد تفكير ساعة : « العجز عن درك الإدراك إدراك »
وأناسف علي أن بقيتُ إلى الآن في الغفلة والضلالة ، والحمد لله الذي
هداني بمخالطتك ومناظرتك .

طاهر شاه دكني

وُلد حوالي (سنة ٨٨٠ هـ الموافق سنة ١٤٧٥ م) وتوفي
(سنة ٩٥٢ هـ الموافق سنة ١٥٤٥ م) .

هو مُلا السيد طاهر بن رضي الدين (الهمداني) بن مومن شاه بن
زردخان بن شاه خور بن عالم بن محمد بن جلال الدين بن حسين بن
كبار بن محمد بن حسن بن علي بن أحمد بن نزار بن مستنصر
الإسماعيلي .

كان من الدعاة إلى المذهب الإسماعيلي في (همدان) ، ولكن
السلطان بن حيدر الصفوي ، عندما سمع عن علمه وفضله ، وجه الدعوة
إليه ليحضر إلى مجلسه دائماً ، وعندما بدأ يحضر ، وأصبح من مقربيه ،
تأثر بعلماء الشيعة الذين كانوا في مجلس الملك ، وبأدر إلى التحقيق في
المذاهب الإسلامية .

وفي (سنة ٩٢٦ هـ) اعتنق المذهب الجعفري . كان عالماً
فاضلاً ، وفصيح اللسان . وفي السنة المذكورة حصل خلاف بينه وبين
شاه إسماعيل الصفوي ، فغادر إيران إلى ولاية (بيجابور) في الهند ،

حيث كان يحكم إسماعيل عادل شاه هناك ، ولكن هذا الأخير ما كان يحترم العلماء ، بل كان يحب الماهرين في فن القتال والحرب ، وأركان الدولة .

فعندما رأى طاهر شاه هذه الحالة توجه إلى الحجاز للحج والزبارة ، ثم رجع إلى (دكن) ، واستقر هناك ، والتقى بمُلا بير محمد الشيرواني سفير الملك برهان نظام شاه ، فأعجبه علمه وفضله ، فبقي الشيرواني عند طاهر شاه لتحصيل بعض العلوم منه ، وعندما اشتهر خبر تعلم مُلا بير محمد عند طاهر شاه اشتهر طاهر شاه في العلم والفضل أكثر فأكثر ، وبعد فترة رجع الشيرواني إلى قصر برهان نظام شاه ، وأخبره عن فضل طاهر شاه ، فرغب برهان شاه في رؤية مولانا طاهر .

كان برهان نظام شاه يسكن في دولة (أحمد نكر) في (دكن) فكتب لخواجه جهان أن يرسل طاهر شاه إلى (أحمد نكر) ، وحوالي (سنة ١٩٢٨ هـ) وصل طاهر شاه إلى (أحمد نكر) واستقبل باحترام وإعزاز ، واستقر هناك وبدأ بالدرس والتدريس ، ولم يظهر على برهان أنه شيعي المذهب ، فبقي في التقية ، وقد تقدم بعض أحواله في ترجمة برهان نظام شاه^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ٢٨٧ ، ط . باكستان ، تاريخ فرشته ، مجالس المؤمنين .



طوني أبي غانم

ولد (سنة ١٩٦٥ م) في منطقة (حي السلم) في الضاحية الجنوبية لبيروت ، واستشهد (سنة ١٩٩١ م) أثناء المواجهة البطولية ضد الصهيونية اليهودية في بلدة (القنطرة) الحدودية ، المتاخمة لأرض فلسطين .

إن « طوني » من عائلة مسيحية « أبي غانم » ، نشأ وترعرع برعاية والديه المسيحيين ، دخل حوالي (سنة ١٩٦٩ م) مدرسة « النور التكميلية » ، وقطع مراحل الصفوف الابتدائية والمتوسطة ، ثم دخل « كشافة الرسالة الإسلامية » وتعلّم بعض الدروس الإسلامية ، وكان يعيش مع خيرة الشباب المؤمنين في المنطقة ، ودخل الصليب الأحمر لتعلم شؤون الإسعافات الأولية ، وبدأ يساعد الجرحى والمرضى من خلال هذه المؤسسة ، وكان يتردّد مع بعض الشباب المؤمنين إلى المسجد والحسينية ، حتى اقتنع بالمذهب الإسلامي الجعفري فأسلم ، وتشيّع (سنة ١٩٨١ م) وأعلن عنه بكل ثبات وجُرأة وسقى نفسه « حيدر » ، والتزم كاملاً بحضوره في المسجد لأداء الصلاة

المفروضة .

وقد نقل عن بعض شهود العيان أنه كان يحضر في المسجد قبل صلاة الفجر أحياناً ، لأداء صلاة الليل ، وكان يحضر في الحسينية في كل المناسبات ، لا سيما في مجالس عاشوراء في شهر محرم ، وله المواقف البطولية السامية ضد إسرائيل ، فقد شارك في التصدي لمواجهة الاجتياح الصهيوني للبنان (سنة ١٩٨٢ م) وخاض المعارك العنيفة ضدهم ، وتصدى مع المجاهدين للغزو الأطلسي لبيروت ، والضاحية .

اعتُقل في (٨ آب سنة ١٩٨٤ م) من قبل العدو الصهيوني في (جبل الريحان) جنوب لبنان ، وأطلق سراحه بعد سنة ونصف من اعتقاله ، أمضاها في سجون فلسطين المحتلة .

كان أحد قادة المواجهة في صدّ اجتياح العدو الإسرائيلي ، وكان له شرف إسقاط إحدى مروحيات العدو الصهيوني في خراج بلدة « دير كيفا » كما قاد العديد من العمليات العسكرية ضد العدو وعملائه ، حتى استشهد (بتاريخ سنة ١٩٩١/١٢/١١ م) أثناء المواجهة البطولية في بلدة (القنطرة) الحدودية ، وبقيت جثته في حوزة العدو ^(١) .

(١) مصدر المعلومة المذكورة عنه موريث فؤاد أبي غانم، وبعض المنشورات الصادرة من «المقاومة الموحدة» أمل.

عبد القوي لكهنوي

مولانا عبد القوي من سكان (لكهنؤ) في الهند . كان عالماً فاضلاً جليلاً ، وطبيباً حاذقاً ، متعصباً لمذهبه السنّي ، وهو من أساتذة المفتي محمد عباس وهذا الأخير اشتاق إلى تعلّم الطب بسبب مولانا عبد القوي ، وتعلّم منه حتى أصبح طبيباً حاذقاً وقال : إن مولانا الأستاذ كان رجلاً جليلاً ، مهيباً متديناً ، حسب مذهبه ، وعندما تدهورت صحّته ، يش من حياته ، ولكن بعد أيام قليلة قام عن فراشه فجأة ، فسألوه عن سبب شفائه العاجل غير المتوقع ، فقال :

إنني رأيت في المنام النبي محمد المصطفى ﷺ ، ومعه الإمام علي ، والحسن ، والحسين ﷺ ، وكانت فاطمة الزهراء سلام الله عليها في زاوية ، وسمعت الإمام علي ﷺ يقول : يا شيخ أجب رسول الله ﷺ فالتفت إليّ الإمام وهو يقول : إن النبي يقول لك : « لا تخف من المرض ، إنك ستشفى » نحن ضامنون لأجرك ، لأنك خدمت ذريتنا .

فحينما سمعت هذا الكلام فتحت عيني وأنا صحيح وسالم من المرض .

وكتب المفتي محمد عباس في مذكراته : « إذا كان هذا المنام صادقاً فهو يتشبع يقيناً » ولكن لم يتحدث معه في الموضوع تأدباً لجلالة الأستاذ ، وصغر سن التلميذ . كان المفتي جالساً ذات يوم أمام أستاذه فتجراً على القول : سيدي ! ما المقصود من كلمة « ذريتنا » في كلام النبي ﷺ لكم في المنام ؟ فقال : طبعاً « أولاده » فقال المفتي : نحن بعيدون عنه ﷺ بعدد ملحوظ من جهة النسب ، فكيف حال ذريته مباشرة منه ﷺ ؟ فقال مولانا عبد القوي : نعم ! هُم هُم ! فسكت المفتي ، وعرف شيئاً ما ، وكتب رسالة صغيرة بعنوان « الدليل القوي » وقدمها إلى مولانا ، وبعد فترة وجيزة أرسل مولانا وراء المفتي ، فجاء ، وقال عبد القوي : إني اخترت مذهب الشيعة ، ولا نقل لأحد ! ففرح المفتي من قوله ورجع إلى ما كتب في مذكراته قائلاً : إن حساباتي كانت صحيحة !

مولانا عبد الرزاق البشاوري

حنفي المذهب سابقاً من (پشاور) في باكستان قال في رسالته الصغيرة « إثبات حق » في اللغة الأردوية تحت عنوان « عرض حال » :

إنني عبد الرزاق بن مولوي بدر الدين ، كان والدي عالماً فاضلاً من قضاء (پشاور) في باكستان . تعلّم ابتداءً في إحدى المدارس الدينية في وطنه ، ثم هاجر (سنة ١٩١١ م) إلى بلدة (جهاد سكودا) قضاء (سبيل پور) في محافظة (أريسه) في الهند ، واستقر هناك وبدأ يعلم الناس تعاليم الدين الحنيف ، وكان يرشدهم ويعظهم ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى ودفن هناك .

درست من والدي كتاب « شرح جامي » ، ثم رغبت في الرجوع إلى وطني لإكمال الدراسة ، فجنّثُ إليه ، وأكملت بعض العلوم . ثم انتقلت إلى (دلهي) ، ودخلت مدرسة (فتح پور) وأكملت بعض دراستي الدينية هناك ورجعت إلى (جهاد سكودا) .

● كيف توجهت إلى اكتشاف المذهب الحق : كان يسكن في بلدة (جهاد سكودا) قوم « خواجه » بأعداد لا بأس بها ، وكانوا يتاجرون

بالجلود ويشاركون المسلمين في مزاولة بعض أعمالهم ، كما كانوا يخالطونهم في عباداتهم وعاداتهم الاجتماعية . وكانت تولية المسجد والحسينية بإدارتهم ، وكانوا يقيمون عزاء الحسين عليه السلام ، في أيام عاشوراء ولم يُعرفوا بالشيع . وكان قارئ مجلس العزاء حنفي المذهب ^(١) .

ومرت الأيام والليالي دون معرفة مذهبهم ، إلى أن جاء مولانا السيد محمد أصغر من (لكهنؤ) إلى هذه البلدة ، وشمل بالاحترام الكبير من قبل الأهالي ، وألقى محاضرة قيمة لم يسبقها مثيل . ومنذ ذلك اليوم أخذ يتردد دائماً .

ودُعي في إحدى المرات إلى المسجد لصلاة الجماعة ، وإلقاء الموعظة ، فقبل ذلك ، وعندما حضر إلى الجامع ، ووقف في المحراب إماماً فصلّى صلاة شيعية وصلّى الخواجه مثله ، والباقون صلّوا مكتوفي الأيدي ، فأنكشف مذهب الخواجه ذلك اليوم ، وأنهم ينتمون إلى المذهب الجعفري .

ولما كنت إمام الجمعة والجماعة في البلدة ، ومتعصباً لمذهبي ، استصعبت كثيراً إمامة رافضي في الجامع ، وغلب عليّ الإنزعاج والغضب تجاه الشيعة ، فعثرت على كتاب يحتوي على الفقه الحنفي ، وكتبتُ على هامشه باللغة العربية : « إنّه من لا يعترف بخلافة أبي بكر وعمر ، فهو كافر ، وكتبتُ كلاماً آخر ضد المذهب الجعفري ، واختلّفت بعد فترة مع متولي المسجد « فاضل إسماعيل » من قوم (خواجه) ، فاعتزلت عن إمامة المسجد ، فوجد المتولي الكتاب قد كتب على هامشه اسم أبي بكر

(١) لا تقتصر إقامة مجالس العزاء في الهند على الشيعة فقط، بل يقيمها أيضاً الهندوس والسنّة، ما عدا الواحّية !!

وعمر وبعض الكلمات لم يفهمها المتولي لعدم معرفته باللغة العربية
فعرض الكتابة على أبيه الحاج مولوي محمد حسين ، وقال : أنظر إلى
هذه الكتابة التي كتبها مولوي بشاوري ! ولكن الحاج لم يفهمها أيضاً
فاحتفظ بها حتى حضر مولانا محمد أصغر من (لكهنؤ) فقدم له الكتاب
لكي يرى الكتابة على هامشه .

وعندما قرأها مولانا لكهنؤي تأسف كثيراً ، وأخبر الحاج عن
معناها ، فتألم الحاج كثيراً . وعندما ذهبْتُ إلى زيارة مولانا المذكور
سألني قائلاً : أنت كتبت هذا يا مولوي صاحب ؟ قلت : نعم قال
مولانا : لماذا يا مولوي صاحب ؟ هل تعتقد منكر خلافة أبي بكر وعمر
كافراً ؟ قلت : لقد قاله الإمام أبو حنيفة ، وأنا مقلد له ، فقال مولانا :
فكر جيداً يا مولوي صاحب ! هل عقيدتك بالتقليد ؟ قلت : يلتزم المقلد
ما التزم به المقلد ، نعم عقيدتي بالتقليد . فقال مولانا : انتبه على دينك يا
مولوي صاحب ! قلت ماذا تقصد ؟ فقال : لا شك ولا ريب في كون
فاطمة الزهراء سلام الله عليها بضعة رسول الله ، وهذا لا تستطيع إنكاره ،
وإن فاطمة الزهراء كانت مخالفة لخلافة أبي بكر كما ورد في الصحاح
الستة ، وأنها ارتحلت عن الدنيا وهي غاضبة على الشيخين ! فهل تظن أن
فاطمة الزهراء ماتت كافرة « معاذ الله » وهي جزء الرسول ؟

فما كان حكم الجزء هو حكم الكل في خصوصيات معينة تحدده
النصوص فعلى هذا ما تقول في الرسول ﷺ أيضاً فأين إسلامك يا
مولوي صاحب ؟

عندما سمعت ذلك طارت حواسي ، وكأنه نُزع عني قميص
الإسلام ، وأخذتني الرجفة ، وقلت : إنني لا أملك الآن جواباً يا مولانا !
فقممت من مكاني ، وجئتُ إلى بيتي ، وأنا غارق في بحر الأفكار ولا أدري

بماذا أجيب ؟ وبدأت أفكر في معرفة الحق ، وجرى على لساني دون اختيار « عدو شود سبب خبرگر خدا خواهد » يعني إن العدو يكون سبباً للخير إذا شاء الله . فلو لم يشكني المتولي إلى مولانا لكهنوي ، لما جرى بيني وبينه الحوار المفيد الذي أيقظني من نوم الغفلة ، ثم هداني الله إلى صراط مستقيم .

وعندما أسس الحاج المذكور مسجداً جديداً ، وجاء مولانا لكهنوي لوضع حجر الأساس حضرت إليه واعتذرت عما تجرأت عليه ، وقلت : إنني كنت مخطئاً والآن تنور قلبي بنور الإيمان .

وعندما أقيمت الجلسة بمناسبة تأسيس المسجد ، حضر جمع غفير من الناس ، فأعلنت عن استبصاري ، واختيار مذهب الشيعة أمام الجمهور ، وقلت بصوت عال : من أراد أن يناقشني في قناعاتي فليأت مشكوراً ! وإذا كنت على خطأ يثبت لي خطأي فأكون شاكراً له وما توفيقي إلا بالله العظيم^(١) .

أقول : إن رسالته الصغيرة تحتوي على أدلة استبصاره ، والبراهين التي اقتنع بها لاختيار المذهب الجعفري ، نذكرها في كتاب « أدلة المستبصرين » إن شاء الله تعالى لأن هذا الكتاب « المستبصرون » يحتوي على أحوال المستبصر ، وأسباب الاستبصار بالاختصار . وأما الأدلة التي اعتمد عليها بعض المستبصرين للاستبصار ، فأذكرها في كتاب مستقل إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين

(١) إلهيات حق : عبد الرزاق پیشاوري . ط . (لكهنو).

عبد الشمس النصراني

أورد المجلسي في (البحار)^(١) عن أحوال هذا النصراني
بالعبارات التالية :

أقول : روي في بعض مؤلفات أصحابنا مرسلًا : أنَّ نصرانيًا أتى
رسولًا من ملك الروم إلى يزيد لعنه الله تعالى ، وقد حضر في مجلسه
الذي أتى إليه فيه برأس الحسين ، فلما رأى النصراني رأس الحسين عليه السلام
بكى ، وصاح وناح ، حتى ابتلت لحيته بالدموع ، ثم قال : اعلم يا
يزيد : أنني دخلت المدينة تاجرًا في أيام حياة النبي ، وقد أردت أن آتية
بهديّة ، فسألت أصحابه أي شيء أحبّ إليه من الهدايا ؟ فقالوا : الطيب
أحبّ إليه من كل شيء ، وإنّ له رغبة فيه .

قال : فحملت من المسك فارتين ، وقدرًا من العنبر الأشهب ،
وجئت بها إليه ، وهو يومئذ في بيت زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، فلما
شاهدت جماله ازداد لعيني من لقائه نورًا ساطعًا ، وزادني منه سرورًا ،
وقد تعلّق قلبي بمحبّته ، فسلمت عليه ، ووضعت العطر بين يديه ،

(١) ج ٤٥ ، ص ١٨٩ .

فقال : ما هذا ؟ قلت : هدية محقرة أتيت بها إلى حضرتك فقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : اسمي عبد الشمس ، فقال لي : بدل اسمك فإني أُسميك عبد الوهاب إن قبلت مِنِّي الإسلام ، قبلت منك الهدية .

قال : فنظرته وتأملته ، فعلمت أنه نبي ، وهو النبي الذي أخبرنا عنه عيسى عليه السلام حيث قال : ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ ، فاعتقدت ذلك ، وأسلمت على يده في تلك الساعة ، ورجعت إلى الروم ، وأنا أخفي الإسلام ، ولي مدة من السنين ، وأنا مسلم مع خمس من البنين ، وأربع من البنات ، وأنا اليوم وزير ملك الروم ، وليس لأحد من النصارى اطلاع على حالنا .

واعلم يا يزيد أنني يوم كنت في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو في بيت أم سلمة رأيت هذا العزيز الذي رأسه وضع بين يديك مهيناً حقيراً ، قد دخل على جده من باب الحُجرة ، والنبي فاتح باعه ، ليتناوله ، وهو يقول : مرحباً بك يا حبيبي حتى أنه تناوله وأجلسه في حجره ، وجعل يقبل شفتيه ، ويرشف ثناياه ، وهو يقول : بعد عن رحمة الله من قتلك ، لعن الله من قتلك يا حسين ، وأعان على قتلك ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ذلك يبكي .

فلما كان اليوم الثاني ، كنت مع النبي في مسجده ، إذ أتاه الحسين مع أخيه الحسن عليه السلام وقال : يا جدّاه قد تصارعت مع أخي الحسن ، ولم يغلب أحدهما الآخر ، وإنما نريد أن نعلم أيّنا أشدُّ قوّة من الآخر ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبيبي يا مهجتي إنّ التصارع لا يليق بكما ، ولكن اذهبا فتكاتبا فمن كان خطئه أحسن كذلك تكون قوّته أكثر ، قال : فمضيا وكتب كل واحد منهما سطراً ، وأتيا إلى جدّهما النبي فأعطياه اللوح ليقضي بينهما ، فنظر النبي إليهما ساعة ، ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما ، فقال لهما : يا حبيبي إني نبي أمّي ، لا أعرف الخطأ ، اذهبا إلى أبيكما ليحكم

بينكما ، وينظر أيكما أحسن خطأ .

قال : فمضيا إليه ، وقام النبي أيضاً معهما ، ودخلوا جميعاً إلى منزل فاطمة عليها السلام فما كان إلا ساعة وإذا النبي مقبل ، وسلمان الفارسي ، معه ، وكان بيني وبين سلمان صداقة ومودة ، فسألته كيف حكم أبوهما ، وخطأ أيهما أحسن ؟ قال سلمان (رضوان الله عليه) : إن النبي لم يجبهما بشيء ، لأنه تأمل أمرهما ، وقال : لو قلت خطأ الحسن أحسن كان يغتم الحسين ، ولو قلت خطأ الحسين أحسن كان يغتم الحسن ، فوجههما إلى أبيهما .

فقلت : يا سلمان بحق الصداقة والأخوة التي بيني وبينك ، وبحق دين الإسلام إلا ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما ؟ فقال : لما أتيا إلى أبيهما ، وتأمل حالهما ، رقى لهما ، ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما ، قال لهما : امضيا إلى أمتكما ، فهي تحكم بينكما ، فأتيا إلى أمهما ، وعرضا عليها ما كتبنا في اللوح ، وقالوا : يا أماء إن جدنا أمرنا أن نتكاتب ، فكل من كان خطه أحسن تكون قوته أكثر ، فتكاتبنا وجئنا إليه ، فوجهنا إلى أبينا ، فلم يحكم بيننا ووجهنا إليك ، فتفكرت فاطمة بأن جدّهما وأباهما ما أرادا كسر خاطرهما ، أنا ماذا أصنع ؟ وكيف أحكم بينهما ؟ فقالت لهما : يا قرتي عيني إنني أفطع فلادتي على رأسكما ، فأيكما يلتقط من لولوها أكثر كان خطه أحسن ، وتكون قوته أكثر ، قال : وكان في فلادتها سبع لولوات ثم إنها قامت فقطعت فلادتها على رأسهما ، فالتقط الحسن ثلاث لولوات والتقط الحسين ثلاث لولوات وبقيت الأخرى ، فأراد كل منهما تناولها فأمر الله تعالى جبرائيل بنزوله إلى الأرض ، وأن يضرب بجناحه تلك اللؤلؤة ، ويقدها نصفين فأخذ كل منهما نصفاً .

فانظر يا يزيد كيف رسول الله ﷺ لم يدخل على أحدهما ألم

ترجيح الكتابة ، ولم يرد كسر قلبهما ، وكذلك أمير المؤمنين ،
وفاطمة عليها السلام ؟ وكذلك رب العزة لم يرد كسر قلب أحدهما ، بل أمر من
قَسَم اللؤلؤة بينهما لجبر قلبهما ؟ وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول الله ؟
أف لك ولد ينك يا يزيد .

ثم إن النصراني نهض إلى رأس الحسين عليه السلام واحتضنه ، وجعل
يقبله وهو يبكي ، ويقول : يا حسين إشهد لي عند جدك محمد
المصطفى ، وعند أبيك علي المرتضى ، وعند أمك فاطمة
الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين .

الأستاذ عباس (جنيد) البهائي

هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي ، وبالأخص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام المعلم في مدرسة (كوشك خالصه) في منطقة (كرمسار) . قضى أعواماً أربعة منخدعاً بدعابات الفرقة البهائية . وفي (الثالث من شعبان سنة ١٣٨١ هـ) المصادف ليوم ميلاد الحسين بن علي عليه السلام . اعتنق الإسلام بمحض من العلامة الحجة الشيخ حسين (لاهوتي) ، وأبدى تبرؤه مما كان عليه سابقاً ، وأصبح بعد ذلك يتصدى كل يوم جمعة للوعظ والإرشاد^(١) .

(١) ماذا في التاريخ : ٣٧٧/٢٥ .

علي أكبر عباسي - البهائي

هذا العظيم يعتنق الإسلام الحنيف ، وبالأخص مذهب الشيعة ،
مذهب أهل البيت عليهم السلام ، لما رأى فيه من الفضيلة الإنسانية بجميع معنى
الكلمة ، وبواقعها الحقيقي .

يتحدث - علي أكبر - عن سبب تركه الطريقة البهائية واعتناقه الدين
الإسلامي ، وبالأخص المذهب الجعفري ، فيقول تحت عنوان (كيف
أسلمت) :

منذ حوالي ثمانية أعوام ، عازمت على مغادرة بلدتي ومسقط
رأسي (تربة حيدري) لأشتغل بحرفة الخياطة في مدينة (خراسان) ،
وكان لمبدأ دخولي هذه المدينة أثر سيء على نفسي ، مما جعلني أشعر
بمذاب روعي ، وقلقي فكري . ومع أنني في هذه الفترة كنت على طريقة
البهائية ، كنت أتردد إلى الروضة الرضوية المقدسة - هي روضة الإمام
علي بن موسى عليه السلام ، الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام - .

دخلت يوماً الصحن على غرار سائر المسلمين ، وجلست في
إحدى الزوايا في حالة لا شعورية أخذتني خلالها غفوة حالمة ، فرأيت

فيها سيداً جليلاً خارجاً من الحرم المقدس ، متوجهاً إليّ ، قائلاً : تُعافى بإذن الله ، قم فإنّ الجو بارد . فاستيقظت تاركاً الصحن لأذهب في طريقي إلى المنزل ، ولكن في حالة غير مرغوبة من الوجهة النفسية .

وصادفت في طريقي أحد أصدقائي من طلبة العلوم الدينية ، وكان يمتنن الخياطة قبل ذلك ، وهو على علم بمذهبي البهائي . فلذلك عرض عليّ أن أحضر إحدى الجلسات الإرشادية الإسلامية ، وكانت دعوة متجاوبة مع رغبتني النفسية حينذاك .

وبعد بضعة ليالي حضرت إحدى الجلسات لأنحرى الحقيقة عن المسلمين . وكان لحضوري المتكرر في تلك المجالس نتيجة هي معرفتي بحقائق الإسلام ، والتقائي القريب مع المعارف الإسلامية ، وأصول المذهب الحق الجعفري ، مذهب أهل البيت عليهم السلام .

وعلى أثرها تجلّت في قلبي بارقة نور ، أذهبت عني القلق الروحي ، وجميع الاضطرابات النفسية ، فتشرفت بالحضور لدى آية الله السيد محمد هادي الميلاني ، وأظهرت اعتناقي للإسلام ، والآن قد استأنفت حياة جديدة مصحوبة بعقيدة نزيهة ، ودين صحيح ، ومذهب حق مبر . فأشكر الله على ذلك ، والحمد لله رب العالمين^(١) .

(١) ماذا في التاريخ : ٣٧٢/٢٥ . نقلًا عن (جريدة (نداء حق) الدينية الطهرانية في عددها (٦٠٩) من سنة (١٣) عام (١٣٨٢ هـ) . ومجلة (نور دانش) العدد (٨) عام (١٣٨١ هـ) .

(كروب هوناتيان) المسيحي الأرمني

هذا العظيم يعتقد الدين الإسلامي ، وبالأخص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام . لقد أعجب هذا العظيم بما تحلى به قانون الإسلام من جهة حجاب المرأة ، وصون كرامتها ، فلقد صان المجتمع البشري مما يترتب على ضده (التبرج والسفور) من مفاصل اجتماعية ، كبسب الراحة البيتية ، وجلب العداء الداخلي ، وشل وحدة العائلة ، وما إلى ذلك من مفاصل ، تخل بالآمن ، وتهدد بالخطر ، وتنافي الأخلاق الفاضلة ، والشرف والمروءة ، وكل فضيلة وكرامة .

كان (كروب) مسيحياً أرمنياً من عائلة تعرف باسم (هوناتيان) ، وأصبح ببركة تعالىم الإسلام الخالدة ، مسلماً شيعياً جعفرياً إمامياً ويدعى (علي إسلامي) وقد كشف عن أسباب اعتناقه لدين الإسلام الحنيف ، ولمذهب أهل البيت عليهم السلام المستقيم ، فقال :

السبب الذي رغبتني في الإسلام هو أنني كنت أشتغل في أحد المصانع في (طهران) ، وكنت أصاحب نقرأ من المسلمين . كانت الأواصر البيتية تربطني معهم ، وكانوا يدعونني في ليالي الجمع إلى

الحضور في متدياتهم المذهبية ، حتى وقفت على جوانب دينهم الإسلامي ، وتعرفت إلى مذهبهم الكامل المستقيم . ونظراً إلى أن الأمم المسيحيين لا يقيمون للحجاب وزناً ، فيختلط بعضهم مع بعض ، ويجتمعون رجالاً ونساء على مائدة واحدة ، ولا تمييز للمحارم عن الأجانب عندهم .

ونظراً إلى ذلك تعجبت كثيراً ، حيث أنني منذ مدة طويلة ، وأنا أصاحب أصدقائي المسلمين ، وأحضر مجالسهم ، وأدعى إلى موائدهم ، فلا أرى نساءهم يدخلن علينا ، ولا يحضرن الموائد معنا ، واستفسرتهم : ألستم على شاكلة الأرمن من المسيحيين ، تحضر نساؤكم على مائدة الضيوف ، ويجلسن معكم حلقات ؟ قالوا : كلا . إن مذهبنا (نحن المسلمين) وبالأخص مذهب الشيعة ، مذهب أهل بيت النبي ﷺ يهتم بقضية الحجاب والمحرمية ، اهتماماً بالغاً .

ولدى استماعي لهذا الموضوع ، اندفعت نحو هذا الدين اندفاعاً طبيعياً ، وعاقنتني عن إظهار العقيدة في (طهران) بعض الملاحظات البينية ، والخوف من ذوي قرابتي هناك .

واحتفظت بفكرتي عن الإسلام ، إلى أن غادرت طهران عام (١٣٨٠ هـ) لأتخذ من (مسجد سليمان - خورستان) محلاً لمزاولة مهنتي ، فرأيت فرصة مفتحة للحضور لدى العالم الديني هناك (الشيخ محمد علي موحد) ، جاء من مدينة (قم) من قبل المغفور له آية الله البروجردي ، قدس سره ، للتصدي للأمور الدينية هناك ، فعرضت عليه فكرتي ، واعتنقت الإسلام ، وبالأخص المذهب الجعفري ، بمحضره في جامع (مسجد سليمان) .

والآن : أرى نفسي سعيداً جداً حيث وفقت للهداية إلى الدين
الحنيف ، والمذهب الحق المبين ، في ظل العناية الإلهية ، ورعاية
الزعيم الروحي الفقيه آية الله البروجردي ، وسائر العلماء ، وغيرهم من
خيار المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وأهل
بيته الطيبين الطاهرين^(١) .

٢

(١) ماذا في التاريخ : ٣٧٠ / ٢٥ .

الأستاذ (ويرنر ألفريد) المسيحي الألماني

هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي ، وبالأخص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام (سنة ١٣٤٨ هـ) مع زوجته ، بعد أن قضى أكثر من خمسة أعوام في دراسة خاصة ، واطلع على جملة الأديان .

ولد الأستاذ (شوبرت) في برلين من أبوين مسيحيين رومانيين ، (عام ١٣٢٢ هـ) ، وهو أحد مؤسسي الجمعية الإسلامية الألمانية (في برلين) ، كما وأنه اشترك في تأسيس اللجنة المحلية للمؤتمر الإسلامي العام في برلين (عام ١٣٥١ هـ) . ويقول :

من جملة الأسباب التي جعلتني أنفصر عن المسيحية ، هي أن المذهب الكاثوليكي لا يسمح لنا بالمناقشة والسؤال عن الأشياء والقضايا التي يصعب علينا فهمها ، وإنما يجب علينا أن نؤمن بها وكفى . ثانياً - إنهم يعتقدون أن القس هو الذي يغفر الذنوب والخطايا بمجرد الذهاب إليه ، والإلتماس منه ، والصلاة عنده ، وهذا ما أرفضه رفضاً باتاً .

ثم يذكر القرآن الكريم ، ويشيد بما جاء فيه من الآيات الكريمة التي تحث على العلم ، وذم التقليد وتأمر بالمعطف والرحمة بالبشر . وأهقب

ذلك بقوله : هذه هي الأسباب التي دعنتني إلى اعتناق الإسلام ،
وبالخصوص مذهب أهل البيت عليهم السلام .

وقد سبق لي الإطلاع على ديانات مختلفة ، غير أنني لم أستطع أن
أجد فيها عظمة القرآن ، ورأفة كرافته ، وحكمة واسعة كحكمة القرآن
المقدس . ويقول في بعض كتبه ، (حينما سئل عن سبب اعتناقه مذهب
الشيعية الإمامية) :

لما عرفته منه من ولائه لآل الرسول عليهم السلام دون غيره من المذاهب ،
ثم يقول : الحقيقة أنني رأيت في المذهب السني كثيراً من الأفكار
الأوروبية الداخلة على الإسلام ، والتي لم تعجبني ، ثم من ذا الذي يترك
عترة آل النبي عليهم السلام ومن ذا الذي هو في غنى عن شفاعتهم يوم الحساب ،
حيث روي عن الإمام علي عليه السلام عن النبي عليه السلام أنه قال : ألم تسمع قوله
تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ ^(١) .

هم أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض - إذا جاءت الأمم
للحساب تدعون غراً محجلين .

وأضاف : فإني أطمع في أن أكون أحد الذين ينالون شربة من يد
الإمام الكريم عليه السلام ^(٢)

(١) سورة البينة .

(٢) ماذا لي التاريخ : ٣٦٩/٢٥ .

غلام شاه

ولد حوالي (سنة ١٢٨٩ هـ الموافق سنة ١٨٧٢ م) في بلدة (شادي كجالة) قضاء (ملتان) في باكستان وتوفي (سنة ١٣٥٤ هـ / سنة ١٩٣٥ م) .

السيد غلام شاه بن السيد سلطان علي النقوي ، نشأ وترعرع في محيط أهل السنة والجماعة ، وكان يحضر دروسهم الدينية ، ولم تكن هناك مدرسة أو مؤسسة للمسلمين الشيعة ، وتابع أيضاً دراسته المرحلية في المدارس الرسمية ، وظل متمسكاً بعقيدة السنة والجماعة .

كان عالماً فاضلاً ، وراعيًا ومرشدًا عندهم ، ومخلصاً لهم ، وقد التف معتقدوه حوله بمقدار لا بأس به ، ومع كونه شتياً كان يقرأ مصائب الإمام الحسين عليه السلام ، على المنبر ، وكان مرغوباً في أسلوب وعظه وإرشاده ، بحيث أن السامعين كانوا يبكون على بيانه ، وإذا سمعوا أنه يلقي محاضرة في مكان ، كانوا يسارعون إليه مهما كلف الأمر .

تزوج من امرأة محترمة ، وقد وهبه الله صبياً سماه السيد أمير حسين الذي نشأ وترعرع برعاية أبيه . وعندما أنهى دراسته المصرية ، تحرّك عنه

السيد محمود الحسن لإصلاح دينه ، لأنه كان عالماً فاضلاً ، وخطيباً بارعاً ، وجعفري المذهب ، خلاف أخيه غلام شاه ، وشجع ابن أخيه على مطالعة كتب المذهب الجعفري ، لأن السيد محمود الحسن ، كان قلقاً على مذهب أخيه ، وتمصّبه له . فاغتتم الفرصة في تربية السيد أمير حسين الذي أصبح شاباً جعفرياً عقيدة وثقافة .

وعندما علم والده غلام شاه بالأمر ، تأسف كثيراً ، وغضب غضباً شديداً ، ودعا ابنه للمناظرة بين جمع غفير ، وحضر كبار علماء السنة والجماعة ، وكان فيهم أساتذة السيد أمير حسين . ولم يكن معه من علماء الشيعة سوى عمّه السيد محمود الحسن ، وهما كانا في مقابل ستة وثلاثين عالماً من السنة .

ودار البحث على مسألة (فذك) هل كانت ملكاً لفاطمة (سلام الله عليها) ، في حياة أبيها (عليه السلام) ، أم لا ؟ .

وثانياً : عندما توفّاها الله (سلام الله عليها) ، هل كانت راضية عن الخلفاء أم لا ؟ .

هذان العنوانان كانا موضوع البحث ، فكان السيد أمير حسين يقدم الأدلة والبراهين على أن (فذك) كانت لفاطمة (سلام الله عليها) من زمن أبيها ، وقضت ولم تكن راضية عن الخلفاء ، ولم يستطيعوا جواباً ، وكان ردّهم بالاتفاق : إنّ السيدة فاطمة (سلام الله عليها) كانت جاهلة بهذه المسألة (معاذ الله) .

لم يستطع السيد غلام شاه صبراً ، وقام صارخاً بوجوه علماء السنة : إذا أنكم لا تعرفون ابنه رسول الله ؟ وبدأ يقرر فضائل السيدة ومصائبها ، فأبكى الحاضرين جميعاً ، وقال بصوت عال :

إن المذهب الذي لا يحترم علماء السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فعلى مثل هذا المذهب السلام ! وأنا أختار من الآن مذهب الشيعة ، مذهب فاطمة الزهراء ، وأنا بريء مما تعتقدون ! وتشيع الحاضرون من الناس .

وعندما انتشر الخبر في القرية ، اعتنق أغلب أهلها مذهب الشيعة ، ثم صارت كلها شيعية ، والجامع الذي كانت تقام فيه صلاة أهل السنة والجماعة تصلى فيه صلاة شيعية جمعة وجماعة^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ٣٩٢ . استناداً على رسالة مولانا محمد عارف .

كاكاكيلا وكاكي كيلبي

هندوسيان ومن زعماء الوثنيين . وقال بعض أفاضل البواهر^(١) في كتابه « المجالس السيفية » : إن المستنصر بالله الفاطمي ، خليفة مصر ، أرسل الواعظ عبد الله إلى دحاة (اليمن) ليتعلم عندهم اللغة الهندية ، ثم يسافر إلى الهند للتبليغ . فلما ورد عبد الله الهند اتفق أن وروده إلى (كجرات) أيام « الراجة جي سَنَگه » ، وكان متعصباً جداً على الإسلام ، وشديد الفساد بالمسلمين ، بخلاف من مضى قبله من الراجات ، فلم يقدر عبد الله على بث الدعوة ونشرها جهاراً ، بل أذرع بالتقية .

مر يوماً أثناء إقامته على بحر جفت ماؤها منذ أمد غير قصير ، فنبع الماء بدعائه ، فاهتنق التشيع لذلك رجلاً ممن شاهد الحال من قاطني (كجرات) المسلمين ، وهما (كاكاكيلا) و (كاكي كيلبي) .

ولكن مع ذلك كان عبد الله لا يخلع لباس التقية ، ويخشى من الجهر بالدعوة للتشيع ، حقناً لدمه ، فسافر إلى العاصمة وفق إشارة ذينك

(١) البواهر جمع بوهرة وهم الاساهيليون .

الشيعة الجديدين يرشد « المهنت »^(١) عابد الصنم الكبير .

فلما وصل إلى « المهنت » المشار إليه وجده يُعَلِّم الأطفال حروف الهجاء . فكلَّمه بأحاديث أعجبتة جداً ، ثم استأذنه بالحديث سرّاً . فلما خلا الواعظ عبد الله « بالمهنت » صار يناظره في مباحث عرفانية فما زال به حتى أسلم وتشيع .

وكان « بهارمل » الوزير الأعظم « للراجة سنكه » يتبع « المهنت » ويصغي إلى قوله ، فأدخله « المهنت » في رتبة الإسلام والولاء بعد مواعظ بليغة مؤثرة وحُجج بالغة أخذها « المهنت » عن الواعظ ووعاها منه ، وما اكتفى عبد الله الواعظ بتشيع هذين العظيمين ، بل كان مطمح نظره نفس « الراجة جي سنكه » ، وقد علم أن الراجة شديد الإخلاص والإرادة للصنم الكبير الذي كان معلقاً في وسط القاعة في الهواء ، بغير دعامة ولا عمد ، فانضح لديه بعد التروي والإمعان ، أن هناك جواذب مغناطيسية بتوازنها في الجذب ، قد أوقفته ومنعته من السقوط . فأقدم يوماً بجراًءة على تلك الأحجار المغناطيسية ، فانتزعها من الجدران . فخرّ الصنم الكبير ساقطاً على الأرض ، وما كان الراجة على حسن ظنه السابق « بالمهنت » و « الوزير بهارمل » فزاد سقوط الصنم في الطين بلة ، واشتد غضبه ، وحاصر المعبد بعسكر كثير . فظهر عبد الله إلى الراجة ، وتلا عليه آيات من الكتاب وأدعية ، فصار جسمه يلتهب ألماً ، فأقلع عما قصده ، ثم صار ذلك سبباً لأن يُسلم ويشيع .

وفي (ص ٨٤٢) من كتاب « جرنل إيشايل سوسانتي نيغال » :
إن المستنصر بالله أرسل واعظاً إلى الهند ، وتشيع بمساعيه « الراجي جي

(١) لقب زعيم المذهب عند الوثنيين .

سنگھ « أمير (كجرات) .

ثم رحل عبد الله إلى (بتن) ، و (سدهوپور) ، وهما بلدان من بلاد (دكن) ، وأدخل بدهوته الألوف من الوثنيين في الإسلام ، ثم علم يعقوب بن بهارمل الوزير العلوم الدينية ، وأتابه في الدعوة والتعليم ، وأرسل يعقوب ابن عمه فخر الدين إلى (راجبوتانه) - بلدة في الهند - ولكنه لم ينجح نجاحاً يذكر واستشهد بعد ستين .

وبعد وفاة يعقوب ، قام ابنه مقامه في الدعوة والإرشاد ، ثم بعده ابنه إسحاق . والذي يظهر أن إسحاق ، أو الذين خلفوه ، كانت لهم مساع جلية في الدعوة والتبليغ في شمال الهند وذلك لأن سلطان « تغلق » الذي كان في القرن الثامن من الهجرة ملكاً على (دلهي) عاصمة الهند اليوم ، وعاصمة الدولة المغولية بالأمس ، يكتب في مذكراته اليومية : إن بدعة الرفض في هذه الأيام أخذت ترتقي يوماً فيوماً ، وصار مخلصو الدولة يتشيعون سرّاً ، فارتأيت أن أقطع هذه الشجرة من أصلها ، فأمرت بقتل دعاة الروافض ، وحرق كتبهم ، وهدرت دم كل من يتوهم فيه أنه شيعي . ومن ظلم هذا السفاك الفتاك ، وقف انتشار التشيع في شمال الهند إلى قرون^(١) .

(١) تاريخ الشيعة للمظفر: ص ٢٣٠ ، ط . بيروت .

(كل ما في مسرا) البرهمي ^(١)

المهندس البرهمي الروحي الهندي .

هذا العظيم ، يعتنق الدين الإسلامي الحنيف ، وبالخصوص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام في كربلاء المقدسة ، على يد سماحة العلامة الكبير ، السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني ، على أثر مناظرة دارت بينه وبين السيد ، في الديانة الإسلامية والبرهمية ، فأذعن بالإسلام وصحته ، وبالخصوص مذهب الحق ، مذهب أهل بيت النبوة عليهم السلام .

قالت « مجلة المرشد » البغدادية : كان المهندس البرهمي المسمى (كل ما في مسرا) شاباً قوي الجسم ، من أبناء الأربعين دخل العراق مع الجيش في ابتداء الحرب العامة بصفة مهندس ، وأخيراً كان المهندس على جدول (جورجي) في الفرات الأوسط .

وفي سنة (١٣٣٦ هـ) دخل السيد (محمد مهدي آل فنيبر علي)

(١) ماذا في التاريخ : ٣٦٢/٢٥ .

على مجلس العلامة الرئيس ، السيد هبة الدين الشهرستاني الأفخم ،
 في (كربلاء) ، يستأذن السيد الرئيس ، لقبول المهندس المذكور مباحثاً
 معه في الديانة الإسلامية . ولما سأله عن داعيته الحقيقية ، قال
 المستأذن : إنني موظف عنده (أي البرهمي) وكان يراني أصوم شهر
 رمضان مع حرّ البر ، وأعمال النهر ، فصار يحادثني عن الشؤون الدينية ،
 أوقات فراغه ، حتى قال لي ذات يوم : إن شدة التمسك منكم بدين
 الإسلام ، ومجاهدكم في سبيله ، دليل على أن الإسلام دين ينطوي على
 حكمة جذابة ، استهوت عقولكم ، وعواطفكم إلى درجة التعمش ، لكنني
 أسف على أنك لا تعرف من بواطن دينك ومعارفه شيئاً ، حتى تجيبني عمّا
 أسأل . أفهل عندكم علماء مرشدون يسهل السبيل إليهم ، والتحاوّر
 معهم ؟ قلت له : نعم وما هو قد جاء ونزل في دار سمو الراجة (السيد
 أبو جعفر صاحب المعظم) .

فتأمل سماحة الرئيس ، ثم قال : أنا أزوره ، فلأن القادم يزار ،
 والضيف يكرم ، ولو كان كافراً . ولما جاء السيد الرئيس ، وفي المجلس
 حضرة السيد محمد الحكيم ، وميرزا محمد باقر خان بهادر ، وجماعة
 آخرون ، وتبدلت عواطف الولاء ، قال (البرهمي) فيما يقال : إن
 الإسلام يفرض على الجميع عبادة شيء لا يحس ولا يمس ، لا لون له ولا
 شكل ، ولا ... ولا ... لكن هذا غير معقول ، ومخالف للمصلحة .

أما إنّه غير معقول : فلأن العقل لا يمكنه أن يعترف بثبوت شيء لا
 يحس ولا يمس ، لا لون له ، ولا شكل . أرجو العفو في قلبي : إنّ
 العقل مهما كان دقيقاً ، فلا يستريح عند التصديق به .

وأما قلبي : إنه خلاف المصلحة ، فلأن الدين قد يعتبر بعض
 الأشياء لمصلحة . وبما أن العبادة أساس الديانات ، ولا يستثنى منها

أحد ، فالمصلحة تبعث إلى جعله سهلاً واضحاً نافعاً ، حتى يرغب العموم فيه ، ويقتدرون عليه . فسامحوني إذا قلت : إن أكثرية البشر لا يقدرون على الاعتراف بوجود شيء غير محسوس .

أما نحن البراهمة فنرفض إجبار الجميع على العبادة ، ولكن نتركهم أحراراً في انتخاب ما يعبدون مما يحسبونه عظيماً . فالجاهل قد يعبد أبويه ، أو المنعم عليه ، ثم يترقى إلى عبادة أعظم ما يراه بين يديه ، وهكذا إلى أن يصير فيلسوفاً ، فيعبد إله الآلهة فوق السماوات العلى .

فأبهر الحاضرون حسن بيانه ، لكنه ينطق بالهندية ، وحضرة السيد محمد الحكيم يترجم عنه بكل براعة ، وبلاغة .

فأجاب السيد الرئيس قائلاً : سامحني إذا سألت هل فيك وفي جمهور البشر روح وعقل ؟ فأجاب البرهمي : نعم بديهي وجودهما في الجميع .

السيد : هل هما محسوسان ؟ وما لونهما ؟ وكيف شكلهما ، ووصفهما ؟

البرهمي : العفو ! لا يدعي أحد أنه رأى الروح ، أو العقل ، حتى يصف لونهما ، أو شكلهما ، ولا هما محسوسان بإحدى الحواس البشرية .

السيد : فإذا قد اعترفت بأن الروح أو العقل لا يحس ، ولا يمس ، ولا يوصف بلون أو شكل ، ومع ذلك تعترف بأنه موجود فيك ، وفي غيرك . فأرجوك أن تتذكر قولك سابقاً في الاعتراض على معبودنا أنه لا يحس ولا يمس الخ . . . وتذكر قولك : إن العقل لا يسمعه أن يتصور وجود غير المحسوس ، فضلاً عن عبادته . . . الخ . فإن بقيت الآن على

اعتراضك يلزمك أن تنكر العقل والروح أيضاً ، لأنهما موجودان ، وغير محسوسين ، وإن عدلت عن قولك تحولنا إلى بحث آخر !

البرهمي : العفو ! أوضح لي كيف أن العقل يؤمن بغير المحسوسات ؟

السيد : العقل بما أنه ثابت وغير محسوس بنفسه ، بل هو محسوس بأثره ، فإنه يؤمن بتحقيق أمثاله من الحقائق الخفية التي تبدو آثارها محسوسة ، ودلالة الأثر على وجود المؤثر طبيعية ، ومنطقية معاً .

مثاله : إن الإنسان يحس من أخيه باليقين ، آثاراً لا تنفك عن العلم والعقل معاً ، مثل الكلام ، والكتابة ، وهندسة البناء ، وغيرها ، فيجزم باليقين أن في صاحبه عقلاً مدبراً لأفكاره ولأعماله . ولكنه مع يقينه ، يتحقق العقل بأنه جاهل بحقيقة أصله ، وهكذا الإنسان يعرف ربه أي : يحس بكائنات الأرض والسماء ، ويرى لهن أنظمة متقنة ، فيعتقد أن لهذه الكائنات مدبراً حكيماً ، ومنظماً عظيماً .

فالعقل يعتقد من ذلك بشيوت هذا الرب المدبر الحكيم ، القادر العليم ، وإن جهل أصله ، وتفصيل كنهه .

البرهمي : (بكل مسرة واستحسان) هل هذا من فكرتكم ؟ أو موجود في كتاب نبيكم ، ويعرفه المسلمون ؟

السيد : نعم يوجد الإشارة إليه في كتاب نبيتنا محمد ﷺ كما في قوله تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

الحق ﴿١﴾ .

وفي آية أخرى :

﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ ^(٢) ﴿ أفبى الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ ^(٣)

أي : من العالم الربوبي . وفي حديث النبي ﷺ : « من عرف نفسه عرف ربه » .

البرهني : كفاني هذا الكلام الصحيح ، ولكن أتجاسر بأن أقول إن هذه الحقيقة العالية ، لا يدركها إلا عظماء الحكماء ، والعبادة عمل العموم ، فلا بد أن تؤسس على صورة سهلة الحصول ، وهي التي لدينا من التدرج في المعبودات حسب تدرج عقلية العابد .

السيد : لا يسع المقام بيان نظرية التدرج والتطور ، إن تمت في عوالم المادة ، فإنها لا تتم في التدين والروحانيات العالية ، ولكن يسعني القول في جوابكم بأن العبادة (كما قلتم) هي الحجر الأساس القائم عليه بناء الدين ، فإذا استقام من مبدئه على صحة ، استقام كلما بني عليه ، بالغاً ما بلغ ، والعكس بالعكس . هذا أصل مسلم . ومسلم أيضاً قولك : إن الديانة ضرورية للبشر ، فلا بد وأن تؤسس على أصول بسيطة سهلة القبول ، سمحة المفعول ، وعلى هذين الأصلين أعاهدك على أن أساس العبادة في الإسلام مبني على الصحة والاستقامة ، وهي عبادة الإنسان لخالقه الذي هو خالق الكائنات عامة ، وهذا الخالق بما أنه مبدأ وجود

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١٠ .

الكل ، ومنعم الكل ، حقيقي يتوجه الكل إليه وحده في العبادة ، وأن هذا المعبود ، وإن خفي على حواسنا ، فإنَّ خفاء حقيقته لا ينافي ظهور تحققه بالآثار ، كما أن الروح التي هي آية الله في كل إنسان ، خفيت أيضاً عن الحواس ، ولكن خفاءها لا ينافي إيمان الجميع بثبوتها . إذن فعبادة المسلمين صحيحة متينة ، وسهلة القبول ، حسب الأصلين السالفين . .

أما ما ذكرتم عن البراهمة : إرخاء العنان للإنسان حتى يعبد كلما يخاله أعظم من نفسه ، فيصبح البرهمي عبداً لأبويه ، ثم يضحي عبداً للأشجار ثم يسمي عابد الرعود والبروق ، الأمر الذي جعله مؤرخة الأديان أساساً لنشوء الأديان ، وجوزتم للإنسان أن يتدرج في انتخاب المعبود لنفسه ، كلما تدرجت مشاعره ، وارتقت معارفه ، وهذا أمر باطل ، وصعب القبول على العقول ، وخلاف المصلحة العامة .

● أما بطلانه : فلأن العبادة خضوع اختياري من العابد للمعبود ، ومثله لا بد وأن يوجد بسبب غير القوة والقهر ، أعني به استحقاق المعبود للخضوع له ، فبأي سبب استحق منك الحجر والشجر والبقر ، أن تخضع لها ، وأنت أقدر منها ، وأرقى وأنفع لها ، وأدرى ؟ فعبادة الإنسان لما دونه ، غير صحيحة ، وباطلة .

● وأما أنها صعبة القبول لدى العقول : فلأن البرهمية تولد لك في كل عام ألف معبود (كما أن لكم ثلاثة وثلاثين مليوناً من أنواع الآلهة) والنفسية الإنسانية لو خيرت بين عبادة واحد هو أعظم الكل في الكل ، وبين عبادة آلاف الألوف ، من صغار وكبار ، فأيهما السهل المقبول ، وأيهما الصعب الموجب للنكور ؟

● وأما كونها مضرّة ومخالفة للمصلحة العامة : فلأن البرهمية

تربك في تجولاتك من معبود إلى معبود خطأك في الأول ، ثم في الثاني ،
ثم في الثالث ، وهلم جرا .

فتربي فيك وفي أمثالك صفة المكوف على الأباطيل والأكاذيب ،
والأوهام ، وسهولة الإقامة على الضلّة والذلة ، وتمحو منكم نفسية
الحاكمية ، وهن من أمتها الرذائل والأخلاق الذميمة .

فما استتم السيد كلامه حتى بدت دلائل الإنفعال في وجه البرهمي ،
وأظهر بقوة لهجته ، انقياده للحجة ، واعترافه بفساد ما كان عليه سابقاً ،
وأن التوحيد هو الدين المكمل لنفسية الموحدين .

ثم جرت مذكرات هامة أخرى في فصول النبوة والإمامة ، أسفرت
عن اعتناق المهندس البرهمي لدين الإسلام الحنيف ، وبالأخص
لمذهب الشيعة مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وسأل عن شرائط التدين ،
فأملى عليه السيد الشهادة الكاملة ، وهي الإقرار بالله بالرحمانية ،
ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ، ولعلي وأبنائه المعصومين ، بالإمامة ،
والخلافة عليهم السلام .

وأسلم (كل ماني مسرا) وبذل اسمه (بكل محمد) ، وحسن
إسلامه والتزاماته بالعبادات كلها ، ثم أتت منه كتب مهمة منها في
الصلاة ، والثاني في بطلان ما عليه البرهمانية ، والحمد لله رب
العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ^(١) .

(١) ماذا في التاريخ : ٣٧٩/٢٥ .

محمد إسماعيل ديوبندي

ولد حوالي (سنة ١٣٣٥ هـ) في الهند
وتوفي (سنة ١٣٩٦ هـ) .

هو مولانا محمد إسماعيل خلف سلطان علي ، من سكان
ضواحي (جالندهر) في ولاية (بنجاب) في الهند ، تعلم في حوزة
الوقايين من السنة في (ديوبند) . نشأ وترعرع على مذهب السنة .

كان خطيباً وإمام المسجد في وطنه ، وكان يتمتع بجودة الذهن ،
وحسن الذكاء ، وفكر عميق . واتفق ملاقاته بإنسان عارف روحاني ،
عالم شيعي ، وباحثه في المسائل المتنازع عليها بين السنة والشيعة ،
واستوضح منه بعض عقائد المذهب الإسلامي الشيعي
وفي (سنة ١٩٣٥ م) أعلن تشيعه ، وبعد اعتناقه المذهب الجعفري
أصبح مولانا إسماعيل إمام الجمعة والجماعة في مسجد الإمامية وبدأ يبلّغ
وفق المذهب الإسلامي الشيعي المختار . وكان يواجه التحذيرات من قبل
أهل مذهبه السابق . واقفاً أمامهم كبنيان مرصوص ، حتى لو هاجم
أحدهم المذهب الشيعي بعيداً عنه ، كان يتقدم لمواجهته ، ويخوض

المناظرات والمباحثات والجدل في المحاكم الرسمية ضد الخصم .

وبدأت تكثر الجماهير تحت منبره ، وعندما كان يصعد المنبر ، كان يحمل معه الصحاح الستة مثل (صحيح البخاري) ، (وصحيح المسلم) ، وكان يقرأ نص العبارات من الكتب المذكورة وقت الحاجة . ويهتئء الصناديق للكتب قبل صعوده على المنبر ، لأنه كان يتعرض للأسئلة الكثيرة على المنبر ، فكان يرد عليها فوراً ، مستعيناً بالمصادر التي بين يديه ^(١) .

(١) مطلع أنوار: ص ٤٨٢ .



شانتال الفرنسية

كيف استجابت الأخت الفرنسية «سمية» - Chantal سابقاً - لنداء الإيمان ، وماذا جرى معها في رحلة الإسلام ؟ . هذا ما تحكيه لنا في هذه المقابلة التي أجرتها معها (نور الإسلام) مؤخراً :

س - هل من الممكن أن تعطينا لمحة عن حياتك السابقة قبل الدخول في الإسلام ؟

ج - ولدت في بلدة تسمى «Le Mans» تبعد (٦٠ كلم) عن (باريس) لأبوين مزارعين دخلهما متوسط . هما مسيحيان لكن طبعاً لا يطبقان من تعاليم الدين المسيحي كأكثر الفرنسيين إلا بعض العادات والتقاليد . بقيت حتى سن السادسة عشرة مع والدي ، وعندها انتقلت لأعمل في بلدة ثانية في (فرنسا) ثم لم أستقر هناك ، وبعد بلوغي الثامنة عشرة ذهبت للإقامة في (باريس) .

س - كيف كانت حياتك في (باريس)؟ وما الذي دفعك للذهاب إلى هناك ؟

ج - طبعاً كالكثير من الفتيات والشبان الغربيين في سن المراهقة ، يحبون أن يعيشوا بحرية دون مراقبة وقيد ، وهم يرون أن كل الحرية والحياة الجميلة موجودة في العاصمة (باريس) ، حيث فرص العمل كثيرة . بعد فترة معينة من إقامتي في (باريس) عند أختي المتزوجة ، وجدت عملاً في « سوبر ماركت » كمحاسبة ، ثم استأجرت منزلاً صغيراً ، وبدأت أعيل نفسي بنفسي .

س - ماذا كان توجهك الديني في تلك المرحلة ؟

ج - لم أكن أهتم أبداً بالدين ، ولم يكن يشكل عندي أي فكرة ، كما لم يكن له مكان أو وجود في حياتي . حتى أنه لم يكن عندي أي معتقدات أخرى . لست أنا فقط ، بل أنا والكثير من صديقاتي ، لم نكن نفكر سوى بالمرح واللهمز والتزّه ، دون هدف ، أو مبدأ .

س - هل لك أن تشرح لي لنا كيف توصلت إلى معرفة الدين الإسلامي ؟

ج - عندما كنت أعمل في « السوبر ماركت » كانت هناك فتاة جزائرية تعمل كمحاسبة مثلي ، متزوجة ولها ولد ، كانت تبدو لي أنها غير فرنسية ، أي أجنبية عن بلادنا . إذ أنها كانت تضع على رأسها حجاباً ، وبما أنني كنت أحب التعرف على الأجانب ، فقد أردت التعرف عليها ، وكانت لطيفة ومحبوبة . فنشأت علاقة قوية بيني وبينها ، ومن خلال هذه العلاقة عرفت أنها مسلمة ولذلك ترتدي الحجاب .

كانت تحدثني من وقت لآخر عن هذا الدين ، لكنني كنت أخاف من الاستماع إليها كثيراً ، خوفاً من أن أصبح يوماً ما مثلها ، لأنه كان ينظري واعتقادي أن المسلمات ، خاصة اللواتي يرتدين الحجاب ، هن مجبرات

على فعل هذا ، وهنّ تميسات في حياتهنّ ، وليس عندهن الحرية والحياة الجميلة . وكنت أعتقد أنهنّ مسحوقات من قبل أزواجهن ، وليس عندهن أي حقوق . إلا أن هذه الأخت ، لم تكفّ عن محادثتي عن الإسلام ، وكانت تدعوني دائماً للذهاب إلى المركز الذي تذهب إليه هي وزوجها ، وهو مركز إسلامي موجود في (باريس) . ومن شدّة إصرارها عليّ ، قبلت وذهبت لأول مرة في حياتي إلى مركز من هذا النوع .

س - كيف كان شعورك عندما ذهبت إلى هذا المركز الإسلامي ؟

ج - عندما دخلت إلى هناك ، وجدت عدداً كبيراً من الأخوات المسلمات الفرنسيات ، وغير الفرنسيات ، وكذلك العديد من الإخوة . وهناك تعرّفت على بعض المسلمات الفرنسيات منهنّ أخت تدعى فاضلة . كان يوم عيد عندهم ، فاستمعت إلى المحاضرات التي كانت باللغة الفرنسية ، ومن ثم بدأت أتحدّث مع الأخوات ، وأتناقش ، وكنت أطرح الكثير من الأسئلة ، فأتلقي الجواب ، ولكن لم تكن عندي يومذاك القابلية للإقتناع . والشيء الذي تركه عندي هذا اللقاء هو التفكير ، وأخذ الأمور بجديّة وتأمل ، وهنا بدأت أسأل نفسي عدة أسئلة ، وأفكار عديدة بدأت تجتاح خاطري . لكن للأسف في هذه الفترة المهمة ، لم يتوفر لدي شخص ألجأ إليه ، حتى أستوضح هذه الأمور ، لأن صديقتي الجزائرية سافرت مع زوجها ، وتركتني وحيدة أنصارع مع أفكارني دون أن أجد الجواب .

س - إذا كيف اعتنقت الإسلام ؟

ج - كان منزل صديقتي الجزائرية بالقرب من منزلي . وبعد أن سافرت جاءت الأخت فاضلة ، وسكنت المنزل مع زوجها ، ريثما تعود

صديقتي من السفر . وبهذه المناسبة تعمقت صلاتي بهذه الأخت الفرنسية المسلمة ، إذ أخذت تدعوني إلى منزلها ، وتصّر عليّ أن أزورها دائماً كما كانت هي بالمقابل تزورني مع زوجها . وفي كل مرة كنّا نتحدّث ونتناقش وأطرح العديد من الأسئلة حول الدين الإسلامي ، وخاصة حول وضع المرأة المسلمة ، وحول الحجاب والكثير من الأمور .

بعد هذه العلاقة القوية التي نشأت بيني وبينهما كسر ذلك الحاجز النفسي ، وتغيّرت النظرة لبعض الأفكار التي كانت تسيطر على عقلي ، ومنها أن المسلمين هم أناس تقليديون لا يحترمون المرأة ، ويسلبون منها الحرية ، ويقهرونها وخاصة في تعامل الأزواج مع زوجاتهم . حيث رأيت العكس تماماً في هذه الأسرة المسلمة المطبقة لأحكام الإسلام . وبعدها تعرّفت على إخوة مؤمنين ، وأخوات مؤمنات . وكنا دائماً نلتقي سوياً لكي نتناقش ، وأنا أستمع بدقة ولهفة حتى أحسست أن شيئاً ما يوقظني ، ويشغل بالي وفكري . لكن خوفي في البداية من ردّة فعل أهلي ومجتمعي ، وأصدقائي ، كان يمنعني من التقدّم نحو هذا الدين ، ولكن الحمد لله ، في النهاية كان لا بد أن أكسر حاجز التردد ، وأخير نفسي بين ما اقتنعت به وأحببته ، وبين أهلي ومجتمعي !

س - كيف جرت الأمور بعد ذلك ؟

ج - في أحد الأيام ذهبت إلى منزل الأخت فاضلة ، وكان عندها بعض الإخوة المؤمنين ، والأخوات المؤمنات . وهناك أعلنت إسلامي ، ونطقت بالشهادتين ، وعاهدت الله أن أسير على الصراط المستقيم ، وألا أختار عن الإسلام بديلاً .

س - ما كان تأثير إسلامك على أهلك وأصدقائك القدامى ؟

ج - طبعاً كان من الصعب عليّ أن أصارح أهلي بإسلامي ، لأنني كنت أعلم سلفاً أنهم لن يتقبلوا هذا أبداً . لكن في النهاية أخبرتهم بإسلامي وبزواجي من شاب مسلم ، فصعقوا ورفضوا أن يروني ، أو يستقبلوني عندهم ، وقالوا : إذا أردت المجيء ، فلا تفكري أبداً بالمجيء إلينا محجبة ، أو مع زوجك ، ولا تريد أن تتكلمي عن هذا الدين أبداً . وكأنهم يقولون لي : إذهبي لشانك ، ودعينا وشأننا .

طبعاً تأثرت لهذا الوضع ، لكنني كنت والحمد لله ، مستعدة لأن أضحي بعلاقتي مع أهلي وأقربائي ، لقاء إلزامي بالدين الإسلامي .

أما بالنسبة لعلاقتي مع أصدقائي القدامى : فكان من المستحيل استمرارها ، لأن الأجواء والظروف تغيرت ، ولأن لهم حياتهم الخاصة التي تبتعد تماماً عن حياتي الجديدة . وبالطبع كان هناك استياء ودهشة من جانبهم لما أقدمت عليه ، وخاصة لارتدائي الحجاب .

س - ذكرت أنك تزوّجت من شاب مسلم ملتزم ، فكيف تعرفت على هذا الشاب ؟ وما هو تأثيره على حياتك ؟

ج - كما ذكرت سابقاً ، إننا كنّا نلتقي عند الأخت « فاضلة » كي نتناقش ونتحدث عن الإسلام . وكان زوجي أحد المشاركين في الجلسة . بعد أن أسلمت طلب مني أن أكون زوجة له . قبلت لأنني كنت أعلم أنه سيكون الساعد الأيمن لي في حياتي الجديدة . وكان كما تمّيت ، فقد ساعدني كثيراً في مراحل التزامي . وكنت ألجأ إليه دائماً عندما أريد الاستفسار عن شيء يتعلق بديني ، لأنه كان يتقن اللغة الفرنسية جيداً ، ويستطيع أن يشرح لي الكثير من الأمور .

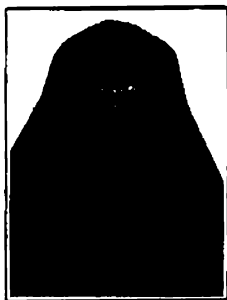
بعد فترة من زواجنا اضطر زوجي لمغادرة الأراضي الفرنسية إلى

أحد البلدان الإسلامية ، فما كان مني إلا أن سافرت إليه ، وكنت سعيدة جداً لالتحاقني به . ودائماً أعيش في حالة مقارنة بين الحياة الإجتماعية في البلدان الإسلامية ، والحياة في (فرنسا) ، فأحس بالاختلاف الكبير خاصة في حياة الأسرة ، حيث الترابط العائلي ، والمحبة والتعاون ، وغيرها من الأمور التي كنا نفتقدها في (فرنسا) .

س - هل ترغبين في توجيه كلمة للأخوات المسلمات ؟

ج - أقول للأخوات المسلمات كما أقول لنفسي : إن طريق الإسلام هو الطريق الأصح ، والإسلام هو النظام الوحيد الذي يؤمن لنا السعادة في الدنيا والآخرة ، كما أقول لكل الذين يبحثون عن الاستقرار الطمأنينة والسعادة : تعالوا إنها موجودة في الإسلام !
« والحمد لله رب العالمين »^(١) .

(١) مجلة نور الإسلام، المعدادان (١٥، ١٦)، السنة الثانية، ١٤١١ هـ. مقابلة أجرتها المستبصرة مع المجلة: ص ٨٧.



مونتسدرات روفيرا الإسبانية

س - هل لك أن تعرفينا عن نفسك ؟

ج - نعم بكل سرور . . إسمي « مونتسدرات باياروفيرا » ، وقد اتخذت اسم (زينب) بعد الإسلام ، من منطلق إعجابي بالسيدة زينب عليها السلام وشخصيتها الغدّة . .

ولدت في مدينة « برشلونة » الإسبانية ، من عائلة مسيحية عادية ، تجهل أي شيء عن الإسلام ، سوى ما تسمعه من أن المسلمين كان لهم تاريخ حافل في هذا البلد ، كما تحمل نظرة مشوّهة عنهم ، وعن الإسلام كما هو حال الأوروبيين بشكل عام . .

كنت أتابع دراستي كقابلية قانونية عندما اهتمت للإسلام ، حيث تعرّفت بعد ذلك على زوجي المسلم اللبناني ، وانتقلت معه للعيش في لبنان ، وأنا إلى جانب واجباتي الأسرية ، أخصص وقتاً مهماً للإطلاع أكثر على الإسلام ، من أجل أن أصبح قادرة على التبليغ ، والدعوة إلى الله ، كما هو واجب كل مسلم .

س - قبل اعتناقك للإسلام ، هل كان لديك تساؤلات إيمانية حول معتقدك الديني السابق ؟

ج - قبل أن أهتدي للإسلام ، كنت دائماً أحسّ بأن شيئاً ما ينقصني ، ويدفعني للتساؤل . كنت أعتقد بأن الله موجود ، وأنه خالق كل شيء ، ولكن نظرة المسيحية لله ، لم تكن تغنيني ، ولم أكن أتقبل مسألة التثليث ، وألوهية عيسى عليه السلام . ولذا كانت الحيرة تلازمني من هذه الجهة ، ولم تزل عن عقلي إلا بعد أن اطلعت على عقيدة الإسلام التوحيدية المطلقة ، ونظرتها المتكاملة الواضحة لله تعالى ، والتي يسهل على المرء المتفتح العقل ، أن يقبلها ، ويقتنع بها ، شأن كل المسائل العقيدية الأخرى في الإسلام التي تخلو من الأسرار التي هي فوق العقل ، والتي على المرء أن يؤمن بها بدون جدال ، فهذا ليس موجوداً في الإسلام .

س - كيف كانت بداية طريقك نحو الإسلام ؟

ج - كان لي صديقة إسبانية قد تعرّفت على الإسلام قبلي ، وهذه الفتاة كانت تأتي لزيارتي بين فترة وأخرى ، وكنا كلما التقينا تحدثني عن الإسلام ، ونشرح لي عقيدته ومزاياه ، وقد أحضرت لي مصحفاً وبعض الكتب الإسلامية .

عندها بدأت أقارن بين القرآن والإنجيل ، فوجدت اختلافاً تاماً بينهما ، وأيضاً وجدت تناقضاً بين العهد القديم والعهد الجديد : فالعهد القديم - مثلاً - يقول للنبي موسى عليه السلام : قل للناس هذا حرام . والعهد الجديد يقول للنبي عيسى عليه السلام : قل للناس عكس ما قيل للنبي موسى عليه السلام أي افعلوا ما تشاؤون .

كانت هذه المسألة وأمثالها تنضج لي يوماً بعد يوم ، وعلى العكس من ذلك ، كنت كلما توسعت بقراءة الكتب الإسلامية ، أجد حلولاً وأجوبة مقنعة للمسائل العقيدية والتشريعية التي أبحث عنها . .

ثم بدأت أنتفي بعد ذلك بأشخاص مسلمين ملتزمين ، ومن خلالهم اطلعت أكثر على الإسلام ، وعلى العادات الإسلامية ، فحصل لدي افتتاع تام . وهكذا أشهرت إسلامي . .

ولكن أقول : ليس سهلاً اعتناق الإسلام ، بل الأمر يحتاج إلى جهد كبير ، وإرادة صلبة ، خاصة لمن نشأ في مجتمع غربي مادي ، ولكن مع الصبر يصل الإنسان إلى ما يريد ، خاصة ، وأن الجائزة كبيرة جداً ، وهي سعادة الدنيا والآخرة .

س - ما كان وقع اعتناقك للإسلام على أهلك ومحيطك ؟ وما هي المشاكل التي صادفتك بسبب ذلك ؟

ج - بالنسبة لوضع الأهل والأقارب والناس حولي بشكل عام ، كان من الطبيعي أن يرفضوا الإسلام . . مع أهلي كانت هنالك مشاكل كثيرة في بادئ الأمر . مثلاً كانوا يقولون لي : إننا عائلة مسيحية ، وإذا أسلمت سيبدأ الناس بالكلام علينا .

لم أعتن بهذا الكلام ، لأنني كنت قد اعتنقت الإسلام . ولكن وضع أهلي عموماً كان يختلف عن بقية الناس ، فكانوا يحافظون علي ، وعندما صممت على الإسلام قبلوا ذلك طبعاً بعد جهد ومناقشات .

وبعد الإسلام كنت أواجه مشاكل في البيت ، تعود إلى مسألة الطهارة والأكل والمحرمات الموجودة ، ولكن مع الوقت تعود أهلي على

عاداتي الإسلامية الجديدة ، وأصبحوا يتفهمون وضعي . ولكن معاناتي مع الأقارب والناس في الشارع كانت أصعب ، فكنت كل يوم أواجه مشاكل ، وأسمع كلاماً منهم لا يُحتمل ، ولكن عندما يشعر الإنسان أن الله معه ، لا يهتم لكلام الناس وأذاهم .

س - هل تغيّر وضعك النفسي بعد الإسلام ؟

ج - بعد اعتناق الإسلام عن وعي ، يحس الإنسان باطمئنان كبير كان يفترقه قبل ذلك ، خاصة إذا كان يعيش في مجتمع تسود فيه القيم المادية كالمجتمع الذي عشت فيه . وأنا أحسست بالراحة النفسية عندما لامست روعي شغافية الإسلام المتجلية في عقيدته السمحاء ، وعبادته التي تنمي الروح الخيرة المحبة الصادقة في الإنسان ، فتغيّرت نظرتي للمجتمع وللكون والحياة تبعاً لذلك ، فأصبحت أكثر تفاؤلاً ورغبة بالعمل من أجل الغير .

س - على ضوء تجربتك الخاصة ، ما هو برأيك الأسلوب الأفضل لدعوة الآخرين إلى الإسلام ؟

ج - أعتقد أن كل شخص - أو فئة من الناس - يحتاج إلى أسلوب خاص في التحدث معه عن الإسلام ودعوته إليه ، فإذا كان الشخص يعترف بوجود الله ، يكون الكلام معه أسهل ، بخلاف الملحد ، فالمعترف بوجوده تعالى يمكن أن تحدثه عن خلق العالم ، وعن الأنبياء ، والكتب السماوية ، ويمكن أن تقدم له مقارنة بين القرآن والإنجيل ، وتبين له صلاحية الإسلام لحل مشاكل البشرية ، وهكذا . والملحد أيضاً عليك أن تقرّب فكرة الله والدين من ذهنه ، وتبين له تناقض الفكر المادي .

س - كما هداك الله للإسلام ، فإن الإسلام يحفزك على أن تعمل على هداية غيرك ، فما هو الدور الذي تقومين به حالياً ، أو تنوين أن تقومين به على هذا الصعيد ؟

ج - إنني حالياً أسمى لتعلم اللغة العربية بشكل يمكنني من دراسة وتفهم الكتب الإسلامية ، وخاصة القرآن الكريم ، حتى أصل إلى هدف الذي أقوم به بشكل جزئي الآن ، وهو العمل على دعوة الفتيات غير المسلمات بشكل خاص ، والناس بشكل عام للإسلام ، وأحكي لهم قصتي وتجربتي نحو الإسلام ، حتى يعرفوا أن الإسلام أفضل شيء في الوجود ، وأفضل شيء يمتلكه الإنسان في حياته .

كما أود أن أخطب الفتيات المسلمات المبتعدات عن الدين بسلوكهن بسبب الانحرافات الخطيرة الموجودة في المجتمعات الإسلامية ، لأبين لهن الفرق بين أن يكون الإنسان مسلماً حقيقياً يتمتع بنعمة الإسلام والإيمان ، وبين أن يكون غير ذلك . وقد لاحظت أنا هذا الفرق وعايشته .

س - ما رأيك بوضع المرأة المسلمة في البلاد الإسلامية عموماً ؟

ج - عليّ أن أميز بين وضعين للمرأة المسلمة في البلاد والمجتمعات الإسلامية :

فهناك المرأة الملتزمة المتقيدة بتعاليم الإسلام من حيث الستر والسلوك ، والاهتمامات الإسلامية العامة . ففي بعض البلاد الإسلامية تلقى المرأة المسلمة اهتماماً خاصاً من قبل السلطات الرسمية المتبينة للشريعة الإسلامية بشكل خاص . وعموماً توجد نهضة مباركة للمرأة المسلمة في العالم الإسلامي في مختلف المجالات ، من حيث الالتزام

الشرعي ، والتعليم والوعى لدورها ، وهذا مدعاة للإرتياح مع أنني أرى أن هذه المسيرة ما زالت في بدايتها ، وعلى المرأة أن تتابعها لما فيه مصلحة الإسلام والمرأة والمجتمع .

وفي جانب آخر : نرى أعداداً كبيرة من النساء والفتيات اللواتي يبتعدن في مظهرهن وسلوكهن وشخصياتهن ، عن الإسلام ، ويقلدن في ذلك وبأسلوب فاضل ، المرأة الغربية التي هي في نظري لا تعيش التحرر الحقيقي ، وإنما تستغل أبشع استغلال من قبل الرأسماليين لزيادة ثرواتهن عن طريق استغلال وضع المرأة ، واستغلال أنوثتها ، وقتل إنسانيتها ، لتدميرها وتدمير الحضارة ، والمجتمعات الإنسانية ، فلا بد من مضاعفة الجهود من قبل الجميع في البلاد الإسلامية ، لتوعية المرأة على هذه الحقيقة ، وإيجاد الأجواء التي تحفّض المرأة والمجتمع ضد وباء الانحلال والفساد والتقليد الأعمى لكل ما هو ساقط في الغرب ، والشرق .

س - هل من كلمة أخيرة توجّهينها عبر « نور الإسلام » ؟

ج - بعد أن أحمد الله تعالى الذي هداني للدين الحق ، وأنقذني من ظلمات الشرك والفساد ، أريد أن أقول للمسلمين بشكل عام : إنكم تحفظون بأعلى جوهر ، وهي الإسلام ، فحافظوا عليها كي لا تفقدوا نعمة وجودها ، وتكونوا أنتم الخاسرين . . إن للإسلام في نظري أهمية عظيمة ، إنه كالماء للحياة السليمة ، إذا بقي الإنسان بلا ماء يذبل ويموت ، وكذلك الإنسان بدون إسلام لا قيمة له ، ولا لحياته ^(١) .

(١) مقابلة أجرتها مجلة (نور الإسلام) مع المنصورة في عددها رقم (١٩ ، ٢٠) سنة (١٤١٢ هـ) ، ص ٨٤ .

برسن بوايو الإسبانية

«برسن بوايو» الإسبانية حسب المقابلة التي أجرتها معها مجلة (نور الإسلام) .

س - . هل يمكن أن تحدثينا عن نشأتك والظروف العائلية والاجتماعية التي نمشت فيها قبل اعتناك الإسلام ؟

ج - ولدت بمدينة (برشلونة) الواقعة شمالي البلاد على ساحل البحر المتوسط ، من عائلة إسبانية متوسطة الدخل ، مؤلفة من تسعة أفراد . . والدائي ملتزمان التزاماً عاطفياً بالمسيحية ، وهما يُعتبران محافظين ، قياساً على ما هو سائد في المجتمع الإسباني ، وربما أكثر من الحدود المتعارف عليها في (أسبانيا) ، حيث أن المجتمع هناك بشكل عام ككل المجتمعات الغربية ، بات ينظر إلى الدين وكأنه من أساطير الأولين . . ولكن لا يمكن أن نقارن المحافظة تلك بما تعنيه فعلاً في مجتمع إسلامي محافظ . .

تلقيت دروسي الأولى في مدرسة للراهبات ثم تابعت تعليمي في مدرسة خاصة .

س - كيف كانت هلاقتك بالدين في ذلك الوقت ؟

ج - كنت منذ صغري أعتقد بوجود الله ، ولكن اعتقادي به كان مطابقاً للتصور المسيحي الشائع . . وفي الحقيقة إن التدين ، أو الإعتقاد بدين ما في تلك البلاد ، أصبح شيئاً نادراً ، وأمرأ غريباً ، بعد ما أعمت الحضارة المادية بريقها وشهواتها ، عقول وقلوب أكثر الناس هناك ، ولا سيما في (برشلونة) ومنطقتها ، حيث أن (أسبانيا) مكونة من أربع حضارات وشعوب مختلفة ، فيها الأندلسي مثلاً ، والكاتلاني .

س - ما هي طبيعة العلاقات العائلية والاجتماعية السائدة في أسرنا ومجتمعكم ؟

ج - كنت أعيش مع والدي ، ورغم أن العلاقات داخل عائلتي كانت جيدة ، إلا أن العلاقات العائلية والاجتماعية ، تنوقف عادة ضمن حدود الأسرة الواحدة . ولا تتمدها إلى أكثر . . فمثلاً إذا كان أحد يريد مقابلة والدي أو أي صديق له ، فإنه يدعو إلى المقهى لا إلى البيت . وفي بعض الأحيان تنفخ حتى الأسرة الواحدة الصغيرة ، ولا تدوم بعد أن يبلغ الأولاد سن الثامنة عشرة . . وإجمالاً يمكننا اعتبار المجتمع الإسباني حالة وسطية بين المجتمع الشرقي ، والمجتمع الغربي في هذه النواحي .

س - ما هي صورة الإسلام والمسلمين الحالية في نظر الإسبان ؟

ج - في الواقع هناك نظرتان مختلفتان تماماً . . هناك المثقفون ، وهناك عوام الناس أو السطحيون . . المثقفون الذين درسوا وأطلعوا على تاريخ (إسبانيا) حيثما كانت تعيش في ظل الإسلام ، وعرفوا ما كانت تحفل به من رقي وازدهار ، في الوقت الذي كانت تتخبط فيه دول (أوروبا) كافة في دهاجير الجهل والتأخر . هذه الطائفة من الناس

تكرن التقدير للعرب أو الإسلام - لأنها لا تفصل بين الاثنين : عربي يعني مسلم - ويتمنون لو أن المسلمين لم يُطردوا من (إسبانيا) ، لأنهم يبدون متأكدين من أن (إسبانيا) كانت ، أو قد تكون بحال مختلف جداً الآن ، ولو أن المسلمين بقوا فيها ، فهم قد اطلعوا على علومهم في الهندسة والطب والفلسفة والدين . . الخ ، ووجدوا مثلاً أنه حتى الآن توجد في (قصر الحمراء) في غرناطة بعض الأسرار العلمية والهندسية ، لم يستطع العلماء في القرن العشرين تفسيرها .

وهناك طائفة أخرى وهي تلك التي لا ثقافة لديها ، أو لا علم لها في هذا الشأن ، تعتمد على ما تسمع من شائعات وأقاويل مغرضة تزعم أن العربي يعتاش على جهد زوجته ، وهي التي تتكفل به وبأولاده رغماً عنها . وإنه ذو (حریم) قد يصل عددهن إلى العشرات . . وإن المرأة تعاني من ظلمه الشيء الكثير ، وأنها مجبرة على وضع الحجاب لأن زوجها يغار عليها ! .

هؤلاء لا يرون بحكم الدعايات المضللة في المسلمين إلا صورة التخلف والجهل ، وهم لا يتمنون رؤيتهم في (إسبانيا) ولو كساحين . .

س - كيف أمكن لك التعرف على الإسلام ؟ وما الذي قادك إلى اعتناقه في هذا المجتمع المادي والمعادي للإسلام بفعل التضليل والتشويه المتعمد ؟

ج - لقد كنت على وشك الإنتهاء من المرحلة الثانوية ، والتحضير لامتحانات الدخول إلى الجامعة ، عندما تعرفت بطريق الصدفة ، أو بتخطيط إلهي ، على بعض الطلاب المسلمين ، الذين كانوا يقيمون

بجوارنا ، وقد أعجبت بهم وبتصرفاتهم حيث لمست منهم الإخلاص
لدينهم ، والتمسك بأداء الفرائض ، وامتناعهم طوعاً عن كل المحرمات
مع أنها مبدولة أمامهم ، وهذا ما لم أكن أعده في مجتمعنا ، حيث لا
يمنع أمثالهم عن شيء مضر أو محرّم - كالخمر مثلاً - بدون رقيب ، أو
سبب خارجي مفروض عليهم .

وعندما كان يتسنى لي اللقاء بهم ، كنت أتحدث معهم حول
المسيحية والإسلام ، وكان هدفي أن أجذبهم نحو المسيحية ، لأنني كنت
أعتقد حينها أنها الديانة الصحيحة والوحيدة الجديرة بالاتباع . . ولكن
بعد مناقشات وجدال طويل معهم ، لم أتمكن من إقناعهم بما أريد ، بل
تغيّرت أنا ، واقتنعت ببطلان وتهافت العقيدة المسيحية السائدة ، خاصة
حول مسألة ألوهية المسيح ﷺ ، أو كونه ابناً لله كما يدّعون !

. . عندما علم والديّ بمعرفتي لهؤلاء الشبان المسلمين ، دفعهما
التعصب لمنعي من رؤيتهم ، وكذلك الخروج بغير مرافقة أحد أفراد
الأسرة ، علماً بأنهما يقبلان بل يفضلان أن أسلك أي سلوك منحرف على
أن أميل نحو الإسلام . . وبقيت في منزلي ستة أشهر كالمحكوم عليها
بالإقامة الجبرية . . في هذه الأثناء كنت قد أسلمت ، ولكنني أخفيت
إسلامي لتجنب المشاكل مع العائلة ، فوالدي لم يكن ليتقبل هذا أبداً ،
وهو الذي كان طيلة حياته يستهزئ بالمسلمين وبالعرب . . ولكن بعد
فترة رأيت أن حياتي معهم قد أصبحت صعبة جداً ، فاختلفت معهما على
بعض التصرفات التي يرفضها الإسلام ، ولكن دون أن أحتج بالإسلام
نفسه ، بل لمجرد الرفض . وقد أدّى ذلك إلى خلاف شديد ، اضطرت
على أثره لمغادرة المنزل ، والإلتجاء إلى إحدى العائلات المسلمة
الموجودة في (إسبانيا) . وبمجرد وصولي إلى منزل تلك العائلة ،

قررت أن أبدأ حياة الالتزام الجدي بالأحكام الشرعية من مأكّل وملبس وعبادات . .

وبعد شهرين عدت إلى المنزل بطلب من أهلي ، ولكن هذه المرة مسلمة محتجة ، ملتزمة بالأحكام الشرعية ، فقبلتني العائلة لأن والدي كان يحبني كثيراً في الأصل ، ولكنه لم يرتح لحالتي الجديدة ، فما لبثت أن تجددت الخلافات وكانت يومية ، وكنت أصبر عليها ، ولم تؤثر والله الحمد على عقيدتي الجديدة .

. . وكان اقتراني بزوجي نقلة جديدة أتاحت لي فرصة العيش في جو إسلامي أفضل .

س - هل عملت في مجال تخصصك في لبنان ؟

ج - نعم ، عملت إلى جانب زوجي في مستشفى إسلامي مدة سنة . . ولكن قررت بعدها أن ألزم منزلي ، حيث أنني رأيت أن الأطفال والواجبات المتطلبة من الأم والزوجة ، أولى من العمل بالمستشفى ، مع أن ذلك أدى إلى تقلص في دخلنا العائلي ، وضغط مادي علينا .

س - ما هي بالتحديد الصعوبات التي واجهتك عند بدء الالتزام مع عائلتك ومجتمعك ؟

ج - إضافة إلى ما ذكرت واجهتني صعوبات متنوعة . . فالمجتمع الذي يرى امرأة ملتزمة بالحجاب ، تكاد تكون وحيدة بين نساء (إسبانيا) ، ينظر إليها باستغراب ودهشة ، ومع أن أحداً لا يسأل لماذا . . ولكن الجميع يستهزئون ويسخرون ، وقد كنت عرضة للسخرية كل يوم عندما كنت أخرج إلى الشارع لقضاء بعض شؤني .

أما مع الأهل فكان ثمة مشاكل ومضايقات عديدة :

أولها : رفضهم للحجاب بشكل عنيد ، خاصة عندما كانوا يسمعون انتقاد الناس وتعبيرهم لهم بشأن إسلامي وحجابي . . ولكن ذلك والحمد لله لم يؤثر عليّ أبداً . . ثم بسبب الصلاة وكيفيةها ، إذ أنهم لم يفهموا لماذا عليّ أن أصلي على السجادة أو الحصيرة ، ولماذا الركوع والسجود وكثرة الكلام والقراءة والتسبيح ، فكانوا يقولون إنه لا حاجة إلى هذه الحركات إذا أردنا أن نطلب شيئاً من الله ! . والطهارة كانت مشكلة دائمة لي ، حيث كان عليّ أن أطهر ثيابي باستمرار ، وذلك بسبب مس بعض أفراد العائلة لها وهي رطبة . لقد كان كل شيء في البيت متنجساً ، فكنت لا أستطيع الحركة بحرية . . فالطعام من جهة ، ومن جهة أخرى الخمر ، ووضع الخمر على الطاولة ، كان أيضاً مشكلة مستمرة ، فكان عليّ أن أصنع طعامي ، وأن أطهر أتيّتي . . والامتناع عن المصافحة مع بعض الأصدقاء القدامى عانيت منه الكثير ، حيث كان عليّ أن أشرح لهم دائماً لماذا لا أصفحهم . . هذا إضافة إلى كثير من العادات والممارسات التي تتناقض مع الالتزام بالإسلام ، والتي كان عليّ أن أتجنبها ، وأعاني في سبيل رفضها ، لأنها ملازمة لحياة العائلة .

س - كيف وجدت وضع المرأة المسلمة في لبنان ؟

ج - بصورة عامة ، إن وضع المرأة المسلمة في لبنان ليس بالمستوى المطلوب الذي ينشده الإسلام . . إنك تلاحظ إقبالاً متزايداً من النساء من مختلف الأعمار على الالتزام بالأحكام الشرعية والحجاب ، ولكن غالبيةهن لا يجعلن الإسلام مقياساً يقيمن تصرفاتهن على أساسه ، بل إنهن قد تأثرن كثيراً بالغرب ، وبنساء الغرب ، ويحاولن تقليدهن ، والتشبه

بهنّ ، وأرى في ذلك لو استمر ، هلاكهنّ ، وتدهور المجتمع - لا سمح الله - .

س - ما رأيك بالاختلاط الشائع في مجتمعاتنا الإسلامية ؟

ج - أتمثل هنا قول الزهراء عليها السلام : « خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ، ولا يراها رجل » .

فعلى المرأة المسلمة أن تسعى جاهدة للالتزام بمضمون هذا الحديث القيم ، وأن لا تخرج إلى الشارع ، والأسواق ، والأماكن العامة ، إلا للضرورة . وعلى النساء أن يطلبن من أزواجهنّ إحضار حاجيات المنزل والمائلة . . ولا أظن أن الرجل يعارض ذلك إذا أرادت زوجته الستر والعفاف ، لها ولمجتمعها .

س - . . والاختلاط أثناء العمل ما رأيك به على ضوء تجربتك الخاصة ؟

ج - بالإمكان تجنّب ذلك إذا كانت لدينا النوايا الصادقة ، وذلك عن طريق تنظيم العمل في الأماكن التي يكون وجود المرأة فيها ضرورياً كالمستشفيات والمدارس ونحوها ، بحيث يتحقق الفصل بين النساء والرجال ، بصورة عملية . .

أما في مثل أيامنا الحاضرة ، إذا اضطرت المرأة للعمل في مكان لا مفرّ فيه من الاختلاط ، فبإمكانها أن تحافظ على حجابها الشرعي ورسالتها ، وأن يكون اختلاطها ضمن الحد المعقول والجدي . . كذلك على المرأة هنا أن تراعي أن لا تتقدم للأعمال المخصصة للرجال .

س - هل من كلمة تؤدّين توجيهاً عبر « نور الإسلام » ؟

ج - أود أن أوجه نداءً إلى غير المسلمين ، ممن لم يخطر ببالهم حتى الآن أن يتخذوا الإسلام ديناً ، أن يعمدوا إلى التعرف على الإسلام عن كثب ، ليتبينوا حقيقته وروعته ، ولا يأخذوا بالشائعات المضللة ، أو ينظروا فقط إلى بعض مظاهر التطبيق الخاطيء الذي يمارسه بعض المسلمين . . فلا يرفضوا من بعيد ، بل عليهم أن يبحثوا ويفكروا ، وسيجدون حينئذ ما بضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة .

.. وأشكر الله تعالى الذي منّ عليّ بمعرفة الإسلام واتّباعه عن تعقل وتدبر . . وأحمده لتوفيقه لي لعبادته ، ومعرفة نبيه الأكرم محمد ﷺ ومعرفة آله الأطهار ﷺ ، وأرجو أن يكون في قصتي مع الإسلام عبرة ونفع وهداية للآخرين الذين هم قريبون أو بعيدون عن الإسلام^(١) .

(١) مجلة نور الإسلام ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، شهر رمضان ١٤٠٨ هـ ، ص ٧٤ .

ماري «ستابنهوف» الأميركية

لاني أميركية ، ولدت في مدينة «باي سيتي» في ولاية ميتشيغن ،
من حوالي ٣١ سنة . وأعمل حالياً كممرضة ، وزوجة ، وأم لهبيين .

○ سنّي الطفولة :

تربيت كفتاة كاثوليكية ، حيث لم أكن أمرّ من أمام كنيسة إلا وأقوم
بإشارة الصليب .

منذ الصغر ، وفي مدينة «باي سيتي» كان لديّ دائماً تساؤل
وحيد : كيف أكلّم الله ؟

عندما كنت أرى غروب الشمس ، واحمرار السماء ، كنت أعلم
بأنه صنع الله ، وفكرت أنه لا بدّ من وجود طريقة لشكر الله على ما نملك .

في سن العاشرة ، ذهبت للإعتراف في كنيسة القديسة ماري
الكاثوليكية ، وتساءلت لماذا عليّ أن أخبر الراهب عن خطاياي . كنت
أذهب إلى هناك ، وأختلق الروايات لأعترف !

ولكنني فكرت أنه لو أنّ هذا الاعتراف هو الله ، بشكل دائم بين

الناس . وأحسست بأهمية الله في حياة هؤلاء الناس .

لقد شاهدت أشخاصاً يتوضأون للصلاة ، يصومون ، يحتفلون
بعودة الحجاج من مكة .

خلال عاشوراء ، يتجمع الكثير من المسلمين في الجامع المحلي .
ومرة سألت شاباً مسلماً عن عاشوراء ، فشرح لي الحوادث التي حصلت .
تأثرت جداً بالحادثة . في ذلك الوقت ، اعتقدت فلماذا لا أكلّم الله
بنفسي ؟

ولقد كثرت شكوكي حول الكاثوليكية عندما قيل لي إنه عليّ أن أقتل
خاتم الراهب في كنيستنا ، ليتم تثبيتي كعضو كامل في الكنيسة .

طبعاً ، لم أفعل ذلك ، وفي الثالثة عشرة ، تركت الكنيسة
الكاثوليكية ، وتحولت إلى المسيحية الإنجيلية . هناك ، ولمدة ثمان
سنوات ، أمضيت أوقات فراغي في دراسة الإنجيل في مجموعات مع
مسيحيين مولودين جدد (تعبير يستعمل للدلالة على الذين التزموا الديانة
المسيحية) .

هناك كانت رحلة مرعبة ، كنت أسأل الأسئلة ولا أجد أجوبة ، ولم
أتمكن من قبول المفهوم المسيحي حول الثالوث ، والذي يقول بأن الرب
متجسد في الآب ، والابن ، والروح القدس .

الناس لا يستعملون المنطق !

لاحقاً ، وفي سن الخامسة والعشرين ، تحولت مجدداً إلى شهود
يهوه ، أبحث عن أجوبة بدون نتيجة !

○ مجتمع المسلمين :

وتعرّفت على مجتمع جديد من خلال تعرّفي على بعض المسلمين . ولأول مرّة علمت لماذا تلبس النساء الحجاب . فلقد قالت لي فتاة مسلمة : « إنني ألبسه ، وإذا كان الله راضياً عني فلا يهمني ماذا يفكر الناس » .

بدأت أسمع كلمات مثل إن شاء الله ، الحمد لله ، سبحان الله ، وكان الله معك تستعمل . إنّ روحي كانت تبكي اعترافاً منها بالحقيقة ، ولكن قلبي وعقلي كانا ملتزمين بطريقة العبادة التي تعودت عليها .
☆ اعتناقني الإسلام :

لقد أعطاني الله الفرصة بوجود ضيف مسلم في منزلنا . في تلك الفترة ، كنت أدرس مع شهود يهوه . وبعد حوالي أربعة أشهر قال لي الضيف : « إنك تحاولين جادة عمل ما هو صحيح ، ولكنك ضائعة جداً » .
أجبت : « إذا كنت تعتقد أنك تملك الحقيقة ، فأني مستعدة لأدرس القرآن معك في المساء » .

وهكذا كان ، ولمدة ثلاثة إلى أربعة شهور ، كنا ندرس خلالها القرآن ، كما كنت أقوم بتقديم الدروس حول الإنجيل ، ظناً مني أنني أستطيع أن أهدي قلبه إلى المسيحية !

وعندما حان الوقت الذي رأيت فيه حقيقة الإسلام الساطعة ، شعرت بالخوف من نكران المسيح كابن الله . إنها نقطة حساسة في المسيحية والخلاص .

لقد جاء السبب الأخير لأكون مسلمة في سؤال بسيط من جزءين :

« إذا كان المسيح ابن الله ، فلماذا لا تكون مريم زوجة الله ؟ ولقد غلبني منطق السؤال للدرجة أن أي شيء أقل من الاستسلام يكون كذبة .

بعدها أمضيت ثلاث ليال بدون نوم ، وبينما كنت أجلس في الخارج تحت النجوم وباتجاه الكعبة ، سلّمت نفسي لله .

وحاولت بكل جهدي قراءة الشهادتين في ورقة كنت كتبت عليها الكلمات بالإنكليزية كما أسمعها بالعربية .

لا أدري كم بقيت في الخارج على ركبتي ، ولكن كان وقتاً خاصاً جداً بالنسبة لي .

○ الإسلام كما أراه :

إن الإسلام يشارك المسيحية في العديد من القيم الأخلاقية والأنبياء ، ولكن كل الأجزاء الضائعة نجدها في الإسلام .

لقد اكتشفت ديانة تشجّعني على التفكير في المشاكل الاجتماعية ، وتعطيني طريق حياة واضح المعالم .

أن تكون مسلماً عليك أن تدرك أن كل شيء يُعبدك إلى الله .

لقد وضعتُ على باب البراد في منزلي عبارة لأحد العلماء العظام ، حيث يقول : « تعلّم الإسلام ، اعمل بجد ، كن متواضعاً وساعد الآخرين » .

ولهذا فأني أقوم الآن بدراسة القرآن مع أخوات مسلمات من أصل أميركي في جمعية النساء المسلمات المتحدات .

○ المسلم أصلاً :

لقد قال زوج الأخت ماري : إنَّ إسلام زوجته جعله أكثر التزاماً ،
لأنه بدأ يدرس عن ديانة كان مهملًا لها مع أنه وُلِدَ مسلماً . وأضاف :
« أحياناً أشعر أن زوجتي تعرف أكثر مني عن الإسلام ، وأشعر
بالخجل » .

○ كلمة أخيرة ...

لقد عرفت من خلال اعتناقي الإسلام (والذي حدث منذ ست
سنوات) ، أن مسلماً واحداً زرع بذرة إسلامية في عقلي ، ورويداً رويداً
سقاها المسلمون الآخرون) .

ولقد سمح الله بنمو البذرة لتصبح وردة (مسلمة) .
المجد والعزة لله .

وإن شاء الله تتم سقاية البذور التي نزرعها ، ونرى الكثير من
المسلمين الجدد يفتحون براهم جديدة^(١) .

(١) نور الإسلام المجلد (٢١ ، ٢٢) السنة الثانية سنة ١٤١٢ هـ ، ص ٩٠ .

نيكول اينزورث الاوسترالية

ولدت نيكول اينزورث في « سيدني » ، وانتقلت مع والديها إلى « غولدستون » في « كوينزلاند » ، حيث أمضت طفولتها ، وتلقت القسم الأكبر من تعليمها ، ثم عادت إلى « سيدني » في العام الماضي ، وقد هذها الحزن ، فهي لم تستطع أن تتقبل موت والدتها .

نشأت « نيكول » في بيئة كاثوليكية ، وتلقت تعليمها في مدرسة مسيحية داخلية في « روكامبتون » ، ولذا فقد كان من الطبيعي أن تستحوذ على تفكيرها مفاهيم الله ، والمسيح ، والثالوث ، مما دفعها - كمحصلة لهذا التفكير - إلى الإقرار بأنها غير راضية عن نفسها ، وعن المبادئ التي تعتنقها ، ولا عن حالة النفاق الواسعة المحيطة بها .

وعندما بدأت بالعمل لتتمكن من تحقيق الاستقلال الذاتي في تأمين معيشتها . شعرت بـ « الشفقة إزاء النساء المسلمات » اللواتي كانت تصادفنهن ، خصوصاً للطريقة التي يلبسن بها ثيابهن . والواضح أنها تأثرت بالأفكار المسبقة السائدة التي تزعم بأن النساء المسلمات تعيسات في حياتهن ، ويمانيّن من قهر رجالهن ، وآبائهن .

ولكن ما اكتشفته فيما بعد في حياة بعض صديقاتها المسلمات ،
كان أمراً مختلفاً تماماً . والمفارقة أنها بدأت بالتشكيك في المفاهيم التي
كانت قد كوَّنتها ، والمتعلقة بتحرير المرأة وحقوقها ، وحربتها في
الغرب .

وخلصت من ذلك إلى الاستنتاج « بأن هذه الشعارات ما هي إلا
محض استغلال ، فالمرأة في كل المجتمعات الغربية ، تعاني من القمع ،
وهي مرغمة على التسليم بأنها أخذت حقوقها ! بينما هي في الواقع ترضخ
للقواعد القائمة التي وضعها الشوفينيون الذكور » .

ولم تكن « نيكول » لتفهم قبلاً لماذا كان زملاؤها من العمال غير
المسلمين ، يقللون من شأن الإسلام والمسلمين ، على الرغم من أن أحداً
من المسلمين لم يوجه إليهم أي تعليق مسيء ، أو يبدي أي مشاعر معادية .
ولقد كان ذلك أمراً أساسياً بالنسبة لها .

فهي تقول : « أخذوا (الزملاء) يحذرونني من الانجذاب إلى ثقافة
ودين غير ثقافتي وديني » ، وما حدث كان العكس ، فقد شعرت
بالاشمزاز من تحيز أصدقائها ، وعدم قدرتهم على احترام مشاعر
الآخرين ، ومعتقداتهم .

وهكذا أدركت « نيكول » مدى تفشي الإضطهاد والتمييز ، وكيف
يتم تهميته وتعميقه في أحيان كثيرة ، سواء في البيوت ، أو في أماكن
العمل ، بعد أن خبرت في المقابل مدى الاهتمام والاحترام الذي يبديه
المسلمون حيال الآخرين .

وهكذا أخذت بشكل تلقائي تدافع عن المسلمين والإسلام في وجه
الأكاذيب ، والافتراءات المعهودة .

وأثر دراستها لبعض الأدبيات والمفاهيم الإسلامية - خصوصاً تلك المتعلقة بوضع المرأة وحقوقها في الإسلام - أخلدت تدرك ما الذي يحمل النساء المسلمات على التصرف بشكل مختلف ، ولماذا يلتزم بالزي الإسلامي .

ولقد أبلغت أصدقاءها من غير المسلمين - حتى قبل أن تعتنق الإسلام - أنها قررت لبس الحجاب لما « يفرضه فعلياً من احترام وتقدير » . ولم يكن من المفاجيء لها أن تتعرض كالعادة للهزة والسخرية ، وأن يخلص هؤلاء الساخرون إلى أنها تعرضت لغسل دماغ من قبل المسلمين .

ولكن « نيكول » أكدت لهم أن تعرض المرأة لأن يُصَفَّر لها في الشارع ، أو لأي شكل من أشكال التحرشات الجنسية المقبولة بشكل واسع في الغرب ، بوصفها مغازلة ! هي في الحقيقة تصرفات تحط من قدر المرأة ، وتولد « شعوراً بالرخص » لديها .

● نقطة تحوّل :

ومع تزايد تقديرها للإسلام والمسلمين ، حاولت أن تتوقف عن إلقاء اللوم على الله في ما تصادفه من مصائب وعثرات ، وهي تفر بأن ذلك شَكل نقطة تحوّل في حياتها ، إذ قررت أنها حتى ولو لم تمتنق الإسلام ، فإنها تود أن تنشئ أطفالها ، عندما يصرون النور ، على الإسلام ، إلا أنها تعرف بأن ذلك يكاد يكون مستحيلاً .

فليست فقط قيم العائلة هي التي تكاد تختفي تماماً في الغرب ، ولكن قيمة المرأة أيضاً التي تركّزت على جاذبيتها الجسدية ، وعلى مدى قدرتها على عرض نفسها بشكل جميل .

ثم عادت - عندما واجهت مرة أخرى تجارب صعبة ، وعلى رغم علاقاتها الوثيقة بالمسلمين في « سيدني » - إلى إلقاء اللوم على الله . ولكن في النهاية تهيأ لها أن تفتح فصلاً جديداً اعتبرته بمثابة ولادة جديدة لها .

● نعمة الإسلام :

ففي احتفال ديني أخوي بسيط بإشراف فضيلة السيد هاشم نصر الله إمام مسجد الزهراء في « أرنكليف » - سيدني - في (٩٢/٩/٢٥) والذي صادف أيضاً عيد ميلادها الثاني والعشرين ، اعتنقت « نيكول إينزورث » الإسلام بشكل كامل ، ونطقت بالشهادتين بعد الإقناع العقلي ، والاطمئنان القلبي ، مدركة أن التجارب التي واجهتها لم يكن القصد منها الابتعاد عن الله بقدر ما كانت لتوجيهها كي « تجد الدين الصحيح ، والسلام الداخلي » .

لقد أدركت زينب « نيكول إينزورث » أنه ليس ثمة حاجة لأن تشعر بالحزن على وفاة والدتها لوقت أطول . بل يجب أن تبقى مشاعر الحب والوفاء نحوها .

كذلك شعرت بأنها تقف على عتبة حياة جديدة واعدة ومجزية ، وهي تشعر بالفخر لالتزامها بالأخلاق ، والواجبات الإسلامية الشرعية ، بما فيها ارتداء الحجاب .

« فالإسلام يوفر شيئاً لا يمكن الحصول عليه بالوسائل المادية ، وهو يدهو إلى الاستقلالية ، واحترام الذات » .

لقد نجحت زينب في الانتقال إلى بيئة أكثر إنسانية . وهي الآن

يفمرها شعور من الشكر والامتنان لله عز وجل ، الذي من عليها بالهداية ، وللإخوة من المسلمين الذين ساعدوها على إكمال دراستها الجامعية في علم النفس ، لتعمل بعد ذلك كسكرتيرة في إحدى مستشفيات « سيدني » غير آبهة بالمصاعب ، ولا بالنظرات المتعجبة المتسائلة حولها ، بل هي تستغل ذلك من أجل إقامة المناقشات والحوارات التي بواسطتها تتمكن من فتح قلوب الآخرين على الإسلام . .

لقد أصبحت زينب « نيكول » كغيرها من الفتيات المتهديات بكثرة إلى الإسلام ، حجة ساطعة أخرى على فتياتنا اللواتي ينهزن بزيف الحضارة الغربية وبريقها المهلك ، فيتركن نعمة الالتزام والتمسك بشرع الله ، مصدر الكرامة والرحمة والعزة ، ليتعلقن بالقشور ، ويصبحن طعمة سهلة للانحراف ^(١) .

(١) مجلة نور الإسلام: المذدان (٣٣، ٣٤)، السنة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ، ص ٦٥ .



روزاريو باسكويي الإيطالي

س - هل تعرفنا باسمك قبل الإسلام ، مع لمحة عن حياتك الشخصية ، والظروف التي نشأت فيها ؟

ج - إسمي روزاريو باسكويي ، عمري (٥٣) سنة ، مارست المحاماة مدة عشر سنوات ابتداءً من عام (١٩٥٧) ، عملت أولاً في السياسة ثم بدأت دراسة الأدب للبحث عن الحقيقة وكان ذلك عام (١٩٧٠) وقد تعرفت عام (٧٣) على شخص مصري ، تعرفت من خلاله على بعض مبادئ الإسلام ، ثم دخلت معه في نقاشات موسعة ، ثم دراسات معمقة أدت إلى اعتناقي الإسلام عام (١٩٧٤ م) .

س - ما نظرتك إلى مجمل الحياة الاجتماعية ، والعلاقات بين الناس ، والظروف العامة التي كانت تحيط بك قبل الإسلام ؟

ج - كنت أعيش مثل كل الغربيين ، لا عقيدة لي . كنت كاثوليكيًا غير ملتزم ، أي علمانيًا ، ثم اتجهت بادية الأمر اتجاهًا يمينيًا ، وانتميت إلى الحزب الديمقراطي المسيحي . ثم عدلت لالتزم أقصى اليسار ، فانتميت إلى الحزب الشيوعي المتطرف . لكنني لم أجد كبير فرق بين

الطروحات . فقط الأسماء تختلف إلا أن الإتجاهين في الحقيقة ، كانا يهدفان إلى استعباد الإنسان كما أنهما لا يقدمان أي حلول لمشاكل البشرية .

كنت متزوّجاً ، لكن زوجتي تخلّت عني بعد اعتناقي الإسلام إذ أن النمط الجديد الذي اعتمدته في حياتي ، لم يعجبها فطلبت مني الطلاق وهكذا كان .

س - كيف دخلت في الإسلام ؟ وما هي الظروف التي أدت لذلك ؟

ج - بعد كل التجارب التي مررت بها ، بدأت أبحث عن الحقيقة ، وأبحث عن عقيدة لا تستعبد الإنسان لصالح مآرب وغايات ، فكان لقائي مع الأخ المصري ، ثم مع الأخ علي أبو شويمة الذي أصبح فيما بعد طبيباً ، ودارت بيننا نقاشات واسعة حول الإسلام ، اقتنعت من خلالها بالمبادئ الأساسية للإسلام ، وبتوحيد الله ، ثم بعد ذلك رأيت في عالم الرؤيا ، وهذا أمر أبوح به لأول مرة ، طريقاً طويلاً من النور ، وهاتفاً يقول لي : لا خلاص لك إلا بالإسلام . وكانت النتيجة أن اعتنقت الدين الإسلامي فوراً ، دون إبطاء .

س - ما هي ردة الفعل التي واجهتك بعد اعتناقك الإسلام في محيطك ، علاقاتك ، عملك ، أصدقائك ، أقاربك ؟

ج - بالحقيقة لم أواجه أي ضغوط من الأقارب ، فهم يعتبرونني رجلاً مفكراً و مثقفاً ، ولي ملء الحرية والقدرة على اختيار واعتناق الفكر الذي اعتبره الأصلى . وأساساً كنت أهاني من قبل من اضطراب شديد في حياتي ، ومن حالة ضياع تؤثر على مجمل أعمالي وعلاقاتي ، وكل ذلك زال تماماً بعد اعتناقي الإسلام ، والجميع شعر بذلك ، وأنا أشكر الله

كثيراً على الهداية .

بعد اعتناقي الإسلام ابتعدت عن جميع أصدقائي السابقين ، لأنني اخترت طريقاً جديداً يختلف تماماً عن حياتي السابقة ، وبدأت أبحث عن علاقات جديدة تناسب مع عقيدتي الجديدة .

س - ما هي المتغيرات الإيجابية التي حصلت بعد اعتناك الإسلام على صعيدك الشخصي ؟

ج - لقد حصل انقلاب كبير في حياتي : أصبحت نفسي عامرة بالإيمان ، وبدأت أشعر باطمئنان نفسي كبير ، ابتعدت عن شرب الخمر فوراً ، وكذلك التدخين ، وأخذت أشعر بأنني أنقلب على الغريزة ، وأني أمتلك رصيذاً كبيراً يمكنني من مواجهة صعوبة الحياة الغريبة وقذارتها ، كما أن نظرتي للحياة ، ولمفهوم الحياة ، اختلف بشكل جذري ، وقد توجت ذلك بأداء فريضة الحج هذا العام .

س - هل تقوم الآن بأي دور لنشر الفكر الجديد الذي اعتنقته كدهوة الغربيين إلى الإسلام ؟

ج - نعم إنني أحاول جهدي . فأنا أحد مؤسسي المسجد والمركز الثقافي الإسلامي في (ميلانو) كما أحاول نشر أفكارني للإيطاليين بشتى الوسائل عبر المركز وغيره . ثم بدأت بإصدار جريدة اسمها « رسالة الإسلام » باللغة الإيطالية ، كما أنظم محاضرات وندوات للتعريف بالإسلام . كذلك قمت بتأليف عدة كتب بالإيطالية ، لشرح الفكر الإسلامي للغربيين ، وغيرها من الأعمال التي أسأل الله أن تؤذي هدفها . وقد تمكنت حتى الآن من إقناع (٤٠٠) شخص بالفكر الإسلامي ، وقد اعتنقوا جميعاً الإسلام ، وهم الآن يطبقونه ويلتزمون به بجد وإخلاص ،

وأنا الآن أوصل جهودي في الدعوة ، وأسأل الله التوفيق . كما وجهت دعوة مفتوحة للإيطاليين للمجيء إلى المركز كل يوم أحد ، لتعرفهم بالإسلام على طريقة سؤال وجواب . وهذه الطريقة أثبتت فعاليتها ، والحمد لله ، ونحن نستقبل دائماً عدداً كبيراً من الباحثين عن الحقيقة .

س - كم عدد الإيطاليين الذين اعتنقوا الإسلام في كل (إيطاليا)؟

ج - حوالي ٣ - ٤ آلاف شخص إيطالي اعتنقوا الدين الإسلامي حتى الآن .

س - لاحظ أن العدد قليل قياساً إلى (فرنسا) مثلاً حيث أسلم حوالي ٢٠٠ ألف فرنسي ، مع ملاحظة أن عدد السكان متماثل في كلا البلدين ؟

ج - أعتقد أن السبب أساساً يعود إلى كثرة المهاجرين العرب والمسلمين في (فرنسا) ، واحتكاكهم بل انصهارهم في المجتمع الفرنسي ، مما أدى إلى هذه النتيجة (حوالي ٥ ملايين مهاجر في فرنسا) بينما عدد المهاجرين المسلمين في الحضارة الغربية ، يجب أن نعرفهم على الإسلام كمنفذ لهم من المشاكل . هذا على الصعيد الفردي . أما على الصعيد العام فيجب إنشاء محطات إذاعة و (تلفزيون) لشرح الإسلام . فالغربي عموماً يتأثر كثيراً بالإعلام . الإعلام أمر ضروري جداً ، ويجب إعطاؤه الأهمية اللازمة ، واستغلاله لخدمة الدين .

س - ماهي نظرتك لواقع المسلمين اليوم ؟

ج - الذهاب إلى الحج هذا العام أتاح لي التعرف إلى أمور كثيرة . ومما يدهو إلى الأسف أن المسلمين اليوم يعيشون حياة فردية ، أي كل شخص يعيش لذاته ، وقد أغرقتهم فتنة المال .

نعم العقيدة موجودة عندهم ، لكن التعاون مفقود ، والروح الجماعية ، وحب مساعدة الآخرين ، لا أثر لها عندهم ، فهم يعتقدون أن الإسلام هو صلاة فقط . أما روح الإسلام فهي مفقودة ، وفحوى الفكر الإسلامي لا يُمارس على الإطلاق . وأنا أدعو إلى إيجاد كوادر تعمل على نشر الفكر الإسلامي وتطبيقه عملياً ، ونحث على روح التعاون ، وعلى نبذ الخلافات بين المسلمين التي لا يستفيد منها سوى أهواء الإسلام .

س - هل من كلمة أخيرة نحب توجيهها إلى المسلمين عبر « نور الإسلام » ؟ .

ج - أنا أقول لكم : أحبائي إن هذه المجلة القيّمة أوجدها الله لكي تستفيدوا منها ، فلا تكتفوا بالتغني بإخراجها الجميل ، أو مشاهدة الصور التي تزينها ، بل اقرأوها بعمق وتفكير ، واعملوا بما تدعوه له ، واسترشدوا بالنصائح القيّمة التي تنشرها ، فإنها نعمة من الله تعالى ، والسلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته ^(١) .

(١) مقابلة أجرتها مجلة (نور الإسلام) في العدد (٧، ٨) السنة الأولى ١٤٠٩ هـ، ص ١١٤ .

جون هولت البريطاني

بداية الرحلة :

إنها الشامنة من صباح الأول من تشرين الأول ١٩٧٥ . الشمس الساطعة في السماء الصافية تنعكس على صفحة المياه المتلألئة ، التي تمخر هبابها سفينة إيطالية تدعى « سان ماركو » كانت تقترب من ميناء (حيفا) ، وعلى متنها رجل إنجليزي يسعى للفضال مع الإسرائيليين في صراعهم ضد العرب . عندما رست الباخرة نزل الرجل منها وركب سيارة أجرة لنقله إلى « الكيبوتز » . وكان يخيل إليه أنه بعدما سافر من قريته « ولييت » إلى محافظة (سوفولك) ومن ثم إلى (لندن) لينتقل بعدها مستقلاً القطار إلى (جنوا) ، حيث صعد إلى ظهر الباخرة التي أبحرت به إلى « إسرائيل » ، أن رحلته أشرفت على نهايتها . آه لو عرف « جون » أن رحلته إنما أوشكت على أن تبدأ !

يسكن في كيبوتز أقله ، الذي يقع على بعد نحو ١٤٠ ميلاً جنوب الطريق الرئيسية التي تربط حيفا بمكّا ، نحو ٥٠٠ يهودي ، فضلاً عن ما بين مئة إلى مئتي منطوع من بلدان شتى ، يأتون ، مثلهم مثل جون ،

لمساعدة الإسرائيليين « المساكين » ! ويزرع في كيبوتز أفك - أحد أكبر ملاك الأرض في « إسرائيل » - القطن وعباد الشمس والبندورة والحمضيات بشكل أساسي ، كما أن وجود ٣٠٠ رأس من الأبقار والآلاف من طيور الدجاج يجعل المتطوعين مشغولين بشكل دائم . لقد كان سكان الكيبوتز ودودين ومضيافين . وغالباً ما كان جون يدعى إلى السهرة لدى إحدى العائلات . أما الطعام فيقدم في قاعة كبيرة يتناول فيها جميع السكان والمتطوعون وجباتهم كافة . وكان جون يجد نفسه أحياناً بجانب أحد « الآخرين » إلا أنه كان يتجاهلهم تماماً كما لو أنه ليس هناك أحد بجانبه . فلقد حفرت وسائل الإعلام في ذهنه على مدى سنوات طوال في بريطانيا كل شيء عن هؤلاء « العرب القذرين » و « الإرهابيين الفلسطينيين المتعششين للدماء » وعن وحشية « البرابرة المسلمين سيفهم الحامل للموت العنيف » ، فقد كان يعرف أنه « لا يمكن الوثوق بهم فهم سيطعنونك من الخلف وينهبونك » ، كما أنه كان يعرف أنهم في « أسفل سلم الإنسانية » ، ويجب نبذهم ورفضهم . وكان يعرف أيضاً أن اليهود « شعب مختار » ! ألم يجعلوا الصحراء أرضاً خضراء ١٩

كان جون يقضي الساعات الطوال مستمتعاً بدفء أشعة الشمس ويقضي الساعات متأملاً بجمال وروعة هذه الأرض المميزة . فعلى الطرف البعيد من الكيبوتز كانت هناك تلة ملبئة بالصخور بحيث لم يكن من الممكن استصلاحها . لقد كانت تلك التلة هي المكان المثالي ليسرح المرء نظره في المشهد الطبيعي الخلّاب . فخلف الوادي الخصيب تشع هضاب الجليل الغربي في حمأة القبط . وبينها وبين الوادي سلسلة من الحقول الصغيرة التي كان بوسع المرء أن يرى الفلاحين يعملون بين أحضانها ، والأطفال الصغار يهرحون ، فيما من هم أكبر منهم سنّاً بقليل

يتعهدون قطعان الغنم والماعر . ومع مرور الأيام كان جون يجد نفسه على قمة التلة حيث يجد نفسه غارقاً في التأمل وتائهاً عن الشعور بالزمن . وجد جون نفسه يتعمق في التفكير بالأسماء التوراتية التي ربما سبقته إلى الوقوف في ذلك المكان نفسه . والغريب أنه كان يجد نفسه يحدّق في عمال تلك الحقول الصغيرة . وفجأة بدأ يعي أن ثمة مشاعر مجهولة وغريبة قد بدأت تهزّ أعماقه . ومع مرور الوقت بدأ يدرك أنه إنما يبحث عن شيء ما ولكن ما هو ؟ لماذا تبدأ نبضات قلبه بالتسارع عندما يتركّز اهتمامه على أولئك العمال ؟ كان يعرف أنهم عرب ، إلا أنه رغم ذلك وجد نفسه يتمتم بانفعال شديد : « لِمَ أنا موجود في هذا المكان ؟ ما هو هدفي من ذلك ؟ »

نظرة أخرى :

بعد ذلك ببضعة أيام ، وفي هدأة ساعات الفجر الأولى استيقظ جون على صوت تردد عاليّ في أذنيه : « اليوم ، ستلتقي بقومك » فتدفق الدم الحار في شرايينه إذ أدرك أنه سيلتقي بعمال البناء العرب . كان جون الذي اعتبر دائماً العرب أدنى منه ، على وشك أن يتعلم درساً لن ينساه (وهو الدرس الأول في سلسلة طويلة) . فقد كان يجري بناء قسم جديد ملحق بالمعمل الصغير في الكيبوتز . كان العمال يعملون فوق سقف الطابق الأول وكان لا بد للوصول إليهم من استخدام السلم . عندما وصل إليهم حيّاهم بالعبرية قائلاً : « صباح الخير ، كيف حال العمل ؟ » ولدهشته وجد بضعة شبّان يتجهون نحوه وقد مدّوا أيديهم مرددين « مرحباً ، بك » بإنجليزية طليقة . وفيما التقت عيون الشبان العرب بعيني الرجل الإنجليزي شعر جون برسائل غامضة تستقر في قلبه ، وبدأت بلرة صغيرة كانت نائمة منذ زمن بعيد في قلبه بالنمو . . فهؤلاء الشبان ليسوا

فقط عرباً وفلسطينيين بل هم أيضاً مسلمون .

بعد هذا الاجتماع الأول والذي تحوّل إلى لقاء يومي بدأ جون يشعر بأسئلة كثيرة تغلي في داخله . هل هؤلاء العمال العرب ، هم من الفئة نفسها التي طالما سمع عنها أوصافاً من نوع « إرهابيون » و « قتلة » و « وسخون » و « غير جديرين بالثقة » ، تطلق عليهم ؟ كذلك اكتشف أنه كان يتوق إلى قضاء الوقت معهم ، فلقد بدأوا يشغلون حيزاً كبيراً من روتينه اليومي كما شغلوا جزءاً كبيراً من تأملات ما قبل النوم ، إلى درجة أن نومه بات غير منتظم . فلقد كانت تتباه مشاعر وعواطف جعلته يعاني من قلق وأرق . فبعد أن تفاعل مع هؤلاء العمال أخذ يشعر بأن كل ما قيل له وما حملوه على الاعتقاد به عن هؤلاء الناس ليس صحيحاً ، بدأ يشعر بأنه بحاجة لأن يعرفهم أكثر .

وبينما كان نائماً بعد ظهر أحد الأيام ، أبقضته بعض الطرقات الخفيفة على الباب . وكان الطارق حسيناً ، أحد العمال العرب . وهو ابن أخ محمد متعهد البناء ، كان حسين قد جاء بحمل دعوة أطلقها بوجه بشوش قائلاً : « أرجوك يا جون ، عمي يدعوك إلى أن تأتي إلى بيتنا في القرية وتنام معنا هذه الليلة وتعود معنا في الصباح » . كان وجه حسين ينضج بالفرح إلا أن شيئاً ما حمل جون على التردد . فهو بالطبع يرغب في قبول الدعوة ، ولكن في قرية عربية !! وأخذ يتذكّر : « قدرون » لا يمكن الوثوق بهم . . . « سيسرقونك » وهنا بدأ ينتبه إلى تغيير ملامح حسين ، لقد حلّ محلها ما جعل جون يشعر بالخجل . إذ طفت ملامح الحزن والألم على عيني الشاب . وهنا تحرك قلب جون وقال لحسين وهو يرتب على كتفه : « شكراً ، يسعدني أن آتي » . فعاد البشر إلى ملامح الشاب وهو ينطلق إلى أصحابه قائلاً : « سيأتي جون معنا » .

وفيما هم متوجهون نحو القرية - وقد جلس جون في المقعد الخلفي من الجرار - يستمتعون بتبادل أطراف الحديث ، بدأ جون يفكر فيما يمكن أن تكون عليه القرية العربية ، وكيف سيتعامل القرويون معه ؟ ولكن ما حدث فعلاً كان أمراً يفوق كثيراً أقصى ما كان يمكن أن يجنح خياله إليه .

« هؤلاء هم قومك » :

ومع وصولهم إلى مدخل القرية بدأ أهل القرية بإطلاق عبارات الترحيب والتحية . وأخذ الأطفال الصغار يركضون خلف الجرار في شوارع القرية الضيقة ، إلى أن توقف الجرار أخيراً قرب منزل محمد متعهد البناء وما أن ترجل جون حتى وجد محمداً يحيطه بذراعيه ويرحب به قائلاً : « أهلاً وسهلاً ، أود أن أعرفك على جميع أفراد العائلة » .

وبدأ يعرف بإخوته وزوجاتهم وأبنائهم ، الذين كانوا يرحّبون بجون كما لو كان أحد أفراد العائلة العائد من سفر طويل . « الآن وقد تعرّفت إلى عائلتك ، أريد أن أريك بيتك » . ثم طاف بجون بأنحاء بيته الفخم . وجلسا في النهاية على الشرفة حيث أخذ جون ينظر إلى المنظر الطبيعي الخلّاب ومرة أخرى وضع محمد ذراعه على كتفي الرجل وقال : « هذه هي عائلتك وهذا هو بيتك وهذه هي قرنتك ، ومن الآن فصاعداً سوف تأتي وتذهب كما تشاء ، دون أن تُسأل لأن هذا كله لك » . لم يستطع جون أن ينبس ببنت شفة ، ولم يملك إلا أن يطيل النظر إلى محمد في فيض عاطفي منعه من الكلام . إلا أن ملامح الرجل كانت تشي بأنه أدرك ما دار في خلد جون .

في المساء ، جاء العديد من الضيوف ، الذين كان محمد قد دعاهم إلى وليمة قامت بإعدادها زوجته وزوجات إخوته ، للاحتفال بزيارة جون

الأولى للقرية . وحين يتذكر جون ، والذي بات اسمه الآن « أحمد » هذه الحادثة يذكر بأنه لم يشعر لحظة أنه « غريب » وسط نحو من ٣٠ إلى ٣٥ عربياً ، بل كان يشعر بأنه مرتاح . فحرارة هؤلاء القوم جعلته يشعر أنه هو وإياهم « واحد » ، وبعد أن تناولوا الطعام - ولقد كان طعاماً شهياً بالفعل - اقترح سمير أحد أبناء محمد ، بأن يرافق جون في جولة في القرية « ليرى بنفسه كيف يعيش العرب » .

وفيما هما يتجولان في شوارع القرية ، كان جون يشعر بسعادة لم يسبق له أن عرفها من قبل . كان القمر يعانق بأشعته الفضية البيوت القروية العتيقة ، وكانت رائحة الأرض تمتزج برائحة القهوة ورائحة الياسمين لتؤلف عبقاً رائعاً في أريجها ، وكان القرويون يجلسون حول مواقد صغيرة يستمتعون باحتساء القهوة ، ويدعون المارة إلى مشاركتهم . وكلما مرّ بيت تكررّت الدهوة إلى شرب القهوة ، وأحسّ جون بحرارة الضيافة العربية وصدقها . ووصلاً أخيراً إلى بيت صغير كان واضحاً أن أصحابه فقراء مادياً ، إلا أنهم كانوا أغنياء بكرمهم وضيافتهم . جلس جون وسط العائلة وهو يحتسي الشاي ، وسرعان ما وجد نفسه يدخل في دائرة الحوار العائلي المعتاد كما لو كان أحد أفراد الأسرة . ولاحظ جون أنّ في الزاوية المقابلة له صبيّاً عمره نحو أربع أو خمس سنوات لكنه لم يتحرك أو يتحدث على الإطلاق ، إلا أن جون شعر أن عين هذا الصبي لا تحيد عنه ، بل إنه ما انفكّ يحدّق به بقوة لا يمهداها في الأطفال من أقرانه .

وانكشفت الحقيقة !

حان وقت توديع هذه العائلة الطيبة ووقف جون وأخذ يشكرهم على ضيافتهم وعلى اللقاء الممتع . وهنا ، تقدّم الصبي نحوه ووقف قبالة ثم نظر إلى الأعلى وقال بالعربية : « أرجوك أن تقبلني قبله الذهاب إلى

النوم . ربما كانت هذه الكلمات بسيطة إلا أنها حلت على جون كالصاعقة : « أيقبل عربياً ؟ وابن فلسطيني ؟ » ومرة أخرى عادت أفكار الإرهابيين والمتعصبين الفلسطينيين من العرب « القذرين » تعود إلى ذهنه . إنه لا ينفي أنه أحب هؤلاء الناس واستمتع بصحبتهم . ولكن أن يقبل واحداً منهم فهذا ليس باستطاعته . . لا . . إطلاقاً ، حتى ولو كان ولداً صغيراً ، لكنه والله الحمد ، لم يضطر إلى اتخاذ هكذا قرار ، إذ عندما فتح جون عينيه وجد نفسه واقفاً على الأرض ويدا الصبي تمسكان بذراعه ، وعندما التقت أعينهما ، طغت على جون مشاعر لم يتمكن من استيعابها إلا بقلبه ، فقبل شعر الصبي الأجدد بحنان ، وأخذت الدموع تترقق في عينيه وهو يقول : « سامحوني أرجوكم » . وبينما هو يعانق الصبي تردد في أذني جون صوت هادر كالسلال قائلاً : « هؤلاء قومك ، هؤلاء قومك » . ثم ساد سكون مهديء للتنفس المضطربة ووجد جون نفسه يخاطب الصبي قائلاً : « أنا أحبك يا ولدي » . وهكذا أدرك أن هؤلاء هم قومه . وعندما نظر إلى من حوله وجد أن هؤلاء الأعراء سيكون أيضاً . وهنا قال سمير له : لقد طلبت منا يا أخ أن نسامحك ولكن علام ؟ إن الأفكار التي كوّنتها عنا هي نتيجة لما علّموك إياه ولما قادوك إلى الإيمان به . أما الآن فأنت تعرف الحقيقة . وإننا نفرح معك من أجل ذلك . فكل أفراد عائلتي وكل سكان القرية يحبونك !

عندما جاء جون إلى القرية قبل ذلك ببضع ساعات كانت هذه القرية في إسرائيل ، أما الآن فهو يدرك تماماً أنها في فلسطين المحتلة ، ولقد تفتحت عيناه على معاناة « شعبه » .

ومع مرور الأيام أخذت زيارات جون إلى القرية تتكاثر وتتخذ طابعاً شبه منتظم حتى بات يعرف كل أهلها تقريباً شيوخاً وشباباً وأطفالاً .

وأصبح أحد « أفراد العائلة » لدى العديد من أسرها . (وفي غضون ذلك كان يتلقى أفضل الدروس على أيدي أفضل الأساتذة دون أن يدري) . وبرغم أنه ينتمي إلى مجتمع غربي ، فإن جون تمكن بطريقة أو بأخرى من أن يتأقلم بسهولة نسبية مع المجتمع العربي . ولقد أتى كل شيء بشكل طبيعي ، كما لو كان عربياً أصيلاً . وعلى الرغم من أن هدفه الأساسي كان مساعدة الإسرائيليين ، إلا أنه أخذ يدرك أن هناك هدفاً آخر ودافعاً أكثر عمقاً . . ولكن ما هو ١٩ .

بينما كان جون يتمشى مع « شمول » أحد أصدقائه اليهود ، عشية ذات سبت ، في محيط الكيبوتز وصلاً إلى الجهة الشرقية حيث بدت أضواء القرى العربية المتلاثة على تلال الجليل الغربي . وجذبت اهتمام جون بقعة من الضوء تبدو أكبر من غيرها فسأل جون صديقه ما اسم تلك القرية الكبيرة ؟ فأجابه شمول إنها قرية تامة وسكانها جميعاً مسلمون وهم قوم سيئون يتسببون بمشاكل كبيرة لإسرائيل ! فهم يذوون « مخربي » المنظمات الفلسطينية . ويرفعون العلم الفلسطيني وينظمون الإضرابات والمسيرات ، ولا يمكنك الوثوق بهم ، فهم يسرقون أرضنا ، ودراجاتنا وأشياء أخرى من بيوتنا . . إياك أن تذهب إلى تلك القرية وابقَ بعيداً عنهم .

بعد بضعة أيام وبينما كان جون يعمل في المطبخ الذي يعد الطعام لسكان الكيبوتز ، لاحظ وجود عامل غريب يجري بعض التصليحات في الغرفة المجاورة . التقت عينا الرجلين لثوان قليلة إلا أن أيّاً منهما لم يكلم الآخر . لكن عندما أنهى جون نوبته حوالي الساعة الثانية والنصف ، توجه إلى المدخل الرئيسي وهو يشعر بارتياح هنيئ لتفكيره في القيلولة الطويلة التي ينوي أن يخلد إليها ، وإذ به يجد على أسفل الدرج ذلك العامل

الشاب الذي ما أن رآه حتى مد يده مصافحاً وبادره بالقول :

- « ستذهب معي الآن إلى قريتنا ؟ » .

- « أي قرية ؟ » .

- « قرية تامرة » .

ما أن سمع جون اسم القرية حتى رد على الفور :

- « شكراً لك ، ساعدني أن أزور قريتك » .

توجّهوا معاً إلى القرية ، وهي قرية كبيرة يسكنها حوالي ١٨ ألف نسمة جلّهم من المسلمين . وهكذا أصبح جون وعادل صديقين حميمين بل وأخوين . ولقد فتحت له (تامرة) أبوابها واحتضنته منازلها ، ونمت أواصر المودة والمحبة بينه وبين أهلها ، فأخذ يمضي أغلب أوقاته في هذه القرية الوداعة التي لا تبعد عن الكيبوتز أكثر من ساعة ونصف .

كذلك تكرّرت زيارات جون لثانوية القرية ودهاء أستاذ اللغة الانجليزية فيها إلى إعطاء بعض الدروس مما أثّج قلب الطلاب ، وبالطبع قلب جون أيضاً . كما أنه غالباً ما كان يدهي إلى زيارة الطلاب في بيوتهم لمساعدتهم في دراسة مادة اللغة الأجنبية .

ولكم كان مسروراً عندما أدرك أن سبب دعوتهم له لم يكن حاجتهم لأي مساعدة فمعظمهم كان يتقن الإنكليزية اتقاناً مذهلاً ، بل بسبب حبّهم له . وإلى جانب ذلك كله فقد كان يحضر جميع الأهراس وحفلات الخطوبة التي تجري في القرية ويبيت ليلته لدى أهل عادل وأحياناً لدى عائلات أخرى .

ثم أخذ جون يعرف طريقه إلى الكيبوتز عبر الحقول ، وكان يترك

أحياناً القرية عائداً إلى منزله في منتصف الليل ، مستمتعاً بضوء القمر وسكون الليل وطمانيته ، وغالباً ما كان يغرق في تفكير عميق ، شاعراً أنه ينتمي بطريقة أو بأخرى إلى هذه القرية وتلك الصخور والأشجار . ويشعر عند ذاك بأنه ليس وحيداً على الإطلاق .

ثم صدف عندما كان يهيم بالعودة إلى الكيبوتز ذات ليلة أنه لاحظ أن الظلام دامس ، إذ لم تكن الليلة مقمرة ، إلا أنه لم ير أن ثمة داعياً للقلق . فهو قد حفظ الطريق عن ظهر قلب . مشى جون في الظلام نحو الساعة ، ثم أخذ يسمع وقع حوافر الخيل ، وسرعان ما أدرك أن الصوت يقترب بسرعة منه . ثم برز فجأة أمامه رجل يمتطي فرساً صهباء بادره بسؤال غاضب :

« من أنت وماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ » .

فردّ عليه جون موضحاً أنه في طريقه إلى الكيبوتز بعد أن زار إخوانه في (تامرة) . فسأله الرجل :

« وعند من كنت ؟ » :

وما أن لفظ جون اسم العائلة التي كان يزورها حتى قفز الشاب عن صهوة فرسه واقترب منه قائلاً :

« أرجوك أن تسامحني أيها الأخ الإنجليزي إننا نعرف أن هناك رجلاً إنجليزياً يحبنا » .

تعانق الرجلان ، ثم أضاف الشاب العربي بلهجة مليئة بالحرارة والسرور :

« هناك من يأتي في الليل ويسرقنا وهو قد يأخذ خرافنا ، لذا فعندما تأخذ الكلاب في النباح لا بد لنا من أن نتحقق من الأمر » .

في غضون ذلك ، وصل شابان آخران من قبيلة بدوية مخيمة على مسافة بعيدة نسبياً . وبعد مناقشة قصيرة دعا الشابان جون إلى أن يبيت في مضاربهما . ولكن ذلك لم يكن ممكناً فالساعة كانت قد وصلت إلى الواحدة والنصف صباحاً ، فتفهم الشابان الوضع ووجهها الدعوة لجون لزيارتها في مناسبة أخرى . وقالاه :

« إنك تسلك أيها الأخ طريقاً خاطئاً تعال معنا ندلك على الطريق الصحيح » .

إذاً فلقد كان من المقدّر أن يكون هذان الأخوان من الشباب البدو هما اللذان سيقودان جون إلى الطريق الصحيح المؤدي إلى « إفك » . فلقد كان جون قد ضلّ الطريق في الظلام الدامس ومشى في الاتجاه الخاطئ .

وفي زيارة أولى له إلى قرية جديدة مع أحد الإخوة ، دُعي إلى بيت الأسرة ، وأخذ كما هي العادة إلى كبير العائلة . ولدى دخولهما إلى الغرفة نهض رجل طويل جليل المحيا لملاقاتهم . إلا أنه ما لبث أن توقف فجأة وأخذ يحدّق بجون بحرارة وبدأ أن عينيه تكادان تخترقان أعماق جون . ثم تقدّم هذا الأخ العزيز وعانق جون وقال وعيناه تنترقرقان بالدموع :

« الحمد لله الذي هاد هذا الابن إلى بيته » .

وشعر جون مرة أخرى بدفق عاطفي يغمره . فهذا هو هذا العجوز

الجليل الذي يناهز عمره المئة سنة ، والذي يعرف تماماً ما الذي دفع جون للمجيء إلى هذه البلاد ، كما يعرف أيضاً موقفه السابق من العرب - المسلمين - قد تمكن بطريقة ما أن يرى شيئاً في قلب جون لم يكن هو نفسه واعياً له .

وذات يوم سأله الأخ عادل :

- « هل تحبّ أيها الأخ أن تتزوج من مسلمة ؟ » .

فرّد جون قائلاً :

- « ولماذا تسألني مثل هذا السؤال يا أخي ، وأنت تعرف أنه لا يمكن لغير المسلم أن يقترب بمسلمة ؟ » .

فترجم عادل ما قاله صاحبه إلى الحاضرين ، الذين علت أصواتهم بالضحك فاستغرب جون وسأل :

- « ما الذي يضحكمكم ؟ » .

أجابه عادل :

- « لأننا نعرفك ، القرية كلها تعرفك ، فليس هناك مشكلة . سنجد لك بيتاً ونوفر لك عملاً فأنت تنتمي إلينا » .

وسرعان ما وصل خبر احتمال زواج جون من امرأة عربية إلى الكيبوتز ، وأصبح موضوعاً لتسامر القوم فيما بينهم ، مما أثار كراهية عدد من « الأصدقاء » اليهود ، وما لبث أن تبع ذلك زيارة الشرطة الأمنية التي أخضعت جون لاستجواب مطوّل حول علاقته مع العرب ، ثم طلب منه في النهاية أن يغادر البلاد ، بعد أن كانوا قد عرضوا عليه أن يصبح عضواً دائماً في الكيبوتز . ولكن تلك الدعوة إنما كانت قبل أن يعرفوا بعلاقته

مع العرب .

نهاية البداية :

لا تزال ذكريات الأيام الأخيرة التي قضيتها في زيارة الأحباء في عدد من القرى ، محفورة في ذاكرتي تماماً كما هو حال ذكريات الفراق المؤلمة للأحباء الذين اضطرت للابتعاد عنهم ، والذين ستبقى ذكريات قبلاتهم ومحبتهم طرية في ذهني إلى الأبد . إذ ما تزال ترن في أذني تلك الجملة الرائعة التي ودّعوني بها : « لا يمكنك أن تفارقنا لأنك واحد منا » .

وعندما أخذت الطائرة تصعد بي إلى السماء الزرقاء دعوت الله أن لا تكون تلك هي النهاية . إلا أنني لم أكن أعرف آنذاك أنها بالفعل كانت النهاية ، ولكنها نهاية البداية ليس إلا .

عندما وصلت إلى بريطانيا ، البلد الذي ولدت فيه ، شعرت بأن « هذه بلاد غريبة » وشعرت بشوق إلى أهلي ، الفلسطينيين العرب المسلمين . ولقد انضمت في النهاية إلى إحدى المنظمات ، « مجلس تنمية التفاهم بين العرب والبريطانيين » ، وكنت أحضر دائماً الاجتماعات سواء في (لندن) ، أم في سائر المدن البريطانية ، وأسعد بقاء العرب من بلدان مختلفة . وذات يوم وبينما كنت في زيارة لإحدى السفارات العربية في ساحة « سانت جيمس » في لندن قدم لي أحد الإخوة مصحفاً وسجادة للصلاة وهو أمر لعله من الغريب أن يحدث مع مسيحي . لكنني تلقّيت الهدية بفرح . وكان إخوان آخرون يقدمون لي ، بين الحين والآخر ، كتباً عن الإسلام . كما أنني دعيت للانضمام إلى جمعية إسلامية ، وأخذت أحضر الندوات والاجتماعات التي تعقدها . وعلى الرغم من أنني لم أكن مسلماً (أو على الأقل لم أكن مدركاً بأنني مسلم) إلا أنني كنت أجد راحة

نفسية بين المسلمين .

وفي إحدى المرات تلقيت دعوة لحضور ندوة في « توتنهام » . فسافرت إلى (لندن) حين كان من المفترض أن تأتي عربية إلى الجامع الرئيسي في « ريجنتس بارك » لتأخذ المدعوين إلى الاجتماع . ولقد كانت هذه هي زيارتي الأولى إلى المسجد ، وهناك التقيت بأخ من العراق ، أستاذ في جامعة بغداد ، وتبادلت معه الحديث ، وفيما نحن نتحدث أذن المؤذن داعياً للصلاة الظهر . يا الله ! ماذا أفعل ؟ لا أعرف كيف أصلي ، كما أنني أخجل من أن أقول له ذلك . ثم خطرت لي فكرة أن « أذهب معه ، وأحذو حذوه » .

الشهادة :

شعرت لدى دخولي إلى قاعة الصلاة برفقة العديد من « الإخوة » بشعور من الرضى والثقة بالنفس والاطمئنان لم أكن لأعهده في نفسي . ثم شعرت وأنا أتلو الشهادة بأنني أسمو ، كما لو أن هذا الشيء الذي نشأت على الهلع منه (سيف الإسلام) قد طعنني في باطن قلبي ، وأخذت ذكرياتي مع الشعب الفلسطيني الذي أحببت تمر كشريط سينمائي سريع « قبلني قبلة النوم » ، « نحن نجبك » ، « كل أهل قريتنا يحبونك » ، « هلاً تزوجت من امرأة مسلمة ، ليس هناك من مشكلة نحن نعرفك » ، « الحمد لله الذي أحاد هذا الابن إلى شعبه » .

صدفة .. ولكن !

في نيسان ١٩٨٦ كنت ضيفاً على بعض الإخوة الليبيين في (طرابلس) ، وقد شهدت آثار القصف الأميركي والاعتداء على الأبرياء من رجال ونساء وأطفال . ولقد كنت أهلي غضباً من تورط الحكومة

البريطانية ، فعبّرت في حديث للإذاعات والصحف المحلية عن مشاعر السخط هذه . ولم يمضِ أسبوع حتى استدعيت إلى مكتب مدير الشركة التي أعمل فيها ولم يكن لدى المدير السيد جوزف « اليهودي » أي حرج في الكشف عن الأسباب التي دفعته إلى صرفي ، بعد أن أصبحت عبئاً على الشركة . إلا أن حديثه للإعلام كان إلى حد ما مختلفاً . وهكذا صرفت من العمل للمرة الأولى في حياتي المهنية على امتداد ٤٨ عاماً . لقد كنت أمام تجربة صعبة بل مريرة . أو هكذا كنت أتصور إلا أن العام الذي قضيته عاطلاً عن العمل كان نعمة هبطت عليّ . ففي أحد الأيام عرض عليّ بعض الإخوة العراقيين أن أعمل في مجال العقارات في (لندن) .

ثم تبين أن هؤلاء الإخوة الأعزاء هم مسلمون شيعة ، وهنا أيضاً شعرت بدفق غامر من المحبة والفرح ، ولقد بدأت حيناي تفتحان أكثر عندما أخذت ألتقي بإخوة ليس فقط من العراق بل من غيره أيضاً . وهكذا نمت روابط الأخوة بيني وبين الإخوة المسلمين من سائر المذاهب على حد سواء ، ورأيتني أشعر بمحبة وود للجميع .

الحمد لله على نعمته الكريمة ، فأنا لا أستطيع التفريق لأنني أعرف أن هناك إسلاماً واحداً ، وأن كل المسلمين إخوة . وأن الأشرار وحدهم هم الذين يدعون إلى التفرقة . فالحمد تعالى بقول في كتابه الكريم : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .

ليلهنا الله ما فيه وحدتنا الحقيقية وليهديننا معاً إلى الصراط المستقيم ، وليمنحنا ما يكفينا من القوة لنقنّدي برسوله محمد ﷺ ، (١) .

(١) نور الإسلام: المجلد (٣١ و ٣٢) السنة الثالثة ربيع الأول و ربيع الثاني ١٤١٣ هـ .

إسماعيل عبد الله الإفريقي

فيما يلي نقدم ترجمة لنص باللغة الفرنسية ، يروي فيه الأخ الإفريقي
إسماعيل عبد الله قصة إسلامه كاملة :

وُلدتُ عام ١٩٤٧ في (موتاو) بجمهورية (أفريقيا الوسطى)
لأبوين مسيحيين . كان أبي فيما مضى نصرانياً كاثوليكياً . بعد إكمال
دراستي الابتدائية والثانوية ذهبت إلى (بانغي) للتسجيل في مدرستها ،
وفي الوقت ذاته قدمت طلباً للدخول إلى المدرسة اللاهوتية في
ياوندا (الكامبيرون) للسنة الدراسية التالية للدخول في سلك الرهبنة .

وبما أنه كان لي شقيق يعمل ككاتب أول في محكمة
مدينة (بوزوم) فقد كان علي أن أذهب لزيارته من آن لآخر . وخلال
زيارتي له في العطلة الربيعية لعام (١٩٧٢) عن لي تمديد إقامتي لديه
أياماً أخرى . وأثناء جولة قمت بها في الحي الإسلامي ذات يوم ، رأيت
مشهداً كان كفيلاً بأن يستحوذ على اهتمام أي شخص يبحث مخلصاً عن
الحقيقة والدّين الحق : لقد كانت ساعة الغروب وكان المؤذن يرفع أذان
صلاة المغرب . ورأيت الناس متوجهين نحو المسجد وهم يتوقفون

خشوعاً بما فيهم رئيس الحي الذي يتمتع بمكانة اجتماعية رفيعة . أما أنا فقد توقفت إعجاباً بأولئك الأشخاص الذين كانت تحركاتهم وسكناتهم تنم عن خشية الله .

وفيما مضى كنت أنمي على بني قومي من المسيحيين عدم تسليمهم وعدم خضوعهم الكامل لله سبحانه وتعالى . وكنت يومها أجهل كل شيء عن الإسلام . ولم يخطر ببالي قط أنه كان في وسع مسيحي حقيقي أن يصبح مسلماً . ومع ذلك فقد عدت من جولاتي هذه مقتنعاً بأنني قد التقيت لتويّ بأناس يعرفون حقيقة إلهية ، أنا على جهل تام بها . . وعلى هذا فهم يخشون الله أكثر من خشيتي إياه ، وأكثر من المسيحيين الذين عرفتهم فيما مضى . وكان من المحزن لي ألا يكون بوسعي أن أتقي الله وأخشاه كالمؤمنين الأوائل الذين تحدث عنهم الكتب السماوية .

أهبطت بالإسلام فأسلمت :

وفي مساء اليوم التالي قادتنني قدامي إلى المسجد ذاته . . ووقفت عند الباب أراقب المؤمنين وهم يؤدون صلاتهم في خضوع تام لله تعالى . وفي هذه المرة لم يعد ثمة شك لدي في أن الإسلام هو دين التقوى والخضوع لله . . وهو إذن ، الدين الذي أبحث عنه . ثم انتظرت على أحر من الجمر انتهاء الصلاة وخروج إمام المسجد ، حيث تبغته حتى منزله . وهناك طلبتُ إليه أن يشرح لي الإسلام وأن يوضح لي الشروط المطلوبة للدخول في الإسلام . فأجابني بأن جوهر الإسلام هو الاعتقاد والإيمان بوحداية الله تعالى ونبذ الشرك به ، كما أنه يقوم على الإيمان برسالة محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء وبحضور إمام المسجد نطقاً بالشهادتين .

وقد اتخذت لنفسى اسم إسماعيل بدلاً من اسمي الذي كنتُ أحمله
رغماً عني ، وكنت أجهل أصله ومعناه .

بسبب اعتناقي الإسلام اضطُهدت من أهلي ومجتمعي :

وحين وصل خبر اعتناقي للإسلام إلى أهلي ، كان لهذا الخبر وقع
الصاعقة عليهم ! لقد لاحظت الحقد واضحاً على وجوههم وفي
نظراتهم . وخلال عدة أيام لم يوجّه إليّ أي فرد من أفراد العائلة أي كلمة
على الإطلاق . وراح أخي يروج ضدي صئوباً عديدة من الاتهامات بين
معارفي وأبناء بلدتي . وأخذ الجميع يعاملونني بخشونة واحتقار . .
وصار النسوة والأطفال يتهكمون بي كلما مررت في الطريق . وأخذ
بعضهم يقول بأنّي قد تحولت في وطني من رجل ذي نسب نبيل إلى عبد
تافه للعرب إذ أن بعض الناس لا يستطيعون التمييز بين العرب وبين
المسلمين . وتعالّت أصوات تدعو إلى عزلي ونبذي من المجتمع . وفي
مسقط رأسي أخذ أقربائي يشعرون بالعار ، وذلك لأن الناس ليس لديهم
سوى أفكار مغلوطة عن الإسلام . ولم تخرج عن هذا الإجماع سوى
أمي .

وبسبب ذلك ، كان عليّ أن أقطع دراستي للغة الفرنسية ، وقررت
الذهاب إلى بلد من البلدان الإسلامية لكي أحافظ على إيماني ، ولكي
أتعرف على ديني الجديد بشكل أفضل .

الرحلة الطويلة المضنية في سبيل التعرف على الإسلام :

وبعد التشاور مع عدد من الأخوة ومع أحد العلماء نصّحت بالذهاب
إلى مدينة (كاواك) في (السنغال) . وحيث أنّي لم أكن أمتلك المبلغ
اللازم للقيام بهذه الرحلة فقد تنادى بعض المؤمنين لجمع مبلغ يكفيني

- على الأقل - للسفر من (بانغي) إلى (الكامبيرون) بالطريق البرية .
وحصلت على رسالة توصية لتسهيل سفري وتيسير أموري في حلتي
وترحالي .

وكمرحلة أولى قمت بالسفر بالسيارة من (بانغي) إلى (غارا
مبولاهي) ، وهي مدينة كامبرونية تقع على الحدود . وكان بحوزتي رسالة
توصية إلى شيخ في مدينة (غيدر) وهي في الطرف الشمالي الأقصى من
(الكامبيرون) . وبعد رحلة استغرقت أربعة أيام وصلنا إلى مدينة
(غارامبولاهي) ، وهنا نزلت في ضيافة أحد العلماء حيث قضيت عنده
ستة أيام - ثم جُمع لي مبلغ من المال يكفيني لمواصلة السفر حتى مدينة
(غاروا) التي تبعد ٦٠٠ كيلومتر . وفي الطريق توقفنا يوماً واحداً في
مدينة (نغاونديرة) الواقعة في منتصف المسافة . وبعد مشقة استطعت
العثور على مكان أقضي فيه ليلتي . ثم اضطررت أن أمكث في المدينة
خمس أيام لم أتناول خلالها سوى وجبتين من الطعام فقط . وكنت أنفوس
جوعاً . وفكرت في الحصول على أي عمل يتيح لي تأمين مبلغ يكفيني
لكي أعود أدراجي من حيث أتيت ! ولكنني صرفتُ النظر عن هذه الفكرة
لإدراكي بأن عودتي إلى (بانغي) هي أمر محزن لأنني لم أحقق بعد رغبتني
في التعرف إلى الإسلام بصورة تؤهلني لإرشاد الآخرين وهدايتهم .
وصرت أدعو المولى القدير أن يأخذ بيدي ويسدد خطاي ويسهل أمري .
وبقيت جائعاً ثلاثة أيام لأنني لم أكن أريد التصرف في المبلغ البسيط الذي
كان ما يزال في حوزتي .

وفي مساء اليوم الثالث عثرت على سيارات تحمل عبارة « مدينة
غيدر » فانفقت مع أحد السائقين على أن يقلّني إلى المدينة المذكورة لقاء
جزء من الأجرة الكلية للسفرة واحداً إياه بدفع باقي المبلغ عند الوصول ،

حيث سيتولى الشيخ موديبو يحيى شيخ المدينة الذي سأنزل في ضيافته الوفاء بذمتي هذا . ووافق الرجل سيّما وأنه يعرف بأن الشيخ المذكور هو واحد من أفاضل العلماء في مدينة (غيدر) هذا فضلاً عن كونه ممن يتصفون بالكرم والشهامة . وظُهر اليوم التالي توجّهنا إلى المدينة حيث وصلناها بعد رحلة استغرقت ساعتين .

وفي اليوم التالي ذهبت إلى مديرية الأمن للحصول على بطاقة إقامة . ولكنني اصطدمت بعدوّ لدود للإسلام ، وهو ضابط الشرطة الذي يتولى منصب مدير الأمن ، حيث ادّعى بأن مجيء شخص أجنبي مثقف للاستقرار والإقامة في زاوية من زوايا الريف في (الكامبيرون) بحجة تعلّم القرآن ودراسته هو أمر مثير للريبة ثم صادر جميع أوراق الشخصية ولم أتمكن من استعادتها حتى اليوم .

ومع ذلك فقد قضيت في هذه المدينة تسعة أشهر تسنى لي خلالها - والحمد لله - أن أكسب ثقافة إسلامية جيدة وكافية لمسلم متحمس للقيام بدوره من أجل نشر الإسلام والدفاع عنه في العالم .

وخلال الشهر السادس من إقامتي في هذه المدينة الكامبيرونية تعرفتُ إلى أحد علماء مدينة (كاوالاك) السنغالية ، وهو شيخ جليل فاضل . ومنذ تلك اللحظة صرت أطمح للذهاب إلى (كاوالاك) لأواصل تعليمي الديني . وقد استأذنت من أستاذي لتنفيذ مشروعي هذا ، فوافق ورسم لي طريق الرحلة التي تقتضي المرور بـ (نيجيريا) وتمضية بضعة أسابيع فيها .

وفي يوم من أيام شهر أيار بدأت رحلتي بالسيارة باتجاه (نيجيريا) - بلا أوراق ولا جواز سفر - ! ووصلت مساء اليوم ذاته إلى مدينة (يولا)

في (نيجيريا) . وقرر الشيخ أن أوصل سفري برفقة شخص وقع عليه اختياره . على أن يساعدني هذا المرافق على جمع المبلغ اللازم لسفري . وبعد ثلاثة أيام ابتدأت السفر ، حيث مررنا بعدة مدن وقرى نيجيرية قبل وصولنا إلى (كانو) الواقعة في أقصى الشمال .

وقد استقبلت هنا استقبالاً حافلاً . وفي اليوم التالي ساعدني أحد رجال الأعمال في الحصول على جواز سفر نيجيري . وقد مكثت هنا شهراً كاملاً ريثما تم جمع المبلغ اللازم لسفري . وبعد ذلك غادرت (كانو) ، حيث بلغت مدينة (باماكو) عاصمة (مالي) .

وبعد ثلاثة أيام بدأت الرحلة بالقطار ، حيث وصلت (كاوالاك) في (السنغال) يوم الجمعة الموافق ٣ آب ١٩٧٣ .

وخلال عام ونصف عكفت على دراسة الدين بشكل عام ، ودراسة التفسير بشكل خاص . بالإضافة إلى الحديث النبوي الشريف . وقد تتلمذت على يد واحد من أفاضل الشيوخ في المدينة .

وفي أثناء ذلك كنت أكتب الرسالة تلو الرسالة إلى أهلي في (أفريقيا الوسطى) أدعوهم فيها إلى الإسلام . ولكنني لم أكتب بذلك . فقد كان يحزنني احتمال موت أحد أفراد عائلتي وهو على ضلال ، في حين كان بوسعي أن أرشده إلى الصراط المستقيم . وهكذا قررت العودة إلى بلدي لكي أمارس التبليغ . وكان ذلك على وجه الخصوص أملاً في إنقاذ أهلي ومواطني ووقاية لهم من نارٍ وقودها الناس والحجارة . وبدلاً من أن أقبل عرضاً لعالم من علماء (موريتانيا) لأتلمذ على يديه في بلده عشرة أعوام فضلت العودة إلى (أفريقية الوسطى) حيث كان ينتظرنني الواجب .

وعدتُ إلى موطني لأقوم بواجب التبليغ :

وفي كانون الأول ١٩٧٤ ، وبعد الاستئذان من أساتذتي ، سلكت طريقي عائداً من حيث أتيت . ووصلت وطني في نيسان ١٩٧٥ ، بعد رحلة حافلة بالمعاناة ، لعدم توفر المال اللازم للسفر . وكانت أول عائلة أسلمت على يدي هي عائلة أحد موظفي الجمارك على حدود (تشاد) ، إذ اعتنق الإسلام هو وزوجته وأطفاله الستة . وبعد وصولي إلى (بانغي) اهتدى إلى الإسلام بواسطتي خلال شهر واحد أكثر من عشرة أشخاص .

والواقع أن وضع المسلمين الاجتماعي هو سيء للغاية في (أفريقية الوسطى) . فالمسلم يتعرض للاعتقال التعسفي . . وهو عرضة للإهانة والإذلال علناً وعلى رؤوس الأشهاد . إنه البقرة الحلوب للسلطات . وهو مادة للتندر والسخرية في المدرسة وفي الشارع وفي السيارة . . وحتى مواطنو (أفريقية الوسطى) من المسلمين هم مرغومون على الابتعاد عن المجتمع بسبب أسمائهم التي تنم عن انتسابهم للإسلام . وكثير منهم يضطرون إلى أن يتخذوا لهم أسماء مسيحية ، وأن يتنكروا تماماً لدينهم . وفي القرى والأحياء لا يتردد الأطفال حتى عن توجيه الشتائم والسباب للمسلمين . وثمة من يقول عن مسلمي (أفريقية الوسطى) بأنهم هم أولئك الذين خانوا وطنهم لحساب العرب وذلك باعتناقهم لدين العرب (أي الإسلام) !

وأمام هذا الوضع ، قررت في كانون الأول ١٩٧٥ أن أقوم بتأسيس منظمة إسلامية وطنية تُعنى بجمع شمل المسلمين في (أفريقية الوسطى) . وينشر الإسلام ، وبالإشراف على الشؤون الإسلامية في البلد المذكور .

وقد عرضت مشروعني هذا على بعض الإخوة المسلمين فرحبوا به

وأبدوا استعدادهم لمساعدتي بهذا الصدد . ثم ذهبنا سوية لمقابلة رئيس بلدية المدينة حيث شرحنا له الوضع بالتفصيل . وقد أحالنا هذا على رئيسة الوزراء في تلك الفترة . وحين قابلناها عرضنا عليها المشروع ذاته . وقد سجّلت هذه ملاحظات أثناء المقابلة ثم استدعتنا ذات يوم لكي تحيلنا بدورها على وزير التعليم الوطني . إلا أن الخوف من قيام المسلمين بتنظيم صفوفهم والإشراف على شؤونهم بأنفسهم أدّى إلى وأد المشروع . ولكنني لم أفقد الأمل ولا العزيمة . ففي شباط ١٩٧٦ قررت الذهاب إلى مدينتي (نولا) ، حيث تسكن والدتي وكذلك إخوتي وأخواتي ، فضلاً عن أقرباء آخرين . وصلت المدينة بعد الظهر . ولم يلبث أن انتشر خبر هودتي في المدينة . فتدفق عدد غير قليل من الناس على البيت لكي يستمعوا مني إلى شرح مفصّل عن الإسلام . ونظراً لكثرة الزوّار وكثرة الأسئلة المطروحة فقد اضطررت إلى السهر حتى ساعة متأخرة من الليل .

وفي اليوم التالي ، وفي تمام الساعة صباحاً ، كان رئيس القرية أول من يقرر اعتناق الإسلام ، وتبعه أشقائي الأربعة وأثني عشرة أشخاص مهمين يتسبب بعضهم إلى القرية المجاورة .

وطيلة أسبوعين كنت أنظم دخول أقربائي ومواطني إلى الإسلام وأشرح لهم تعاليم الدين الإسلامي . ثم أدركت أنه كان علي أن أنتقل من قرية إلى أخرى لكي ألتقي بأولئك الذين لا يستطيعون المجيء إليّ . وبصحبة مؤمنين جدد قمّتُ بجولة استغرقت عدة أيام لكي أقوم بالتبليغ في القرى المجاورة .

مواجهتي لمكائد المبشرين وأتباعهم :

وفي تلك الفترة قام الشيطان بلعبة قلذرة . فقد قام كاهن المنطقة - وهو فرنسي - يساعده لفيف من الكهنة بجمع كل المسيحيين في إحدى الكنائس وخاطبهم قائلاً : « ما الذي ينبغي أن يفعله جواهرى يمتلك كمية من الماس إزاء حجر أسود ينتصب بشكل غامض وسط ماساته الجميلة لكي يدمرها ويخربها ؟ » . فأجابوا الحاضرون بصوت واحد : « يجب تحطيمه بالمطرقة ونبذه بعيداً » . فقال لهم أيضاً : « لقد ظهر الشيطان في دياركم وبين ظهرائكم . . وما لم تتضامنوا بقوة لطرده فإن إيمانكم مهدد وستذهبون كلكم إلى الجحيم . . » .

وما لبثوا أن كتبوا رسالة لرئيس الجمهورية آنذاك (جان بيدل بوكاسا) . . وهي رسالة يتهمونني فيها بأنني قلت للناس بأنني قد رشوت (بوكاسا) بمبلغ كبير من المال فسمح لي بالقول بأن الدين الإسلامي هو الدين الحق دون غيره من الأديان وأن المسيحية هي دين استعماري فاسد .

وقد علمتُ عن طريق أحد الأشخاص الذين حضروا هذا الاجتماع بما كان يُحاك ضديّ . فاقمتُ دعوى قضائية ضد الكاهن . . وقد مورست ضغوط ضدي لكي أسحب شكواي هذه ولكنني رفضت رفضاً قاطعاً . وقد صدر على إثر ذلك حكم قضائي على الكهنة الأفارقة بالسجن عدة سنوات وبدفع تعويض لي - ولكنني رفضته - . أما الكاهن الفرنسي فقد نجا من العقاب لأنه أجنبي !

إنجازات وفقتُ لها :

وقد خرجت من هذه التجربة أكثر ثقة بالله وأشدّ تصميمًا على الماضي في طريقي لخدمة الإسلام . وقد رسمت خطة مع بعض الإخوة

المسلمين لوضع برنامج للتبليغ والدعوة ولبحث الطرق الكفيلة بهداية أكبر عدد ممكن من المثقفين إلى الإسلام الذين سيضطلمون فيما بعد بتوجيه كل المجتمع وتنقيته .

وقد قدمتُ لاحقاً طلباً إلى وزارة الإعلام لاستئناف إذاعة البرامج الإسلامية التي كان قد حُظِرَ بثُّها . فتمَّت الموافقة على طلبي هذا . بل وخصَّص وقت معين لبرنامج إسلامي باللغة الفرنسية حظي باهتمام كثير من المثقفين . وكنت أتولى بنفسى إعداد هذه البرامج الفرنسية حتى عام ١٩٨٠ . وفي الفترة ذاتها كنت أضطلع بمسؤولية الاهتمام بالمسلمين الجدد وبتعليمهم العبادات والصلاة . ثم أخذت على عاتقي توزيع الكتب والمطبوعات الإسلامية المترجمة إلى الفرنسية على سكان العاصمة والأقاليم . وكنت أنظِّم ندوات ومحاضرات في المدارس والكلليات .

وفي عام ١٩٧٨ ، بلغ عدد الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام عن طريقي حوالي ٧٢٠ .

وفي عام ١٩٧٨ أديت فريضة الحج في الديار المقدسة . وكنت يومها قد وضعت مشروعاً وخطّة لبناء مسجد كبير في منطقة يوجد فيها عدد كبير من المسلمين الجدد .

وعند عودتي إلى الوطن ، كان عليّ مواجهة صعوبات كثيرة : الانقصار لوسائل النقل ، ضعف الميزانية وصعوبة توفير الكتب الإسلامية .

وفي عام ١٩٨٥ وصل عدد معتنقي الإسلام بواسطتي حوالي ٩٠٥ أشخاص من المؤمنين .

وأخيراً فأنا أشكر الله عزّ وجلّ الذي وفّقني إلى تحقيق هذه النتائج

رغم صعوبتين كبيرتين :

١ - نحن نعيش في عالم مادي ، حيث يشكل المال سلطة وقوة ذات تأثير كبير على الناس . فالحقيقة وحدها لا تكفي : يجب توفير المستلزمات المادية الضرورية لإصلاح الخلل . وبسبب من هذه الثغرة فقد مُني عدد من مشاريعي بالفشل ومنها :

أ - مشروع لإنشاء قرية إسلامية نموذجية مع معهد ديني لإرشاد وتعليم المسلمين الجدد . ويمكن تنفيذ المشروع في المنطقة الكائنة بين (الكونغو) و(الكاميرون) ، وبذا يكون كفيلاً بهداية مواطني هذين البلدين .

ب - مشروع إقامة علاقات تعاون وتنسيق في حقل الوعظ والإرشاد مع الخطباء والعلماء في البلدان الإسلامية عموماً وفي (فرنسة) بشكل خاص ، لكي نبرهن للأفارقة أن ثمة مسلمين فرنسيين .

ج - مشروع إقامة مزارع كبيرة للقهوة والرزّ والموز وقصب السكر تعتمد على المسلمين الجدد . ويمكن لهذا المشروع أن يؤمن موارد مالية مهمة يُستعان بها لنشر الإسلام .

٢ - أما الصعوبة الثانية - وهي الأخطر - فهي عدم معرفتي باللغة العربية ، مما يحّد من إمكانياتي في الخطابة والإقناع . ولذا فأنا مصمم على الذهاب للإقامة مع عائلتي في أي بلد عربي لكي أدرس في إحدى الجامعات الإسلامية .

وأنا أرجو من جميع إخواني المسلمين ألا يترددوا في مدّ يد العون والمساعدة لي ، لكي أقوم بواجبي في نشر الإسلام .

والحمد لله الذي وفقني لمخاطبتكم ولإحاطتكم علماً بقصّتي التي

تعتبر أنموذجاً حياً لوضع الإسلام والمسلمين في (أفريقية
الوسطى)^(١) .

(١) من مجلة نور الإسلام : المعدادان (٣ و ٤) السنة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ، ص ٧٤ .

روجر ريف البريطاني

تفاصيل شخصية :

أدعى روجر ريف ، لكن المسلمين يعرفونني بإسمي المسلم :
حيدر .

ولدت في (إنكلترا) ، بلدي الأم في عام ١٩٤٩ .

تخرجت عام ١٩٧٠ كمهندس مدني ولقد عملت في هذا المجال
منذ ذلك الحين . وتنقلت في عملي بين (إنكلترا) و(إيران) و(العراق) و(أبو
ظبي) و(الكويت) و(الأردن) .

وعدت إلى الجامعة مؤخراً لمدة عام لأحصل على مؤهل تعليمي ،
لأنني لم أعمل كأستاذ بعد .

ولدت وترعرت كمسيحي (إنجيلي) وغيّرت ديانتي إلى الإسلام
في (ت ٢ / ١٩٧٩) .

النشأة والتبدلات الفكرية :

كنت أيام الدراسة ، مؤمناً حقيقياً بالله ، إضافة إلى ذهابي إلى

الكنيسة الذي كان إلزامياً في المدرسة وقد كنت أحضر أيضاً صفوفاً إختيارية لتعليم الإنجيل وهذا ما كان يشير سخرية بقية التلامذة ، إلا أنني كنت أجد في الدين مصدر راحة لي ولكن عندما بلغت الخامسة عشرة ، بدأت أتخلى عن الدين بسبب الأسئلة التي كنت أطرحها على نفسي . إضافة إلى تأثير أصدقائي . إلا أنني لم أتخلّ عن إيماني بالله .

في الجامعة خلال الستينات كانت الماركسية رائجة . . وعلى الرغم من أنني لم أتعلم فيها . إلا أنها أقتعتني كوجهة نظر عالمية تنصدي للظلم الموجود في العالم . كنت أعتبر نفسي ماركسياً . وقد جرّبت كافة المجموعات الماركسية (تروتسكية وماوية . . .) Cliques وعندما تركت الجامعة كنت قد فقدت اهتمامي بها .

بعدها بدأت بالعمل ، خضت تجربتي الأولى مع الحياة المادية وأخذ ذلك في البداية شكل توفير حاجاتي المادية الشرعية ، ومع مرور السنين وتحسن أحوالي المادية تغيرت الاحتياجات وعلقت تدريجياً في فخ مناخ القيم المادية السائدة ، حتى سيطر علي بشكل كامل في النهاية إلى حد أنني وجدت نفسي أبرر أي عمل مهما كان أنانياً بترداد القول الشائع : « أنت تعيش مرة واحدة فقط لذا فعليك أن تتمتع بهذه الحياة وعليك أن تهتم بنفسك في المقام الأول فإن لم تفعل فلن يهتم أحد بك » .

التحول :

تحولتي إلى الإسلام تم على مرحلتين : في المرحلة الأولى أصبحت مسلماً وفي الثانية أصبحت مؤمناً .

جاءت المرحلة الأولى كنتيجة لرغبتني في الزواج من فتاة مسلمة

تعمل في المكتب نفسه الذي كنت أعمل به وكان هذا يتطلب مني أن أغير ديني ولقد فعلت ذلك بتلاوتي الشهادتين أمام عالم دين مسلم وشهود بالطريقة المعروفة . وقد يبدو ذلك الآن نوعاً من النفاق ، إلا أنني لم أكن أعلم أي شيء تقريباً عن ديني الجديد ولكنني كنت قد اتخذت قراراً صادقاً بأن أعرف ماهيته حتى ولو لم يكن ذلك هو الدافع الذي جعلني أغير ديني . لقد كنت مسلماً على الورق فقط ولكن أليست هذه هي حال جميع المسلمين بالولادة الذين لا يعرفون أي شيء عن دينهم في تلك المرحلة ؟ لذلك فإن الظروف التي أحاطت بتحويلني إلى الإسلام لا تبدو في نظري أقل مشروعية من أي مسلم آخر .

وفي الحقيقة فإنني لم أتزوج ، لكن تلك هي قصة أخرى .

غير أنني مضيت في سعيي للتعرف على ديني الجديد وهكذا وصلت إلى المرحلة الثانية . واخترت مصدر معلوماتي القرآن نفسه فقرأت الترجمة الإنكليزية (مع التعليق الكامل) التي أعدها أ. يوسف علي . قرأتها ببطء ووفقاً لبرنامج يومي بحيث استغرق ذلك مني نحو ستة أشهر . . وغيّر ذلك حياتي ، فبعد نحو أسبوع أو أسبوعين من القراءة بدأت أشعر ، لدهشتي الشديدة ، أنه يقول الأشياء التي طالما كنت أشعر بأنني أعرفها في عقلي الباطن ، وكان ثمة ملكة كانت مخبأة في داخلي وبدأت تنكشف الآن بشكل تدريجي ، ويمكنني أن أصف ذلك وكان كلمات القرآن تحدث صدى يترجع داخل كياني وصولاً إلى النقطة التي جعلتني أقول في نفسي : « هذه هي الحقيقة » التي كنت متأكداً منها بالمقدار نفسه الذي كنت متأكداً منه أنني على قيد الحياة . إن لفظة « الكفر » بالعربية تعني حرفياً « حالة وجود شيء مغفَى » وهي نصف بشكل دقيق وضع قلبي فيما مضى ، وانفتاحه على الحقيقة هو أعظم صدق

في حياتي كلها .

وفي هذه المرحلة وجدت نفسي عندما كنت أصلي قريباً جداً إلى الله . وأحسست أنني بت قادراً على القول بصدق أنني مسلم ومؤمن . ومع مرور الوقت ازدادت معرفتي بالإسلام وتمكنت تدريجياً من اعتناق واستيعاب قواعده وممارساته .

التغيرات الإيجابية التي شعرت بها بعد الإسلام :

الآن ، وبعدما أصبحت مسلماً لم أعد أشعر بأي كآبة من أي شيء . قد يحدث لي لأنني أعرف أنه مؤقت . فتقلبات الدهر يحلوها ومرها سيان وهو اختبار عليّ أن أحصل جهدي كي أنجح فيه . ولم أعد مضطراً إلى القلق حول موقعي في الحياة والمكان الذي أتجه إليه لأنني أعرف ما هو هدف هذه الحياة . ولم أعد مضطراً أن أتبع أي نظام أخلاقي إنساني لا يتفق مع طبيعتي لأن الإسلام حررني من السلاسل التي قيد الآخرون عقلي بها .

فأنا لا أعبء إلا الله ، ولم أعد أخشى رأي الناس في أعمالي لأنني لا أخشى إلا الله . . ما خلا ما انصحت إليه طواحيه لأمر الله . فهناك الآن أمر ثابت في هذه الحياة وهو لثباته وعدم تغيره يسمح لي بمتابعة حياتي في الطريق السليم بثقة تامة .

باختصار فإن جميع الأمور الروحية التي كنت أفتقدها في السابق ، والتي تكون الحلول لجميع الأمراض التي يعاني منها المجتمع الغربي المعاصر باتت واضحة لدى .

المشاكل التي واجهتها منذ اعتناقي الإسلام :

لم أواجه عندما غيرت ديني أي رد فعل من عائلتي إيجابياً كان أم سلبياً ، وليس لدي أي مشاكل معهم . فهناك تقليد من الحوار لا يمكن تخطيه . وهو ما يسمح بالحفاظ على علاقات جيدة معهم .

أما من خلال تعاملتي مع الناس الغربيين ، فلقد وجدت وهو أمر ليس غير المتوقع ، أن ديني يعني في موقع المواجهة مع آرائهم ، فهم يموهون بين الإسلام والعنصرية ، وهذا ناشئ من حساسيتهم تجاه المساواة العرقية ، فهم مضطرون للاعتراف بالإسلام لفظياً فقط دون أن يكونوا مؤمنين بذلك في قرارة نفوسهم . . لذلك فهم عندما يلتقون « بمسلم أبيض » يختفي معه حاجز العنصرية ، ينكشف نفاقهم . ويفتضح عذم تحتلهم لممارساتي وآرائتي .

إلا أن المشكلة الأكبر التي واجهتها . إنما جاءت من المسلمين أنفسهم . فلقد نتج من معرفتي بحقيقة الإسلام الرائعة خيبة أمل كبيرة ناتجة عن اكتشافي أن الكثير من المسلمين يهملونها . وحتى المسلمون الذين يسعون للحفاظ على دينهم ، فإنهم يبدون حرصاً على تقاليد أشعر كمعتقد للدين الإسلامي أنني مستثنى منها ، وهي تقاليد باتت في معظم الأحيان أكثر أهمية بالنسبة لهم من الدين نفسه . . وهناك مثال بسيط على ذلك : حاول أن تتزوج من ابنة أحد هؤلاء وبالتالي فإن المتحول إلى الإسلام الرافض لمجتمعه السابق ، لا يقبل إلا في جزء من المجتمع الجديد . مما يتركه في فراغ لا يملك معه أن يؤمن بعض احتياجاته المشروعة في الحياة كالزواج مثلاً .

نصيحة إلى المسلمين الجدد :

بالرغم من الصعوبات المذكورة آنفاً ، فإنه بمجرد ما أن يعرف المرء

أن الإسلام هو الحقيقة فإنها تصبح صعوبات لا أهمية لها .

لكنني أود أن أنصح المسلمين الجدد بأن يركزوا أساساً على الجانب الروحي من الدين في البداية وخصوصاً الصلاة وقراءة القرآن . وهذا ما سيمنحهم الصفات الإسلامية الحقيقة التي ستحدد شخصيتهم وتجعلهم يقفون على أرض ثابتة . حتى لو كانت ممارستهم غير المتقنة للشعائر الدينية هي أكثر ما يلفت المسلمين الذين يسعون للتقرب إليهم ، فإنه يجب أن لا يدعوا مثل هذا الأمر يحبطهم . فالمسلم الجديد هو كالطفل في تعلمه لدياناته الجديدة ، والمسلمون يتوقعون منه أن يتعلم الديانة الجديدة بشكل تدريجي . زد على ذلك ﴿ إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ﴾ . ولقد رأيت بنفسى كيف يستسلم المسلم الجديد ويتخلى عن مواصلة جهاده عندما يُطلب منه أن يتبع جميع القواعد مرة واحدة ، وهي مهمة تكاد تكون مستحيلة .

القواعد هي بالطبع أمر مهم جداً ، لكن إذا كان الأساس الروحي لاعتناق المرء الدين متماسكاً ، فإن الالتزام بالشعائر الدينية يصبح أمراً أكثر سهولة .

تشجيع الآخرين على اعتناق الإسلام :

أعتقد أن الطريقة الفضلى لتحقيق ذلك تكمن في محاولة أن يجلس المرء من نفسه قدوة تحتذى أو هذا ما أحاول أن أفعله . أما الأسلوب الذي اتبعه العديد من المسلمين في العالم فيمثل عقبة جدية في وجه أن تجد الناس الحقيقة في الإسلام . . المسلمون يحتجون دائماً على الصورة السلبية التي يُصورون بها في الغرب ، وهم على حق في ذلك ، ولكن المشكلة الرئيسية تكمن في سلوكهم ، فليس هناك من فرصة حقيقية

للتبليغ في الغرب إلا إذا أصلحوا وضمهم الداخلي . فما نحن بحاجة إليه هو ، جهاد النفس ، فعندما يرى غير المسلمين النور يشع من المسلمين ، أنهم سيشعرون آنذاك أنهم مضطرون للسؤال عن الإسلام ومعرفته .

والعمل المفيد الآخر يتمثل في إنتاج الأدبيات الإسلامية ولقد ألفت كتيباً صغيراً بعنوان : « قراءة القرآن للمرة الأولى » الذي يؤمل أن يمكن غير المسلمين من استعادة تجربتي في معرفة حقيقة الإسلام من خلال قراءة القرآن^(١) .

(١) من مجلة نور الإسلام : المعدادان (٢٥ و ٢٦) السنة الثالثة رمضان وشوال ١٤١٢ هـ .

البروفسور دونالد ريكيفول الأمريكي

منذ بعث الله محمدًا ﷺ بالحق والناس - في مشارق الأرض ومغاربها - يدخلون في دين الله أفواجاً ، لأن الإسلام هو دين الفطرة . . ولأنه الشريعة السمحاء التي تبين لهم سبل الخير والرشاد وتقودهم إلى المحبة الواضحة .

وهذا أخ من إخواننا في الدين - وهم كثر والحمد لله - ، هو البروفسور الأمريكي دونالد ريكيفول رئيس تحرير مجلة « شخصيات من الراديو » ، يتحدث إلى قراء « نور الإسلام » عن تجربته على طريق الهداية والإيمان . .

إنه يحدثنا كيف انتهى إلى الإسلام بعد أن اكتشف سماحته ويسره ، من خلال بحثه الدائب عن الحقيقة . . ثمة أسباب كثيرة جذبتني ودفعني نحو الإسلام ، بعضها واضح ومؤكد ، وبعضها يستدعي البحث في أعماق أعمق النفس البشرية .

عندما رجعتُ إلى القرآن وسيرة محمد بن عبد الله ﷺ للإطلاع عليهما ، أثارت اهتمامي نقاط وأمور معينة : بساطة الدين الإسلامي

وسماحته ويسره . فهذا الدين ليس معقداً ولا فضفاضاً ، ولكنه دين بسيط
بوسع كل إنسان أن يفهمه ويستوعبه عن طريق العقل والتدبر في الخلق .
وبأخذ هذين الأمرين بنظر الاعتبار يندو الإنسان مؤمناً حقيقياً بالله تعالى .
وحين يعرف المرء خالقه ويقرّ بوجوده فإن الإسلام يعلمه : ﴿ ونحن
أقرب إليه من جبل الوريد ﴾ سورة ق ، الآية : ١٦ .

أنظر كيف يتحدث القرآن الكريم عن الله تعالى : ﴿ وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ﴾ سورة البقرة ،
الآية : ١٨٦ .

وعلى هذا ، وبناء على روح الدين الإسلامي ، فليس ثمة حاجة
لوسيط بين الله وعباده ، كما أنه لا حاجة لوجود قسيس أو رجل دين لكي
تُقبل التوبة أو لكي يتم أداء الصلوات . ﴿ والله المشرق والمغرب ، فأينما
تولّوا فثم وجه الله ﴾ سورة البقرة ، الآية : ١١٥ .

وموقف الإسلام إزاء أعدائه ومعارضيه ، سواء زمن السلم أو
الحرب ، وسواء تجاه اليهود أو المسيحيين ، والتسامح الذي قابلهما به
هما من الروعة بحيث انجذبت إلى الإسلام تلقائياً .

فكل الناس هم متساوون أمام الله رغم كل الفوارق التي تفصل
بينهم . وما من أحد مُفضل أو متفوق على الآخر بسبب جنسه أو ثروته أو
لونه . الكرامة والفضيلة فقط هما اللتان تمنحنا التفوق والفضل .

والأغنياء ملزمون شرعاً بدفع الزكاة عن أموالهم للفقراء
والمعوزين .

ولا يعيق الإسلام المؤمنين به عن التقدم في طريق الحضارة
والرقي . بل يأمرهم أن يتبعوا بشكل عقلائي ركب التقدم والثقافة .

والإسلام لا يحرم الإفادة من الحياة ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ القصص ، الآية : ٧٧ . ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ الأعراف ، الآية : ٣٢ .

نعم في الإسلام ثمة كثير من المزايا - كالبساطة والطيبة - ، سواء على صعيد الإيمان والعبادة أم على صعيد التعامل ، دفعني إلى الدخول في الإسلام . ولا أستطيع ذكرها كلها هنا .

وينبغي عليّ - قبل أن أختم كلمتي هذه - أن أشير إلى اهتمامي الفائق بشخصية محمد ﷺ وعظمته . فكل من يعكف على دراسة شخصيته وسيرة حياته - سواء على صعيد الدعوة أم على صعيد شخصيته الروحية خلال فترة الجهاد أو في ساحات الوغى والقتال - يعترف بلا تردد بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وأن الرسالة التي حملها إلى البشرية هي الأفضل والأقوم بين كل الرسالات السماوية الأخرى .

وعليه ، وتيمناً بالرسول الأعظم ﷺ فقد اخترت اسم (محمد بن عبد الله) إسماء لي بدل اسمي السابق^(١) .

(١) عن مجلة نور الإسلام : المعدادان (١١ و ١٢) السنة الأولى شعبان ورمضان ١٤٠٩ هـ .

سنريد سمارت الأمريكي

لقد طُلب إليّ أن أحدّد الأسباب التي دفعتني إلى تغيير ديني وإلى الدخول في الإسلام . ويسعدني جداً أن أجيب طلب أولئك الذين أخذوا بيدي في هذا الطريق الصعب ، وآمل أن يستمروا في ذلك .

إن الكلام بهذا الأسلوب في يومنا هذا ، قد يبدو للبعض ضرباً من الرفض ، أو من النكوص إلى الوراء .

ولكي أوضح موقفي بشكل أفضل ، اسمحوا لي أن أقول بأن مصطلحات « نكرص » ، « تقدّم » المتناقضتين كانت تسبّب لي ضيقاً شديداً . وفي رأيي أن هذا التعبير - كما يستخدم بالإنكليزية - هو مشوّش وغير دقيق .

فأنا أستطيع أن أبني شخصيتي بنفسي ، كما أرغب ، دون أن أحتاج إلى مساعدة الآخرين . وفضلاً عن ذلك ، كنت قد نُشئتُ على أساس إيمان قديم يؤكد بأن الله تعالى يساعد أولئك الذين يبذلون جهداً لمساعدة أنفسهم (ساعد نفسك ، تساعدك السماء) . . ولذا فإنه لمن الصعب عليّ أن أبني آرائي وقناعاتي الدينية على أساس قناعات الآخرين .

ومن البديهي أنه لكي أعرف الحقيقة بشكل أفضل ، يتعين عليّ أن أقيم صلاتٍ مع أناس سبق لهم أن سلكوا هذا الطريق ، وبالتالي فهم يعرفون عنه أكثر مما أعرف . . . وذلك بغية الدخول معهم في نقاش .

فقبل أعوام عندما كنت أعمل ، وفي ذات الوقت كنت أدرس في جامعة « الينويس » ، تعرّفت على شاب مصري . وقد أهداني هذا - بمناسبة عيد ميلادي - نسخة من القرآن الكريم بغلافٍ جلدي أنيق . وكان هذا المصحف مكتوباً باللغة العربية . وحيث أنني كنت طالباً في قسم اللغات ، وأعتقد أن على كل امرئ أن يعرف كيف يتكلّم الآخرون وماذا يقولون ، فقد أعربت عن رغبتني في معرفة محتويات القرآن .

وعليه فقد قرّرت تعلّم اللغة العربية كيما أستطيع قراءة هذا الكتاب السماوي المقدس بنفسني .

لقد كنت دائماً أحترم وأقدس الكتب السماوية المقدّسة والدينية ، بينما يفتقر المسيحيون إلى هذا الاحترام تجاه هذه الكتب المقدسة .

وأذكر أن مناقشات حامية الوطيس قد دارت بيني وبين أصدقائي المسيحيين حول هذا الأمر .

وكنّت قد وضعت مصحفني بعناية بالغة في مندبل ثم وضعته في حقّيتي . وهكذا كنت أحمله معي دائماً ، مع أنني لم أكن أفهم منه شيئاً على الإطلاق (لجهلي بالعربية) .

وكنّت أرثاد من أن لآخر الجمعية الإسلامية في الجامعة ، وكثيراً ما كان بعض أعضائها يدعوني لحضور لقاءاتها وندواتها . وما كانت هذه اللقاءات لتسعدني فحسب ، بل أتاحت لي أيضاً - إلى حدّ ما - فهم

ومعرفة المعتقدات والأفكار الإسلامية .

إن المسيحية تدّعي الأخوة والإحسان والرأفة ، ولكن بمقارنة هذه الأطروحة بسلوك مسلمي مدينة « البويس » ، ويتوآدهم وتراحمهم فيما بينهم ، فإنّ الأطروحة المسيحية تبدو بلا محتوى . فذلك الشخص الذي كان يعرض خدماته لمرافقة صديق من الأصدقاء خلال ليلة عاصفة ، كان مسلماً . . وذلك الذي كان يجمع التبرعات والمساعدات لصديق بغية مساعدته على إنهاء السنة الأخيرة من الدكتوراه ، كان مسلماً . نعم . . . فحين فقد أحد المسلمين كلّ ثروته أو مذكراته وسقط في براثن الفاقة والعوز ، يادر ١٨ مسلماً إلى مساعدته لكي يُقبلوا عشرته .

لقد كنتُ ألاحظ كل هذه الحقائق والمعطيات اليومية ، وكنت أصغي إلى بعض الإذاعات العربية .

وذات مساء ، دُعيت إلى العشاء في دار أحد الأصدقاء . وفي تلك الأمسية ، كان المدعوون يرتلون آيات من القرآن الكريم ، وكنت أشعر بالبهجة والطمأنينة وأنا أستمع إلى ترتيلهم . وكنت يومئذ أحد الأعضاء الأساسيين للمنظمة المسيحية الخيرية ، وكنت أحضر القداس كل يوم أحد .

وعندما بدأت بالدراسة والاطّلاع ، تبذت لناظري ثغرات في العقيدة المسيحية ، ولذا فقد توقفت عن المشاركة في جوقة المرتلين في الكنيسة . وقد اتخذت هذا القرار ذات يوم ، عندما كنت أنامل فكرة التثليث المسيحية . فالكتب المسيحية لم تُفلح قط في إقناعي بشكل قوي .

ثم إنني أخذت في المواظبة على حضور لقاءات الإخوة المسلمين

وبفضل إيضاحاتهم فهمت بأن الله تعالى أحد ، لم يلد ولم يولد . وهي حقيقة يؤكدتها القرآن الكريم في عدة مواضع . وقد عثرت بعد شيء من البحث - مثلاً - على الآية التالية : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء ﴾ [الزمر ، الآية : ٤] .

لقد وجدت أن هذه الآية منطقية جداً . وعليه فقد كان بوسعي أن أقر بأن المسيح ﷺ هو نبي من أنبياء الله . كما كنت منذ حين انطلقت في حوارٍ مع بعض المسيحيين من مفهومهم للصلاة ، إذ كيف يعتبرونها صلة وصل بين الله والإنسان ؟ ولديّ الآن ثقة تامة بأنني أستطيع التوجه بنفسني إلى الله تعالى ، وسيجيب طلبي ودعائي ، إن شاء الله .

وفضلاً عن ذلك ، لم يكن بوسعي قبول فكرة الصلب . . فلماذا يتعين على رجل أن يضحي بنفسه مقابل أخطاء وآثام ارتكبها الآخرون ؟ بل وأنا أشعر بالريبة تجاه طبيعة هذه المشكلة ، إذ لماذا لا توجد أية وثيقة تاريخية حول هذا المعتقد ؟

وفي العام التالي وُجهت لي دعوة لحضور اجتماعات أحد المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في مدينتي ، وهو مؤتمر شاركت في أعماله جمعيات طلابية إسلامية من أمريكا وكندا ، وقد لاحظت كيف يستطيع المسلمون من مختلف البلدان والقارات والأجناس أن يعملوا سوياً على مستوى شامل عام ومحدد .

وقد أثرت هذه اللقاءات في نفسي أليماً تأثيراً ، حتى أنني ذهبت بعد عدة أشهر إلى كاليفورنيا ، وذلك لتقديم بعض الخدمات للجمعية ، وقد توصلت بالفعل إلى تحقيق نتائج مهمة حتى أنني عُيِّنت ، قبل عودتي ، عضواً فخرياً في هذه الجمعية . ثم واصلت دراستي الجامعية في

كاليفورنيا . وبعد الاجتماع الذي نُظِّم في صيف تلك السنة ، أدركت بأنه كان لديّ متسع من الوقت لإنجاز دراسات في هذا المضمار . وهكذا عكفت على دراسة القرآن الكريم ، وقررت أخيراً أن أهجر إلى الأبد العقائد المسيحية ، أي تلك العقيدة التي نشأت عليها . . ثم عرض عليّ أحد الأصدقاء أن أكون عضواً في جمعيته الإسلامية .

وأنا شاكر لله تعالى ، جلّ وعلا ، الذي أضاء دربي وهداني . . كما وأشعر بالعرفان والتقدير للجمعية ومنتسبيها الذين ساعدوني خلال رحلة البحث عن الحقيقة^(١) .

(١) عن مجلة نور الإسلام: العددان التاسع والعاشر، السنة الأولى جمادى الأولى وجمادى الثانية ١٤٠٩ هـ.

فاضلة الفرنسية

س - هل لك أن تعطينا فكرة عن حياتك السابقة ؟ والمجتمع الذي كنت تعيش فيه ؟ وكذلك الجو العائلي ؟

ج - ولدت في جنوب فرنسا ، لكنني نشأت وترعرعت في شمال فرنسا ، في منطقة تعجّ بالمهاجرين العرب ، ضمن أسرة عمّالية فقيرة . عائلتنا تتألف من ٦ أشخاص : ولدين وبنتين وأمي وأبي طبعاً . والذي كان ملحداً أما والدتي فكانت لا تهتم بأمور الدين المسيحي الذي كنّا ننتمي إليه ، إلا ببعض الطقوس التي كانت تفرض علينا من قبل المحيط العائلي الكاثوليكي المحافظ . إختوتي كانوا كثيرهم من الفرنسيين ، يهتمون بأمور دنياهم فقط . تعلّمت في مدرسة للراهبات حتى سن الرابعة عشرة ومن ثم تابعت في مدرسة رسمية (علمانية) حتى السادسة عشرة من عمري ، حيث انتقلت للعمل في عدة مجالات ، لأن وضعي الاجتماعي كان يفرض عليّ أن أعيّل نفسي بنفسي .

س - درست في مدرسة مسيحية ، فهل كان لها تأثير ما على معتقداتك ؟ أو بالأحرى ماذا كان تأثيرها على توجهك الديني ؟

ج - عندما كنت في المدرسة الكاثوليكية هذه كان ما جذبني هو قصة السيد المسيح الذي هُذَّب واضطُهد لأنه بشر بما يعتقد ، كانت حياته تشير مشاعري ، لذلك كنت أحب مادة الدين ، كروايات وقصص لا كتطبيق ، لأن ما كان يقوم به الجميع في هذه المدرسة من تمييز وتفرقة بين الطلبة تبعاً لانتماثلهم الطبقي (فالغني كان يُحترم أما الفقير فكان يحتقر) ترك أثراً كبيراً لديّ تجاه هؤلاء وتجاه ما يبشرون به ، كما ولّد لديّ نفوراً من الدين أو بالأحرى نفوراً من أن أكون كهؤلاء الراهبات خاصة . لذلك انتقلت إلى المدرسة العلمانية حيث لا وجود للدين ، وهنا يشعر المرء بالراحة . لأن الكل تقريباً من نفس الطبقة الاجتماعية . إذن لم يكن لديّ توجه ديني ، لأن الدين لم يكن يعنيني في شيء .

س - هل كنتِ نسمعين بالديانة الإسلامية ؟

ج - لقد تعرّفت على بعض « المسلمين » منذ كنت صغيرة ، لأن المنطقة التي عشت فيها كانت تضم الكثير من المهاجرين العرب . كنت أسمع منهم أنهم مسلمون . . ولكن بما أنهم كانوا يقومون بكل ما يقوم به بقية سكّان المنطقة من الفرنسيين (شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، والسفور ، والعلاقات غير الشرعية - الزنا -) فلم أكن أميزهم عن غيرهم . بل كنت أميزهم بمعاملتهم السيئة لزوجاتهم ، وأولادهم ، وتصرفاتهم غير المناسبة اجتماعياً وهذه ليست نظرتي أنا فقط بل نظرة كل الفرنسيين هناك تقريباً ، إذن أنا لم أسمع بالدين الإسلامي من قبل كعقيدة وتعامل وحقوق وواجبات وأخلاق .

س - إذن كيف تعرّفتِ على الإسلام ؟

ج - كل شيء بدأ عندما أسلم أخي الذي كان يعمل في معمل حيث

يوجد الكثير من العمال العرب المسلمين ، هناك تعرّف على رجل تونسي في الأربعين من العمر ، كان يؤدّي صلاته في المعمل ، فلفت انتباهه وسأله عمّا يفعل كل يوم ، وما هذا الذي يقوم به ، ولماذا ؟ .

فما كان من هذا الرجل إلا أن شرح له ذلك ودعاه إلى منزله ، وأخذ يسمعه آيات من القرآن الكريم بصوت أحد المقرئين فأعجب جداً بهذا الصوت المعبر ، وظل يتردّد على هذا الرجل حتى أسلم (وقد أطلق على نفسه اسم مصطفى) طبعاً أخي لم يقف مكتوف اليدين أمامنا - أنا وأخي الأكبر بل أخذ يحدثنا عن الإسلام وعن الرسول ﷺ وعن الله عزّ وجلّ . كنت أحب الاستماع إليه كثيراً ، لكن في الرابعة عشرة هناك أمور دينوية تشغلنا وتجذب عقولنا ، لذلك لم أهتم بشكل جدّي بالموضوع . بعكس أخي الأكبر الذي أسلم وأطلق على نفسه اسم حمزة .

سافر شقيقاي مصطفى وحمزة إلى (سورية) لدراسة العلوم الدينية لمدة سنة كاملة . طبعاً هذا البعد أنساني كل ما كانا حدّثاني عنه . لكن لن أقول أن مناقشاتهما معي لم تجد نفعاً ، بل بالعكس فقد أقتعاني بفكرة وجود الخالق الذي هو الله تعالى . وبعد عودتهما من (سورية) كرّرا عليّ الكلام والمحادثات ، وهنا أخذنا يحدثاني عن الإسلام وشرعته السمحاء التي تهدف إلى إقامة العدل والمساواة بين الناس . ثم ذهبت معهما إلى باريس حيث التقينا بعدد من الأخوة المؤمنين ، وتعرّفت منهم على الكثير من مبادئ الإسلام ، وحصلت على أجوبة لكل الأسئلة التي كانت تدور في خاطري ، وشعرت أنه من الضروري الدخول في هذا الدين القيم الذي يحفظ حق الإنسان ، ولا يقبل بأي شكل من أشكال الظلم والاستكبار ، ويدعو للمساواة والعدالة .

وأسلمت لله عزّ وجلّ ، وبدأت بتطبيق تعاليم الدين تدريجياً :

تعلمت الصلاة - باللغة العربية طبعاً - وبدأت بالصيام وأخذت أتعلم بعض أحكام الطهارة والنجاسة والتقليد وكل ما يتعلق بالحياة اليومية ، كما أخذت أتردد إلى بعض المراكز الإسلامية في باريس للاحتكاك أكثر بالأخوات المؤمنات .

س - هل تعلمت اللغة العربية ؟

ج - كلا ، لم أتعلم اللغة العربية ، إلا في الصلاة فقط ، ولكن سأحاول ذلك بإذن الله .

س - ذكرت أنك تؤدّين فريضة الصيام ، فهل كان صعباً عليك أداء هذه الفريضة بادية الأمر ؟

ج - عندما علمت أنه من الواجب أن نصوم شهر رمضان ، حاولت الالتزام بهذا قدر المستطاع ، طبعاً لا يخلو ذلك من الصعوبة ، ولكن بعون الله وبالإرادة القوية ، تمكنت من أن أقوم بهذا الواجب العظيم .

س - بعد اعتناقك الإسلام ماذا كانت ردة فعل أهلك ومجتمعك ؟

ج - « خلقت مسيحية ويجب أن تبقي مسيحية » هذا ما كانت تردده والدتي ، وكانت تسألني : لماذا تغيرين دينك ؟ وما هذا الذي تقومين به ؟ لكن ما أزعج الجميع هو التزامي بالحجاب . لم يقبلوا هذا أبداً ، حتى أنه في بداية دخولي الإسلام لم أضع الحجاب مباشرة بل وضعته بعد فترة قصيرة وعندما كنت أذهب إلى قريتي حيث كل الأصدقاء السابقين والأقارب ، كان صعباً عليّ أن أضعه في البداية لكن في النهاية كان لا بد أن أواجه الجميع وأفرض عليهم لباسي هذا ، حتى ولو لم يعجبهم لأنني كنت مقتنعة به . وكان لزوجي من شاب مؤمن أثر كبير في مساعدتي على مواجهة ردة فعل أهلي ومجتمعني ، حيث كان يذهب دائماً معي

لزيارتهم .

س - ماذا وجدت في الإسلام من مميزات يختلف بها عن غيره من الأديان ؟

ج - ما جذبني في الإسلام هو العدالة والمساواة ، فكل الناس سواسية الفقير منهم والغني ، السادة والعامة ، كلهم متساوون . هذا التواضع لم أعرفه إلا في الإسلام ، كما تعرّفت في الإسلام أيضاً على الاطمئنان الروحي لأنه ذلك الدين الذي يعالج كل شؤون الحياة : كلما طرحتم سؤالاً أجده جواباً . . . ولا يوجد فيه تناقضات أبداً . وكوني امرأة ، أعتبر أن الوضع المثالي والقيمة المثالية للمرأة هو ما أعطتها إياه الإسلام ، فكرمها أحسن تكريم ، وأنا أعتبر الإسلام الدين الكامل الذي يجب على كل إنسان أن يتبعه ، لأنه الحق بعينه .

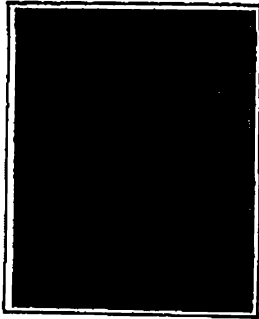
س - كيف وجدت حياة المسلمين في لبنان . . من ناحية تطبيقهم لهذا الدين الحنيف (الإسلام) ؟

ج - للأسف هنا أرى قسماً كبيراً من المسلمين يفتشون عن الدين لحل مشاكلهم ولكن لا يطبقونه في البداية حتى لا يقعوا في المشاكل أ فهم هنا يخلطون بين التقاليد والدين ، قد يفضلون بعض العادات والتقاليد على الأحكام الدينية طبعاً أنا لا أنفي وجود أخوة مؤمنين وأخوات مؤمنات ، لكن هذا قليل جداً بالنسبة لطموحنا وآمالنا كمسلمين . . فما نريده هو الإيمان والأخلاق والعمل الصالح والإنسان المسلم النموذجي .

كما أتمنى من المرأة المسلمة هنا أن تعي دورها وأهميته ، وأن تطالب بحقوقها التي منحها إياها الإسلام وأن لا تنسى واجباتها طبعاً . وعلى الرجل أن يوفر الوقت الكافي لزوجته حتى تنمي نفسها ثقافياً ،

وتتطور وتتابع كل ما يجري حولها من أحداث ، وألا يتركها للعمل المنزلي فقط الذي قد تصرف فيه كل وقتها من الصباح وحتى المساء فالمرأة الواعية تستطيع أن تقوم بدور التربية لأولادها أفضل بكثير من المرأة العادية غير المثقفة . كما أطلب من نفسي ومن كل الأخوات الاقتداء بفاطمة الزهراء عليها السلام . كما أطلب من الرجل الاقتداء بالرسول ﷺ . . . والحمد لله . . رب العالمين ^(١) .

(١) مقابلة مع مجلة نور الإسلام: العددان الخامس والسادس - السنة الأولى ذو الحجة ومحرم ١٤٠٨/١٤٠٩ هـ.



ماريا سلفادور الإسبانية

التقتها مندوبة « نور الإسلام » حيث تقيم مع زوجها اللبناني الدكتور محمد بشير وأسرتهما في منزلهما الكائن في ضاحية بيروت الجنوبية وأجرت معها هذه المقابلة :

س - نودّ في البداية أن نعرّفنا على نفسك وعلى ظروفك العائلية والدينية قبل احتناك للإسلام ؟

ج - نعم ، أنا إسبانية ولدت ونشأت وتعلّمت في مدينة (برشلونة) الإسبانية الشهيرة ، وقد كنت أعيش ضمن عائلة صغيرة تتكوّن من ثلاثة أبناء بالإضافة إلى الوالدين . . حياتنا كانت عادية على الصعيد الاجتماعي .

أما على الصعيد الديني ، فصحيح أننا كنا ننتمي للدين المسيحي بحكم المجتمع والبيئة ، إلّا أننا جميعاً وكأكثر العائلات لم نكن نهتم بأي من تعاليمه ، ولم نكن نمارس أي طقس من طقوسه الدينية وهذا عائد إلى أن الدين قد فقد الاهتمام به في (أوروبا) بشكل عام إلّا في بعض المظاهر الخارجية .

س - ماذا كانت فكرة العائلة والمحيط عن الدين الإسلامي ؟

ج - مع أن إسبانيا في عمقها وتاريخها كانت بلداً إسلامياً لعدة قرون ، فإنه وبسبب التجاهل المتعمد لهذا التاريخ لم نكن نسمع بالإسلام أبداً ، ولم نعرف عنه شيئاً ، ولقد تفاجأنا تماماً حين تعرّفنا إليه وعلى ما يتضمن من عقيدة سامية وتشريع ، إذ كان يسود في محيطنا فكرة أن الدين الإسلامي دين غير جدير بالاهتمام ، دين متخلف ، وأن العرب والمسلمين قوم متخلفون بدائيون ، دينهم دين إرهاب وتمعصب وهذا الفهم كان بسبب التوجيه الخاطئ المتعصب المقصود .

س - المناهج التعليمية لديكم ألم تكن تشير إلى الدين الإسلامي ؟

ج - مطلقاً ، لم تُمن مدارسنا سابقاً بالإشارة إلى هذا الدين أو التعريف عنه - هذا سابقاً - أما الآن فقد تغير الوضع تماماً ، حيث أصبحت المناهج تتضمن معارف عن الإسلام والعادات والتقاليد الإسلامية ، وهذا يرجع إلى الانتشار الإسلامي الجديد والكثيف بيننا .

س - حدّثنا بشكل مفصّل عن الظروف التي تعرّفت من خلالها إلى الإسلام وعلى دوافع اعتناك له ؟

ج - في البداية كانت تربطني علاقة صداقة قوية بعدد من الشبان والشابات الإسبان الذين كانوا يعتنقون الدين المسيحي شكلياً مثلي ، ثم بعد فترة وجيزة ، بدأت أفاجأ حين التقى بهم بالتغيرات التي أخذت تطرأ على طرق تفكيرهم وسلوكهم ، وتوصلت في النهاية إلى معرفة السبب ألا وهو اعتناقهم للدين الإسلامي بعدما أطلعوا عليه . وقد صدمني هذا الأمر ودفعني إلى كثير من التساؤلات خاصة بعد ارتداء بعض صديقاتي الزي الإسلامي والحجاب . فأخذت لاحقهنّ بكثير من الأسئلة عن سبب هذا

التصرف وجدوى هذا الحجاب . فانهصرت الإجابة عندهم بأن أفعل مثلهم وأتعرف على الدين الإسلامي من خلال الممتعين إليه ، وبعد عدة محاولات من صديقاتي بدأت أتردد معهن إلى المركز الإسلامي لأهل البيت (عليه السلام) في (برشلونة) ، وهناك كنت أستمع إلى بعض الإخوة الذين كانوا يبينون المفاهيم والعقائد الإسلامية ويجرون النقاشات حول الإسلام . ولقد جذبني القرآن الكريم بشكل خاص وبدأت قراءته باللغة الإسبانية . ولقد أحببت كثيراً ودائماً الذهاب إلى المركز لتلقي الدروس الإسلامية . فبدأ ينمو في صدري نور جديد ويدخل في أعماقي وقد ارتحت له كثيراً وسررت جداً بهذا الإيمان الجديد .

ولكن صراعاً بدأ ينشأ في داخلي ، من جهة حب اعتناق الدين الإسلامي ومن جهة أخرى الخوف من مواجهة أهلي ومجتمعي . فكنت خائفة وفرحة في آن فقد أصبحت أريد هذا الدين بكل قواي . ولكن كان من الصعب علي أن أجاهر بالالتزام به على أنني عازمت على اعتناقه سراً بدون معرفة أهلي ، وبدأت أطبق الكثير من شرائعه كالامتناع عن أكل اللحوم غير الشرعية ، مما دفع والدتي إلى سؤالي عن السبب وكان التبرير بأنني لا أرغب في أكله دون أن أزيد . . فكان أهلي يفاجأون دون أن يفهموا شيئاً مما طرأ لي .

وبعد فترة غير طويلة لم أعد أقدر على إخفاء اعتناقي للإسلام لأسباب كثيرة منها : عملية النجاسة والطهارة في المأكل والملبس ، الوضوء ، القيام بالصلاة في أماكن غير طاهرة . فاعترفت عندها لأهلي بأنني اعتنقت الدين الإسلامي ولكنهم في أول الأمر لم يفهموا شيئاً من قولني ذلك لأنهم ما كانوا يعلمون بماهية الدين الإسلامي وما يتطلبه من أتباعه . وبعد ذلك مررت بفترة عصبية مع أهلي لأنهم وقفوا في وجهي

يعارضون قضية إسلامي خاصة ارتدائي للحجاب ، حيث اعتبروني خارجة على المدنية .

ثم ما لبثت أن تعرّفت على زوجي (الدكتور محمد بشير) في المركز الإسلامي حيث كان يعطي دروساً بالفقه والتجويد واللغة العربية . ومررنا بفترة طويلة دون أن يكون هناك علاقة غير عادية بيننا . . . بعدها فاجأني بطلبه الزواج مني في الوقت الذي كان يكمل فيه دراسته للطب . ولما عرف أهلي بالقصة سرعان ما وافقوا عليه ، ذلك لأنهم كانوا يعرفونه وكانوا يحبون بأخلاقه وبعلمه . حصل هذا بعدما خفّت حدة المشاكل بيني وبين أهلي وأصبحوا يتفهمون وضعي بحكم الواقع ، فباركوا زواجي منه ، وهذا وفر لي جواً مريحاً كي أمارس التزامي بالإسلام كما هو المطلوب .

وما لبثنا أن انتقلنا إلى لبنان بعد أن أنهى زوجي دراسته لنستقر فيه نهائياً .

س - ما الشيء الذي لفت نظرك كمسيحية سابقاً في الدين الإسلامي ؟

ج - الروحانية الإلهية الصافية والوضوح ، والسهولة في فهم عقيدة الإسلام وتشريعاته الواقعية هي الأمور التي أشعلت قلبي بهذا الدين ، وهذا ما لم أكن أحسّ به قبل الإسلام . . . والصلاة خاصة بمعناها ومغزاها ، حيث الحضور والاتصال المباشر بالله تعالى بدون وسطاء ، قد جذبني وجعلتني أحسّ معنى الدين وضرورته . كنت أقارن ذلك بما كان يحدث لنا ونحن صغار حيث كنت طفلة في الثامنة من عمري وكان الأب في الكنيسة يقابلنا ويطلب منا الاعتراف بالأخطاء التي ارتكبتها . فما هي

يا ترى الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها ابن الثامنة ١٩؟ والتساؤل كان لماذا علينا الاعتراف له هو ؟ فكنا نرتعب ونخاف منه الشيء الذي كان يبعدنا عن هذا الدين .

س - من هي الشخصية الإسلامية التاريخية التي أثارت انتباهك ؟

ج - كل الشخصيات الإسلامية الرائدة النقية تأثرت بها : بدءاً من الرسول الأعظم ﷺ إلى فاطمة الزهراء ﷺ والإمام علي ﷺ وإلى جميع أهل البيت ﷺ والصحابة الطيبين ، حيث كان لكل واحد منهم دور كبير في نشر الإسلام ، خاصة فاطمة الزهراء ﷺ سيّدة نساء العالمين التي كان لها دور كبير في المسيرة الإسلامية بالنسبة للمرأة . ولشدّ ما تأثرت بمأساة « عاشوراء » ووقعة كربلاء ، حيث دخلت هذه الثورة إلى أعماق روحي ، وزادني تعلقاً بهذا الدين وبآل البيت ﷺ وخاصة بأبي عبد الله الحسين ﷺ ذاك الرجل العظيم الذي ذبح وعذب مع آل بيته فداءً للدين الإسلامي .

س - إلى أي مدى أحسست بالطمأنينة والراحة الداخلية بعد اعتناقك الإسلام ؟

ج - عرفت الكثير من المشاكل في حياتي ، وكلها اختفت تدريجياً بعد معرفتي بالإسلام والالتزام به وإحساسي القوي بالتسليم لأمر الله ومشيئته .

س - على صعيد العلاقات الاجتماعية هل تشعرين بالفارق لدى ملاحظتك لعلاقة المسلمين ببعضهم مقارنة مع العلاقات الاجتماعية القائمة في الغرب ؟

ج - نعم ، خاصة على صعيد المرأة ، حيث أن نظرة المجتمع

الغربي للمرأة فيها تمييز وتجاهل لدورها الإنساني ، إذ تفضل المرأة الجميلة على ما عداها ، حيث تتاح أمامها كافة المجالات ، وهذه نظرة غير إنسانية تشعر الكثيرات بالكآبة . بينما نجد الإسلام قد أعطى المرأة حقها كاملاً في كل شيء إذ يعظم المرأة ويحترمها ويقر المساواة بين جميع النساء مع إعطائهن حرية مدروسة ومنطقية .

س - على ضوء تجربتك ما هي الطريقة الأفضل التي يمكن للداعية المسلم أن يتبعها عندما يريد أن يدعو للإسلام في الغرب ؟

ج - لا بدّ أن يضع الداعية في حسابه أولاً صعوبة الدعوة في الغرب بسبب الإشاعات والدعايات المضادة التي تصل دائماً إلى بلادنا عبر وسائل الإعلام عن الدين الإسلامي ، وهي في غالبها مشبوهة وباطلة ، ولكنها تجعل حاجزاً بين الإنسان الغربي والإسلام ، فبالصبر والقُدوة الصالحة وقوة الإقناع يمكن أن ينال الداعية حقاً من النجاح ، وهنا عليه أن يفهم عقلية الإنسان الغربي حتى يستطيع أن يأتيه من الباب الصالح ليحصل على نتيجة طيبة . ومن الواجب أن توجد في كل بلد أجنبي غير مسلم مراكز إسلامية ثقافية مفتوحة تساعد وتمهّد للناس سبل التعرف على الإسلام .

س - كيف نفقّمين وضع المرأة المسلمة اليوم ؟

ج - المرأة هي ركن أساسي في المجتمع الإسلامي ، فالمرأة أساس البيت الصالح والمجتمع الصالح ، فمن واجباتها تربية أطفالها تربية حسنة ، وأن تشجع في البيت جوّاً إسلامياً سليماً يحصن العائلة من العوامل المضادة .

وأعتقد أن المرأة المسلمة أصبحت واعية جداً اليوم لهذا الدور

التربوي الإسلامي الملقى على عاتقها ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن ما يدعو للأسف أن نجد كثيراً من نساء المسلمين قد غرّتهن الحياة الغربية الفاسدة المفسدة فأصبحن يقلدن المرأة الغربية في كل شيء . . . وهذا يتطلب عملاً مضاعفاً من الجميع كي يمكن إعادة هؤلاء إلى طريق الصواب الذي رسمه لهن الإسلام .

س - هل من كلمة أخيرة تحبين توجيهها ؟

ج - أدعو الله تعالى كي يفتح عقول وقلوب الناس هنا وهناك على طريق الإسلام لأنه الوحيد الذي يتشمل الإنسانية مما بها من مشاكل ومصائب وأمراض ويفتح أمامها درب السعادة في الدنيا والآخرة ، كما أدعو العاملين للإسلام كي يضاعفوا جهودهم لنصرة هذا الدين ونشره في الآفاق وأن يبقوا معتصمين بالوحدة والأخوة الإسلامية^(١) .

(١) مجلة نور الإسلام: المعدادان (٣٧ و ٣٨) السنة الرابعة محرم وصفر ١٤١٤ هـ.



زينب كسالس الإسبانية

س - مع اعتزازنا باللقاء مع أمثالك من الذين استجابوا لنداء الفطرة الإلهية ، ونحزروا عن الحق واهتدوا إليه ، وتحملوا تبعاته المكلفة ، نودّ أولاً أن تبيني لنا ظروف بيتك ونشأتك قبل اعتناك للإسلام ؟

ج - يصعب على المرء أن يتحدث عن مجتمع كان يشكّل هو جزءاً منه لأنه سيفتقد إلى الموضوعية ، وإن كان هذا الكلام سيثير بعض الاستهجان ، أقصد الحديث عن المجتمع الغربي ، إنّ عقلي وروحي أصبحا الآن مشدودين للإسلام وللمجتمع الإسلامي ، ولكنّ جذوري ترتبط بنظم المجتمع الذي فيه نشأت . وأرى أن أموراً كثيرة فيه ليست متعارضة مع الإسلام أو مع ما يدعو إليه الإسلام . ربما لأنّ عائلتي ليست صورة كاملة عن المجتمع الغربي ، ولا هي نموذج لعائلة غربية كما يتبادر للأذهان ، أو ربما لأنّ بُعدي الآن عن هذه العائلة يجعلني أرى إيجابياتها ، فحتى في اللحظة المصيرية لتحولي إلى الإسلام ، ورغم موقف أهلي المضاد ، كنت أشعر باحترامهم وحمايتهم لي .

س - كيف كانت طبيعة علاقاتك الأسرية ؟

ج - أعتقد أنه منذ ولادتنا أو ربما قبل ذلك كنا بالنسبة لأبي أهم شيء في الوجود ، لم يكن قاسياً ، بل على العكس كان محباً ومتفهماً ، ولم يتخذ أي موقف تجاهنا ارتجالاً ، بل كان يفكر دائماً بمستقبلنا . عندما أقول المستقبل لا أقصد فقط الناحية المعيشية الاقتصادية بل المستقبل لأشخاص بالغين واعين مما كان يسمح لنا باتخاذ القرار بحرية ، وبناء حياتنا . لهذا ومع أنني ذهبت إلى مدرسة للراهبات منذ الثالثة من عمري ، وأمضيت هناك خمسة عشر عاماً من حياتي ، فقد استطعت في لحظة معينة اتخاذ القرار باعتناق الإسلام دون تدمير كل شيء ، ودون كره مني لما أو لمن سبق من الأمور والأشخاص الذين كانوا حولي وخاصة والدي . فمع أن هدفهما كان مختلفاً إلا أن تربيتهما وما علماني إياه على استعمال عقلي وتهذيب طبعي خدمني كقاعدة وأساس لأتمكن من سلوك الطريق الثابت والنهائي في حياتي ألا وهو طريق الإسلام (والحمد لله) .

بدأت بالحديث عن عائلتي ولم أقل كيف هي . . عائلتي من الطبقة المتوسطة العليا عشنا في أحسن شوارع (برشلونة) في بيت كبير نسبياً ، جذتي كانت تعيش معنا لأن أبي كان ابنها الوحيد ، كان هناك خادمة في المنزل وهذا ما جعل أمتي تنفرغ لنا بالكامل .

س - أنت طبيبة متخرجة من الجامعة . . ولكن كيف أمضيت سنواتك الدراسية في المدرسة ؟

ج - قلت سابقاً إنني ذهبت إلى مدرسة الراهبات في سنّ الثلاث سنوات ، لقد أرسلنا أبي إلى تلك المدرسة بعد أن فكر جيداً وقارنها مع باقي المدارس ورأى أنها الأفضل . تلقّيت في هذه المدرسة تربية جيّدة من الناحية الثقافية والروحية . تربية مدعومة بالحياة العائلية بحيث لم يكن

هناك أيّ تضارب بين البيت والمدرسة ليجعلني أرتبك أو يدخلني الشك . وهكذا أمضيت طفولة وشباباً هادئين . . كنت أشعر خلالهما بالحنان والتجانس ، أقول أشعر لأن عبارات الحنان بين الإخوة أو بين الأولاد هناك نادرة جداً ، أما في عائلتي فكان كل شيء يسير بانتظام حتى القبلات عند اللقاء والوداع أو قبل الذهاب إلى النوم .

هذا كلّه كان يبدو لي الصحيح . أما الآن فيحزنني أن أرى أنّ العلاقات الأسرية القائمة في المجتمعات الإسلامية ، ليست ودية كما ينبغي كما ألمس ذلك في المجتمع اللبناني ، وأن المشاعر كثيراً ما تكون محجراً عليها ، وكأن هذا الواقع المسيطر في الغرب غالباً قد أصبح سمة المجتمعات هنا ، وهذا ابتعاد عن روح الإسلام وتعاليمه الاجتماعية والإنسانية الفذة .

س - كيف يمكنك أن تضعينا في أجواء الظروف والدوافع التي حَدَّث بك إلى اعتناق الإسلام ؟

ج - أعود إلي حياتي ، فلقد تركت المدرسة في سن ١٨ سنة ، ودخلت لأدرس الطب في جامعة برشلونة ، وهو ما كنت أحبه منذ صغري . . في السنة الثانية كانت في الصف مجموعة من الطلاب اللبنانيين يُلفتون الانتباه بسلوكهم « الغريب » وطريقة تعاملهم فيما بينهم . تعرّفت بطريق الصدفة على أحدهم (محمد عساف) الذي أصبح زوجي ، ثم على مجموعة أخرى من اللبنانيين . كانت المرة الأولى التي أتكلّم فيها أو أتعرف على مسلم . في البداية كنت خائفة أو مرتبكة في علاقتي مع هؤلاء الناس ، لأنّ ما كنت أعرفه وأسمعه عن المسلمين أمور تدعو للخوف منهم أو أنهم أغبياء ! فكنت أقطع إلى الرصيف الآخر إذا شاهدت شخصاً بملامح عربية ، لأن العربي كان عنوان الهمجية والسرقة أو الاعتداء مع

كل ما يتبع من عدم النظافة والجهل . . هذا ما كنت أسمع به .

فلقد تعلمت في المدرسة أن « الله » هو اسم ربّ العرب ، وكانوا بالنسبة لي قوماً متخلفين ، لهم عادات وتقاليد غريبة ، عدا عن وضع المرأة التي ترتدي الزي الأسود ، وهي محجورة عليها في البيت ، تباع وتشتري وليس لها رأي في أي شيء . بالفعل أنها صورة قاتمة للإسلام .
الله . . هو الذي هداني للإسلام وليس أنا .

س - ماذا كانت ردود فعل عائلتك ومحيطك على التزامك بالإسلام وشريعته ؟

ج - بالرغم من أن عائلتي في البداية انزعجت كثيراً لذلك ، وبالخصوص بالنسبة للحجاب ، حيث كان لي معهم نقاشات ومواقف كثيرة ، كنت دائماً مطمئنة ، كنت الوحيدة التي تضع الحجاب في وسط الملايين ، وما شعرت لحظة أنني متعبة أو مضغوط علي رغم المعاناة ، بل على العكس كنت أريد أن ينتبهوا أنني مسلمة . عائلتي لم تفهم هذا وكانوا يقولون لي « هنا لا أحد ينظر إلى الشعر ، ليس مهماً أن تضعي الحجاب » ، وكان جوابي بأنّي لا أضع الحجاب من أجل الناس بل أضعه من أجلي أنا ، ومن أجل الله . صعب عليهم أن يفهموا أن فتاة « متحضرة » طالبة طب تتغير بهذا الشكل ، ومع ذلك كانوا يرونني سعيدة ، وكانوا يرون أن الإسلام حسن من تصرفاتي معهم ، وكذلك بالنسبة لدراستي وكل حياتي بشكل عام . ومع ذلك لم يتركوني في أي لحظة بل ظلوا يشعرونني بأنّي ابنتهم !

س - على ضوء تجربتك الخاصة في التعرف على الإسلام ، ما هو الأسلوب الأفضل للدهوة في المجتمع الغربي ؟

ج - كان لي الحظ الكبير باللقاء مع الشخص « زوجي » الذي فهم ويفهم الإسلام بمفاهيمه ، وليس فقط كمجموعة قوانين ومساائل يجب الالتزام بها ولا شك ، لأن هذه القوانين وحدها نادراً ما تجعل غير المسلم ينقاد إلى الإسلام . بهذا فإن الفرق بين العقلية الغربية وما رأته في لبنان كبير جداً ، فالمفردات التي تقنع الشرقي قد لا تعني شيئاً للغربي . . فمن أجل الدعوة للإسلام في الغرب هناك ضرورة أن يتولى الموضوع أشخاص يفهمون المجتمع الغربي . وهم إما أن يكونوا غربيين أو أن يتحلوا بعقلية منفتحة تمكنهم من مخاطبة الغربي ودعوته إلى الإسلام . . يجب على المسلم أن يعرف ما هو الإسلام أولاً ثم يلتزم به ثم يدعو إليه . . ولكن مع الأسف فإن كثيراً من تصرفات المسلمين خاصة في الغرب ، لا تساعد الغربي على فهم الإسلام أو تعطيه انطباعاً حسناً عنه . أقصد بذلك أن كثيراً من المسلمين عندهم الإسلام حدث أو وجهة من وجوه حياتهم التي تعودوا عليها ، وفي سلوكهم وفكرهم هم بعيدون كل البعد عن الإسلام كأبي إنسان غير مسلم . فمن الضروري أن ينسى الناس كثيراً من عاداتهم ، ويفتحوا عقولهم على واقع الإسلام ، فليس كل ما تعلمناه من أهلنا صحيحاً ومقدساً .

يجب أن نستخدم منطق السلوك والقدوة أكثر من اللسان ، فالذي يصرخ ليس هو الذي يربح ، من يربح هو المتجانس مع ذاته ، ويكون في سلام مع الله . . .

س - كيف ننظرين إلى واقع المرأة المسلمة اليوم ؟

ج - أما عن المرأة بصراحة لا أعرف كيف أصنف المرأة المسلمة اليوم . . هناك فوارق كثيرة ، والنساء عندهن نقاط قوة ونقاط ضعف ،

كما عند الرجال من الناحية الاجتماعية والسلوكية ، المرأة المسلمة قبل سنوات كانت تنظر إلى المرأة الغربية بحسد محاولة تقليدها بكل شيء ، واليوم بدأت مجموعات كبيرة من النساء ترى أن قوتها وكرامتها ومستقبلها بالإسلام وحده ، إنها تدرس الإسلام لتعرف حقوقها وواجباتها . بدأت تعرف أهميتها كزوجة وأم ، وبدأت تعرف أهمية ذلك في المجتمع ، وهي تبحث عن مكان لها في الجانب الروحي كما في الميدان الاجتماعي . فالرجال والنساء يحتاجون للدعم والاحترام المتبادل ليتمكن الجميع من تحقيق الهدف في المجتمع بنجاح وارتياح .

س - هل من كلمة أخيرة ؟

ج - ما أبديته هو مراجعة مختصرة لمرحلة مهمة من حياتي ، وآراء سريعة في هذا المجال ، فأنا ما زلت أدرج في معرفتي للإسلام .

أطلب من الله العليّ القدير أن يستمرّ في إنارة قلبي كما أناره أوّل مرّة ، وأن يجعلني أحسنّ بقربه ورفقته دائماً ، وأسأله أن يهدينا جميعاً ويقوّينا لنكون في الصراط المستقيم اليوم وفي عالم الخلود^(١) .

(١) من مجلة نور الإسلام : العددان (٣٥ و ٣٦) - السنة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ .

ماريون الأمريكية

ماريون مرتضى أخت أميركية هداها الله تعالى للإسلام فعاشت صدق الإيمان وقرنته بالعمل . . وكانت بداية الطريق زواجها من مسلم لم يكن همّه أن يرقى بفكرها والتزامها الديني ، ولكن أدركتها الرحمة الإلهية عن طريق بعض الأخوات العاملات ضمن (رابطة النساء المسلمات المتحدرات في (دير بورن) التابعة لولاية (ميشيغان) الأميركية ، فأثار هذا الدين العظيم جوانب عقلها وقلبها .

. مندوبة « نور الإسلام » التقتها في مركز الرابطة وأجرت معها هذا الحديث عن ظروف إسلامها وعما أحدثه الإسلام في حياتها من تغيرات جذرية .

س - هل نخبريننا بدايةً عن وضعك الديني قبل الاهتمام للإسلام والالتزام الحقيقي به ؟

ج - كنت قبل زواجي من مسلم ، من أتباع الكنيسة البروتستانتية ، ولكن ذلك في رأيي كان عبر العمادة فقط . . فلم أكن أمارس الدين من كل قلبي . وعندما تزوجت أصبحت مسلمة بالزواج فقط ، فلم أمارس

الإسلام في البداية . إذ لم يكن الدين شيئاً رئيساً في حياة أسرتي اليومية .
ولقد كان ذلك أحد الأسباب التي جعلتني غير مستعدة لأن أكون مسلمة
حقيقية في ذلك الوقت .

س - كيف كانت بداية طريقك للتعرف على الإسلام والانفتاح
عليه ؟

ج - بعد زواجي ببضعة أعوام ، تعرّفت على مجموعة صغيرة من
النساء الأمريكيات اللواتي اعتنقن الإسلام ، تزوجن من رجال مسلمين
وأخذن يتعرّفن على الإسلام بدأت على أثر ذلك بأخذ دروس إسلامية
باللغة الإنجليزية وبدأت أفتح عقلي شيئاً فشيئاً للإسلام .

س - ما هي المعتقدات والأفكار الإسلامية التي جذبتك أولاً
للإسلام ؟

ج - الإيمان برب واحد ، أهمية الصلاة وأهمية العائلة وتربطها ،
وتحريم الخمر وما شابه ذلك .

س - من هي الشخصيات الإسلامية الهامة التي لفتت انتباهك
ووجدت أنها يجب أن تكون قدوة للإنسان المسلم ؟

ج - بالطبع في المقدمة يأتي مقام الرسول الأعظم محمد ﷺ الذي
هو سيّد البشرية وقدوتها الأولى . . وهناك أيضاً أئمة أهل البيت
الأطهار ﷺ الذين لا يدانيهم أحد بعد الرسول في الفضل والعلم . ولقد
شدّني خطّهم ونهجهم الفكري والعبادي والتزمت به .

س - كيف كانت علاقتك بأهلك وأقاربك قبل الإسلام وكيف
أصبحت بعده . . وهل هناك من معاناة معهم ؟

ج - لم تكن علاقتي مع الأهل علاقة جيدة أساساً ، وخصوصاً مع أبي . كما أن والدي كانا منفصلين . ولقد تنكر أبي لأولاده منذ فترة ، واعتقد أن اعتناقي للإسلام قد زاد من قناعته بضرورة الحفاظ على مسافة بينه وبينني . ولقد توقعت والدي وبقية أقربائي المباشرين أن أتحوّل في النهاية إلى الإسلام ، لأنها الطريقة الوحيدة لإنجاح زواجي . وأظن أنهم لبسوا مرتاحين تماماً لإسلامي ، ولكنهم وقفوا إلى جانبي لأنني لم أسوء إليهم في حياتي .

أما بالنسبة لسائر أقاربي فلم أقم علاقة وثيقة إلا مع عمي وجدّي لأبي . وأصعب ما عانيتهُ تمثل بقراري ارتداء الحجاب بشكل دائم . (ولقد بدأت أصوم وأصلي بعد مضي عام على اعتناقي الإسلام) وكنت أخشى أن لا تتقبل عائلتي ذلك وتقطع علاقتها بي نتيجة ذلك . ولكن عزمت في النهاية أن أضع الحجاب بغض النظر عن النتائج . واكتشفت أن ارتدائه لم يؤد إلى خسارتي لأي منهم .

س - هل حاولت أن تشرحي لهم معتقدك الجديد ؟

ج - نعم حاولت مرّات عدّة أن أشرح بعض المعتقدات لأسرتي وأقربائي ، وكنت ألقى بعض التفهم ، ولكن لم أنجح بعد في جذب أحد منهم للإسلام ، ولعل الله يوفّقني فيما بعد .

س - هل من صعوبات كنت تعاني منها قبل اعتناقك للإسلام وهل زالت بعده ؟

ج - لقد عانيت من صعوبات عدّة قبل اعتناقي الإسلام كالإدمان وانخفاض المعنويات ، وعدم وجود معنى محدد للحياة ، والانعزال ، وعدم الالتزام بشيء أو بأحد لفترة طويلة . كذلك فإني أنتمي إلى عائلة

توارثت الإدمان على الكحول وعدم القيام بأي عمل نافع وانعدام الإيمان الراسخ بثواب معينة . ولقد زالت جميع هذه المصاعب ، ما عدا وضع عائلي بعد اعتناقي الإسلام . كذلك فإني أعتقد أنه بوسع عائلي أيضاً أن تصبح ذات وضع حي إن هم اعتنقوا الإسلام .

لقد أنجبت طفلاً واحداً قبل اعتناقي الإسلام . وأنا الآن أم لثلاثة أطفال ، ومنذ اعتناقي الإسلام أصبح هتي الأول يتمثل في تربية أطفالي تربية صحيحة . فتجربة طفولتي حلى بالذكريات السلبية . ولا أريد أن تتكرر هذه التجربة مع أطفالي ولقد ساعدني الإسلام في هذا المجال ، كما ساعدني على الإحساس بالآخرين ، وعلى معرفتي بمدى حاجتي إلى تغيير نمط علاقاتي بهم .

وأخيراً فإني أجد صعوبة في تربية أسرة إسلامية في محيط غير إسلامي . وعلى الرغم من أن عيشنا حالياً في مجتمع إسلامي صغير ومباشر قد كان عاملاً مساعداً إلى حد ما إلا أنه لا يكفي لحل كل المشاكل التي نعانيتها ضمن المجتمع الأميركي فهناك عدد كبير من المسلمين الذين لا يدرسون الإسلام ويبدلون جهدهم للانخراط في المجتمع الأميركي ، ولقد منحني الإسلام القوة لاتباع الصراط المستقيم والابتعاد عن هذه السلبيات على الرغم من سلبية البيئة التي تحيط بنا .

س - ما هي طبيعة نشاطاتك التبليغية والاجتماعية التي تمارسين من خلالها دورك في الدعوة إلى الإسلام ؟ :

ج - تتألف نشاطاتي الإسلامية من حضوري للدروس الإسلامية والاحتفالات وبالمناسبات الدينية كلما تسنى لي ذلك . كما أنني أيضاً عضو في مجموعة تدعى « جمعية النساء المسلمات » وتتألف من عدد من

النسوة الأميركيات اللواتي اعتنقن الإسلام ، إضافة إلى بعض النسوة العرب والإيرانيات والهنديات . ونحاول أن نعمل في مجالات التربية والنشاطات الاجتماعية والأعمال الخيرية كجمع التبرعات إلى المحتاجين من المسلمين . . . ولقد أنشأنا مكتبة عامة ، ونحن على استعداد لتقبل الهبات العينية سواء لمكتبتنا أم للمجموعة بشكل عام .

س - كمسلمة أميركية عاملة كيف وجدتِ معاملة المسلمين والمسلمات من العرب والقوميات الأخرى ، وهل من تجاوب في الجمعية ممكن ؟

ج - إن معاملة المسلمين العرب لي هي معاملة سلبية وإيجابية في آن . فهناك ، كما أشرت عدد كبير من المسلمين الذين لا يمارسون الإسلام ومعاملة هؤلاء لي تميّزت بكونها أقرب إلى السلبية منها إلى الإيجابية . وأظن أن هذا أمر متوقع ، فأنا أمثل بالنسبة لهم شيئاً يودّون أن يتحاشوه ! أما المسلمون الملتزمون فإن معاملتهم تميّزت بكونها أكثر إيجابية وأنا شخصياً لم ألق معاملة سلبية من المسلمين الملتزمين ، وأنا أتحدث هنا بشكل أساسي عن النساء ، ولكن وعلى الرغم من أننا قد دعونا الكثيرات للانضمام إلى مجموعتنا ، لما لهذا الانضمام من أثر إيجابي على عملنا ، إلا أن التجاوب الذي حظينا به كان قليلاً . ولست أدري ما هي الأسباب . ولربما عاد ذلك إلى أنهم يشعرون بأننا لا نملك المؤهلات الكافية للقيام بهذه المهمة ، أو لأنهم يعتبرون أنه يجب ترك مثل هذا العمل على عاتق الرجال (والذين تلقينا منهم بالمناسبة دعماً معقولاً) أو لأنهم لسن مهتمات كثيراً بمثل هذه النشاطات . ويدّولّي أنه في الوسط الإسلامي الذي أحيا فيه ، هناك الكثير من التنوع بين المسلمين بما في ذلك اختلاف المذاهب والقوميات . ولقد كان هذا أحد الأسباب التي

حملتنا على إنشاء مجموعتنا في محاولة لردم الهوة وتوحيد أنفسنا .

س - كيف يمكن للمسلمين الموجودين هنا أو في الخارج مساعدتكم في نشاطاتكم التبليغية ؟

ج - يمكن للمسلمين في الخارج أن يساعدونا عبر دعم نشاطاتنا التربوية والتبليغية بأي طريقة ممكنة كالترفع بالكتب الإسلامية (العربية منها والإنجليزية) . ونحن نأمل أن نجذب المزيد من المسلمات العربيات لرابطتنا كما نأمل بإقناع المزيد من المسلمين العرب الموجودين هنا والذين لا يمارسون إسلامهم بالعودة إلى الدين الحق . وفي هذا المجال فإن للأخوات المسلمات العربيات دوراً مهماً لا يحول دونه سوى عجزنا عن توحيد أنفسنا^(١) .

(١) من نور الإسلام : المعدادان (٢٧ و ٢٨) السنة الثالثة ذو القعدة وذو الحجة ١٤١٢ هـ .

تيري دو بومون الفرنسي

هذا المقال كتبه الصحفي الشهير « تيري دو بومون » حول موضوع التحول إلى الإسلام في فرنسا ، يذكر فيه بعض ملاحظاته ومشاهداته .

وكان هذا الصحفي نفسه قد تحول إلى الإسلام واتخذ فيما بعد اسم « نور الدين » ، وهو يوضح في مقاله هذا سبب إسلامه فيقول :

كان نسيبي « الكونت دو » يجسد بالنسبة إليّ التراث الفرنسي ، أو بمعنى أدق (فرنسا الملكية) ببلاطها وجهازها الكهنوتي وما إلى ذلك . وقد كان فيما مضى يشغل منصب مدير مكتب البابا بولس السادس وهو معروف بحبه الشديد للعلوم الدينية والماورائية ، كذلك بولعه البالغ باقتناء التحف الفنية والتماثيل وغيرها .

وذاًلباً ما كان يحدثنا في الجلسات العائلية ، عن تفاصيل اللوحات الشهيرة وخاصة اللوحات التي تظهر السيدة العذراء كذلك الموضوعة في الكنائس ، ويعود بنا في أحاديثه إلى أساطير وروايات الأزمان الغابرة ، خاصة ما يتعلق منها بأخبار القديسين والكهنة .

وحصلت المفاجأة الكبرى أثناء إحدى الولايم العائلية عندما وقف فجأة وصرخ :

« يسوع ابن الله ، مريم والدة الله » . هذا كلام سخييف لم يعد باستطاعتنا تحمله إنه مؤلم . دعمكم من كل هذا . ليس لله ألم ولا ولد . ليس من المعقول أن ينزل الله إلى الأرض ويعيش في الشوارع يوزع الأعاجيب على سكان القدس !! .

وهنا بهت الموجودون وعلت الدهشة الوجوه وثاروا في أمورهم . فأعلن « الكونت دو » أنه ترك المسيحية واعتنق الإسلام .

وهكذا انضم إلى القافلة الكبيرة التي منها : « الكومندان كوستو » ، و « موريس بيجار » ، و « روجيه غارودي » ، و « دوران سوفلان » ، و « فانسان مونتيل » ، والتي تحولت إلى الإسلام . وأنا أيضاً اعتقدت أنني سوف أتحوّل قريباً : مفكرون ، فنانون ، مغامرون يتحوّلون بالعشرات ، والشباب بالمئات .

دفعني الفضول لزيارة « الكونت دو » فذهبت إليه . داره أشبه بمتحف : رسوم قديمة ، تحف تاريخية تعود للقرن الثامن عشر ، تماثيل ، وهي بالحقيقة تدعو للذهول . أخرجني « الكونت » من تأملاتي ، وهو يدعوني لزيارة غرفة صلاته ، فسرت وراءه في دهليز مظلم ينتهي بغرفة ، فتحها وإذا فيها كرسي واحد وسجادة . أما الجدران فكانت مزدانة بصور بعض علماء المسلمين . وبعض أشهر المفكرين عندهم .

تناول « الكونت » مصحفه وقال : الإسلام هو آخر الديانات ، وهو يعترف بالمسيحية واليهودية كونهما ديانتين سماويتين فيحترمهما ويجلّ أنبياءهما . وبدأ يحدثني عن الإسلام . لقد كان « الكونت » مقتنعاً .

فبدأت تراودني أفكار : فلعل الإسلام يكون هو الجواب على كل تساؤلاتي العقائدية التي بدأت بعد أن تخلّيت عن الإيمان بالمسيحية فأنا أصلاً لم أكن مقتنعاً بالإنجيل الحالي ولا بالوهية المسيح ، ولا بكل تلك الأمور التي كانوا يجبروننا على الاقتناع بها . منذ سنوات وأنا أبحث عن الحقيقة ، وها أنا الآن أشعر وكأنني قد وصلت . كنت أكره أشياء في تعاليم الكنيسة : عبادة صور القديسين والصلبان ، النظام الطبقي الكهنوتي ، الأعاجيب الخرافية ، من هذا المنطلق قررت دراسة الإسلام .

الخطوة الأولى :

لكي أبدأ في رحلتي الجديدة كنت بحاجة إلى ترجمة جيدة للقرآن . ذهبت إلى مكتبة النجاح في الدائرة السادسة من باريس . دخلت فإذا بي أمام رجل يلبس ثوباً (جلابية) ، وعلى رأسه قبعة عربية بيضاء لكن وجهه كان غريباً . سألته عن القرآن المترجم فأجاب : هل أنت مسلم ؟ فنحن لا نعطي القرآن إلا للمسلمين ، لأنه لا يمسه إلا المطهرون . يبدو أنك غير مسلم . ازدادت دهشتي بهذا الرجل ، فسألته :

- هل أنت فرنسي أم عربي ؟

- أنا فرنسي . وقد تحوّلت إلى الإسلام منذ ١٢ سنة بعد رحلة إلى الباكستان ، وأنت هل تريد التحول أيضاً ؟

- لا أدري ، لا أزال أبحث ، عندي تساؤلاتي الخاصة .

- للدخول في الإسلام ليس هناك طقوس ولا عمادة . الإسلام تحوّل نفسي وهو ما تبحث عنه . سوف أعطيك بعض الكتب المترجمة لتقرأها ، وبعد ذلك أعطيك القرآن .

بدأت بالتهام تلك الكتيبات عن التعاليم الأساسية في الإسلام :
الشهادتين ، الصلاة ، الصوم خلال شهر رمضان ، الزكاة ، الحج مرة
واحدة لمن يستطيع مادياً وجسدياً وما إلى هناك . .

وهكذا وجدت نفسي أعيش في القرن السابع في هذا العصر ،
فعلمت أن عام ٦٠٥ للميلاد كان العرب في مكة يعبدون آلهة عديدة ،
كانوا يتجاهلون بيت الله الواحد الموجود عندهم وهو الكعبة التي بناها
إبراهيم منذ ٢٠٠٠ سنة .

أنهيت الكتب فأحسست أنني مرتاح جداً ومنشرح فقررت العودة إلى
أيوب (الفرنسي) خاصة أنني أصبحت أعرف بعض المعلومات الأولية عن
تاريخ الإسلام . دخلت إلى المكتبة فوجدت رجلاً فرنسياً آخر بادرني
بالكلام قائلاً :

- أخرج من هنا يا عابد المسيح . . عد إلى كنيستك . كنت أنهيت
للخروج مذعوراً عندما ظهر أيوب قائلاً :

- قف . هذا صديق مخلص وأضحى يعترف بنبيتنا محمد ﷺ .
ثم التفت إلي وقال : لقد حان وقت الصلاة . تعال معنا إلى المسجد .
دخلنا إلى المسجد وإذا فيه حوالي ٥٠ شخصاً وهم يتحدثون ويتصافحون
بحرارة . ثم وقفنا في صفوف مترابطة والشيخ أمامنا يتلو كلمات لم أفهم
منها الكثير ثم ركعنا وسجدنا وأنا دائماً متأخر عن الآخرين . عندما
لامست جبهتي الأرض لأول مرة فقدت توازني ، وأوشكت أن أقع ولكني
أحسست أن الحبوية تدب في جسمي ، كما أحسست براحة في نفسي .
وانتهت الصلاة ، وكان جاري قد انتبه إلى ارتبائي خلال الصلاة فسألني :
هل أنت مسلم منذ زمن بعيد ؟

- لا ، فأنا لا أعرف تقريباً غير الشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله ،
وأشهد أن محمداً رسول الله .

- ها قد أصبحت مسلماً بقولك هذا .

- هذا كل شيء ؟ عجيب ! إذاً كل الناس بإمكانهم أن يصبحوا
مسلمين . أهداني نسخة من القرآن وانصرف .

لقد كان عندي في الماضي بعض المخاوف من الإسلام ، إلا أن كل
شيء انمحي أمام حرارة وصدق هؤلاء المسلمين . .

لقد أدخلوني فجأة في العالم الروحاني الذي كنت أبحث عنه منذ
زمن .

وهكذا وجدت نفسي متحولاً إلى الإسلام والفضل يعود
إلى « أيوب » ، الذي طلق زوجته فداءً لعقيدته . لقد أعجبت به كثيراً ،
وأعجبت بصلابة إيمانه فأحسست بانسراح كبير في نفسي . ومن ثم بدأت
بتعلم القرآن كما تعلمت أن أصلي بمفردي .

والحقيقة أحسست أن لي رغبة قوية بالتخلي عن كل ما هو عمل
ومنافسة في الحياة وتراكم وراء المال ، والتفرغ « كلياً » إلى الله .

ظاهرة تحول النساء الفرنسيات إلى الإسلام :

في يوم من الأيام فتحت الراديو على إحدى المحطات التي تبث
أحياناً برامج غربية ، فلذا بي أمام نقاش بين المذيعة وإحدى النساء
تسمى « تقيّة » وتمثل إحدى الجمعيات الجديدة : أصدقاء الإسلام (Amis de l'islam)
كان النقاش يدور حول الحب والزواج في الإسلام ،
وحول الأخلاق الإسلامية في الحياة الزوجية . كنت ما أزال متأثراً

بقصة « أيوب » وزوجته التي أصرت على الانحراف عن الإسلام والتأثير بأجواء وعادات الفرنسيين والتي طلقها أيوب لذلك ، فاندفعت تلقائياً نحو الهاتف ، اتصل بدار الإذاعة أطلب موعداً للقاء مع « تقيّة » . وجدت أنها مثل « أيوب » ، أوروبية تحولت إلى الإسلام .

منذ بدأت دراستي للإسلام كان موضوع تحول النساء الفرنسيات إلى الإسلام يحيرني ، خاصة أن عددهن وصل إلى ما بين ٧٥ إلى ١٠٠ ألف امرأة . كنت دائماً أتساءل : كيف يمكن لامرأة فرنسية ، بدأت تحصل على نتائج مطالبتها بتحرير المرأة والمساواة منذ عشرات السنوات ، أن تتحول إلى ديانة تهضم حقوق المرأة حسب آرائهم ؟ التقيت مع « تقيّة » في دارها ، فوجدتها تعيش مثل « أيوب » على الطريقة العربية بلباسها وترتيب بيتها ، وكانت لوحة كبيرة تحتوي سور القرآن بأحرف صغيرة . تنصذر غرفة جلوسها .

حدّثتني عن قصّة إسلامها منذ ذهابها إلى الجزائر للعمل وحتى عودتها إلى باريس وزواجها من أحد الجزائريين المسلمين .

انتهى لقائي « بتقيّة » فخرجت وأنا أبدي إعجابي بها وبإيمانها كما ازدادت القناعة عندي ووثقت بوجوب اعتناق هذا الدين .

الأنس بالمسلمين الفرنسيين الجدد :

كنت أزور باستمرار « الكونت دو » في منزله حيث كان يقصّ عليّ قصص المسلمين الأوائل ويعلمني المزيد من تعاليم الإسلام . كما أنني كنت أرافقه في زيارة العلماء في باريس . وكنت أستقضي دائماً أخبار المتحولين إلى الإسلام . حتى أنني قمت بزيارة مدينة (كليرمون فرّان) CLERMONT-FERRAN ، المدينة التي تضم أكبر عدد من المتحولين

في فرنسا حيث يقال إن هناك ٥٠ شخصاً يتحولون إلى الإسلام يومياً .
ذهبت لزيارة المسجد في تلك المدينة وهو كان كنيسة في الماضي ، وتم
منحه للمسلمين هناك بعد أن كانوا يؤدّون صلاتهم في مخزن قديم .

والثقيت بالمسؤول عن المسجد ويدعى عبد النور وهو أيضاً فرنسي
متحوّل إلى الإسلام كما تعرّفت إلى عالم ديني يدعى الشيخ علي (برنار
سابقاً) متحوّل آخر إلى الإسلام وقصة تحوّله مشوّقة جداً .
وما كانت إلا لتزيد اقتناعي وتعلقي بديني الجديد .

وهكذا روى تيري دو بومون (نور الدين) قصّة إسلامه ونحدث
عن العوامل والأشخاص الذين كان لهم تأثير بذلك ، كما روى في معرض
حديثه ، أسباب تحوّل هؤلاء الأشخاص إلى الإسلام حسب اللقاءات التي
أجراها معهم^(١) .

(١) عن مجلة نور الإسلام : المعدادان (٢٣ و ٢٤) السنة الثانية رجب وشعبان ١٤١٢ هـ .

البروفسور ناشكانتا بادهايا الهندي

بعد دراسات معمقة وبحوث مستفيضة في موضوع الديانات ، أصبح البروفسور ناشكانتا بادهايا ، العميد السابق لكلية « مهراجا » في « ميسوري » مسلماً . وذلك لأنه وجد بأن تعاليم الإسلام وعباداته تُرضي حقاً الاحتياجات المادية والمعنوية والخُلُقِيَّة للبشرية جمعاء .

فكيف أسلم البروفسور محمد عز الدين ؟ :

في البداية تأثرت تأثراً شديداً بمدرسة العقليين ، ولكنني تخلّيت عنها بعد فترة قصيرة ، لأنني أدركت بأن هذه العبادة لا يمكن أن تروي ظمإي الداخلي .

ثم عكفت على إعداد بحوث عن الديانة البوذية ، وحيث أن التعاليم الأخلاقية لبوذا تبدو - ظاهراً - رائعة ، فقد بهرتني بدورها ، ولكنني اقتنعت لاحقاً بأن هذه التعاليم تتناقض وتتعارض مع الطبيعة الإنسانية ، وبالتالي ، فقد صرفت النظر عنها .

وخلال إقامتي في ألمانيا الاتحادية ، أُلقيت محاضرتين بالألمانية

عن بوذا . غير أنني تأثرت في أثناء سفرة لاحقة لي إلى باريس
بفلسفة (أرنست رينان) . وقد أتاح لي التماس أو الصلة مع هذا التيار
الفكري كتابة بحوث حول اللغة والثقافة والطقوس السامية . ثم كرّست
شطراً طويلاً من حياتي لإجراء دراسات مقارنة بين الأديان الكبيرة :
الديانات اليهودية والزرادشتية والبراهمية من جهة ، والديانات البوذية
والمسيحية والإسلام من جهة أخرى .

في المسيحية ، اصطدمت بمشكلة « التضحية » والموت الأزلي ،
ومشكلات أخرى مماثلة ، كالاعتقاد بعفة البابا ، واستحالة النبيذ والخبز
جسداً ودماً للمسيح ، وكذلك العشاء الأخير والصلب . فعدت أدراجي
إلى الهند وأنا في غاية الاضطراب الفكري والتشوش والضيق .

وهنا مارست صنوفاً عديدة من النسك الصوفي ، غير أن ذلك لم
يُرض طموحي . وحيث أنه لم أكن حتى ذلك الحين قد أجريت بحوثاً
ودراسات كافية عن الديانتين الإسلامية والبوذية ، فقد استأنفت دراساتي
في هذا الميدان . وقد تركت الدراسات الجديدة في نفسي أثراً عميقاً .

ومع أنني كنت قد أدركت منذ بعض الوقت ، نبل الدين الإسلامي
وعدائه ، ولكن الشروط والعناصر الخارجية لم تسمح لي بادئ الأمر
بإشهار إسلامي ، إلى أن فعلت ذلك فيما بعد بكل صراحة ، في لقاء
عام ، حيث تحدثت تحت عنوان « لماذا اعتنقت الإسلام ؟ » وحددت
السببين الأساسيين اللذين دفعاني للإسلام ورغباني فيه وهما :

١ - صحة أو دقة التاريخ الإسلامي ، إذ أنه الدين الوحيد الذي
يمتلك وثيقة دامغة وصحيحة من وجهة نظر تاريخية .

٢ - تناغم الدين الإسلامي دين عملي - لا خيالي - .

فلقد ترك تاريخ الإسلام الواضح تأثيراً خاصاً حتى على أعداء الرسول ﷺ وصحابته الأجلاء ، وذلك هو السبب الذي دَفَعَ علماء مثل (بورت سميث) إلى الاعتراف بصراحة ، بقوله : « في الواقع نحن نعرف بعض عناصر تاريخ المسيح ، ولكن أنى لنا أن نعرف - كما يجب - ما الذي حَدَثَ منذ طفولته وحتى بلوغه الثلاثين من عمره ، حيث بُعِثَ نبياً ؟

في حين أن الأمر مختلف تماماً في الإسلام : هنا يوجد تاريخ واضح ، خلافاً للتاريخ المعقد والغامض لحياة السيد المسيح ﷺ .

هنا - في الإسلام - لا يُضِلُّ المرء ولا يُضِلُّ الآخرين ، لأن ضوء النهار يسطع في كل مكان وينير بفضوه كل شيء .

وفيما يتعلق بكيفية ارتباط العبادة الإسلامية بالحكمة والمعرفة ، يضيف : « مبدآن اثنان يُشكِّلان أساس العقيدة الإسلامية : وحدانية الله ونبوة محمد ﷺ . وينبغي لكل شخص يتمتع بالحكمة أن يعترف بهذه الحقيقة البسيطة الواضحة والمهمة ، أي وحدانية الله تعالى » (لا كُله اليهود الواحد الخاص بهم) .

إذن ليس ثمة في الإسلام تعاليم شبيهة بعقيدة التثليث أو الاعتقاد بثلاثين مليون إله ١ .

وما من أحد يستطيع أن ينكر النبوة ، لأنه في الوقت الذي تُهمل فيه الحقائق الأساسية التي تقوم عليها الحياة الخُلُقِيَّة ، ويبالغ الإنسان في تعلقه بالحياة الدنيا ، ويفقد مادياً ولا أخلاقياً ، ثمة أشخاص آخرون يشغلون - من وجهة نظر روحية - مكانة رفيعة ، دون أن يكون في حياتهم أقل شائبة أو نقطة سوداء ، هؤلاء الأشخاص يبرزون بين أفراد المجتمع

كأنبياء ، يتمثل واجبههم في تذكير الناس بما نسوه وفي إحياء مُثل قد ماتت في أنفسهم .

هذا بالإضافة إلى أن الإسلام يتلاءم وينسجم مع احتياجات الإنسان في كل العصور ، وأنه منسجم مع الثقافة والمعرفة .

لقد اعتقد بعض الناس البسطاء أن طقوس بوذا والطقوس المسيحية تقوم هي الأخرى على خير الفضائل ا

يجب أن نعلم بأن هذا الاعتقاد هو خطأ جسيم وذلك لأن كثيراً من تعاليمهما تشبه بالأحرى قصصاً أسطورية بلا أساس ، أو ربما يمكن مقارنتها أو تشبيهها بالشعر والأساطير بدلاً من أن تمثل ديناً سماوياً يجب أن ينسجم مع متطلبات كل الأزمنة وكل العصور .

وعليه ، ينبغي أولاً مراجعة الظروف المختلفة لحياة الإنسان ، ثم إصدار حكم حول كمال تعاليم دين ما تبعاً للفائدة أو للخير الذي يقدمه للمجتمع .

كل التعاليم الإسلامية بدءاً من المشكلات التي تهم تأسيس العائلة وحتى المشكلات التي تخص الحكومة ، والتجارة والعلاقات الاجتماعية . . كلها تقوم على هذا : مبدأ الانسجام مع الاحتياجات ومع العلم والمعرفة ^(١) .

(١) مجلة نور الإسلام : المعدادان (١٧ و ١٨) السنة الثانية محرم وصفر ١٤١٢ هـ .



محمد النيجاني السماوي التونسي

من خيرة المستبصرين في القرن العشرين « دكتور محمد نيجاني السماوي التونسي المالكي ، يبلغ من العمر خمسين عاماً ، داعية ومفكر إسلامي ، ومن الذين ألتسوا حركة الإخوان المسلمين في تونس خلال الستينات ، أنهى دراسته في جامعة الزيتونة العريقة ، عمل في سلك التدريس ١٧ عاماً ، وحصل على شهادة الماجستير في المقارنة بين الأديان من جامعة باريس ، وعلى شهادة الدكتوراه في نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ، وهو الآن بصدد الحصول على الدكتوراه الدولية حول أطروحته (التفكير الإسلامي في نهج البلاغة) ، له عدة مؤلفات حول نهج البلاغة ، ومؤلفات أخرى منها :

« ثم اهتديت ، لأكون مع الصادقين ، فاسألوا أهل الذكر » وقال معترفاً نفسه في كتابه « ثم اهتديت »^(١) تحت عنوان « لمحة وجيزة عن حياتي » .

لا زلت أذكر كيف أخذني والذي معه إلى مسجد الحي الذي تقام فيه

(١) وهو أول كتاب له بعد الاستبصار .

صلاة التراويح في شهر رمضان ، وكان عمري عشر سنوات ، وقدمني إلى المصلين الذين لم يخفوا إعجابهم بي .

كنت أعلم منذ أيام أن المؤذنب رتب الأمور لكي أشفع بالجماعة ليلتين أو ثلاثاً ، وجرت العادة أن أصلي خلف الجماعة مع مجموعة من أطفال الحي ، وأنتظر وصول الإمام إلى النصف الثاني من القرآن الكريم ، أي إلى سورة مريم ، وبما أن والدي حرص على تعليمنا القرآن في الكتاب ، وفي البيت خلال حصص ليلية يقوم بها إمام الجامع ، وهو من أقاربنا مكفوف البصر يحفظ القرآن الكريم ، وبما أنني حفظت النصف في تلك السن المبكرة ، أراد المؤذنب أن يظهر فضله واجتهاده من خلالي ، فعلمني مواقع الركوع من التلاوة ، وراجعني عدة مرات ليتأكد من فهمي . . بعد نجاحي في الامتحان ، وإنهاء الصلاة والتلاوة بالجماعة على أحسن ما كان يتوقع والدي والمؤذنب ، انهال عليّ الجميع مقبلين ومعجبين وشاكرين المعلم الذي علمني ، ومهئين والدي ، والكلّ يحمد الله على نعمة الإسلام وبركات الشيخ .

وعشت أياماً سوف لن تمحي من مخيلتي لما لقينته بعد ذلك الحدث من إعجاب وشهرة تعدت حارتنا إلى كل المدينة ، وطبعت تلك الليالي الرمضانية في حياتي طابعاً دينياً بقيت آثاره حتى اليوم ، ذلك أنني كلما اختلطت عليّ الشبل ، أحسست بقوة خارقة تشدني وترجعني إلى الجادة ، وكلما شعرت بضعف الشخصية ونفاهة الحياة ، رفعتني تلك الذكريات إلى أعلى الدرجات الروحية ، وأوقدت في ضميري شعلة الإيمان لتحتمل المسؤولية .

وكان تلك المسؤولية التي حملتها والدي ، أو بالأحرى مؤذبي ، لإمامة الجماعة في تلك السن المبكرة ، جعلتني أشعر دائماً بأنني مقصر

عن أن أكون في المستوى الذي أطمح إليه ، أو على الأقل المستوى الذي
أُطلب مني .

لذلك قضيت طفولتي وشبابي في استقامة نسيية لا تخلو من لهو
وعبث ، يسودهما في معظم الأحيان البراءة ، وحب الإطلاع والتقليد ،
تحوطني العناية الإلهية لأكون متميزاً من بين أخوتي بالرّصانة ، والهدوء ،
وعدم الإنزلاق في المعاصي ، والموبقات .

ولا يفوتني أن أذكر أنّ والدتي ، رحمها الله ، كان لها الأثر الكبير
في حياتي ، فقد فتحت عيني وهي تعلمني قصار السور من القرآن
الكريم ، كما تعلمني الصلاة والطهارة ، وقد اعتنت بي عناية فائقة ، لأنّي
ابنها الأول ، وهي ترى إلى جانبها في نفس البيت ضررتها التي سبقتها منذ
سنوات عديدة ، ولها من الأولاد من يقارب سنّها ، فكانت تتسلّى بتريبي
وتعليمي ، وكأنّها تتبارى في سباق مع ضررتها ، وأبناء زوجها .

كما أنّ اسم التيجاني الذي سمّني به والدتي ، له ميزة خاصّة لدى
عائلة السماوي كلّها التي اعتنقت الطريقة التيجانية وتبنتها منذ أن زار أحد
أبناء الشيخ سيدي أحمد التيجاني مدينة (قفصة) قادماً من (الجزائر) ،
ونزل في دار السماوي ، فاعتنق كثير من أهالي المدينة ، خصوصاً
العائلات العلمية والثرية ، هذه الطريقة الصوفية وروجوا لها ، ومن أجل
إسمي أصبحت محبوباً في دار السماوي التي يسكنها أكثر من عشرين
عائلة ، وكذلك خارجها ممن لهم صلة بالطريقة التيجانية ، لذلك كان
كثير من شيوخ المصلّين الذين حضروا تلك الليالي الرمضانية التي
ذكرتها ، يقبلون رأسي ويديّ ، مهتئين والذي قائلين له :

« هذا فيض من بركات سيدنا الشيخ أحمد التيجاني » والجدير

بالذكر أَنَّ الطريقة التيجانية انتشرت بكثرة في (المغرب) و (الجزائر) و (تونس) و (ليبيا) و (السودان) و (مصر) ، وَأَنَّ معتقبي هذه الطريقة متعصبون نوعاً ما ، فهم لا يزورون مقامات الأولياء الآخرين ، ويعتقدون بأنَّ كل الأولياء قد أخذوا عن بعضهم بالتسلسل ما عدا الشيخ أحمد التيجاني ، فقد أخذ علمه مباشرة عن رسول الله ﷺ ، رغم تأخره عن زمن النبوة بثلاثة عشر قرناً ، ويروون بأنَّ الشيخ أحمد التيجاني كان يحدث بأن رسول الله ﷺ جاءه يقظة لا مناماً ، كما يقولون بأنَّ الصلاة الكاملة التي ألفها شيخهم ، أفضل من أربعين ختمة من القرآن الكريم .

وحتى لا نخرج عن الاختصار ، نقف عند هذا الحد من التعريف بالتيجانية ، ولنا عودة إليهم إن شاء الله في موضع آخر من هذا الكتاب .

ونشأت وترعرعت على هذا الاعتقاد كغيري من شبان البلد ، فكلنا مسلمون بحمد الله من أهل السنة والجماعة ، وكلنا على مذهب الإمام مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، غير أننا منقسمون في الطرق الصوفية التي كثر في شمال إفريقية ، ففي مدينة (قفصة) وحدها هناك التيجانية ، والقادرية ، والرحمانية ، والسلامية ، والعيساوية ولكل من هذه الطرق أنصار وأتباع ، يحفظون قصائدها وأذكارها وأورادها التي تقام في الحفلات والسهرات بمناسبة عقد القران ، أو الختان ، أو النجاح ، أو النذور ، ورغم بعض السليبيات فقد مثلت هذه الطرق دوراً كبيراً في الحفاظ على الشعائر الدينية ، واحترام الأولياء والصالحين .

أسباب الإستبصار :

أما الأسباب التي دعنتي للإستبصار فكثيرة جداً ، ولا يمكن لي في هذه العجالة إلا ذكر بعض الأمثلة منها :

١ - النص على الخلافة :

لقد آلت على نفسي عند الدخول في هذا البحث ، أن لا أعتد إلا ما هو موثوق عند الفريقين ، وأن أطرح ما انفردت به فرقة دون أخرى ، وعلى ذلك أبحث في فكرة التفضيل بين أبي بكر وعلي بن أبي طالب ، وأن الخلافة إنما كانت بالنص على علي كما يدّعي الشيعة ، أو بالانتخاب والشورى ، كما يدّعي أهل السنة والجماعة .

وبالبحث في هذا الموضوع إذا تجرّد للحقيقة ، فإنه سيجد النص على علي بن أبي طالب واضحاً جلياً كقوله عليه السلام : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » قال ذلك بعدما انصرف من حجة الوداع ، فعقد لعلي موكب للتهنئة ، حتى أن أبا بكر نفسه وعمر كانا من جماعة المهتئين للإمام يقولان : « يخ يخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة »^(١) .

وهذا النص مجمع عليه من الشيعة والسنة ، ولم أخرج أنا في البحث - هذا - إلا مصادر أهل السنة والجماعة ، ومع ذلك لم أذكر المصادر كلها ، فهي أكثر بكثير مما ذكرت ، وللاطلاع على مزيد من التفصيل أدهو القارئ إلى مطالعة (كتاب الغدير) للعلامة الأميني ، وقد طبع منه أحد عشر مجلداً ، يحصي فيها المصنف رواة هذا الحديث من طريق أهل السنة والجماعة .

أما الإجماع المذّعى على انتخاب أبي بكر يوم السقيفة ، ثم مبايعته

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢٨١/٤ . سرّ العالمين للإمام الغزالي : ص ١٢ . تذكرة الخواص لابن الجوزي : ص ٢٩ الرياض النضرة للطبري : ١٦٩/٢ . كنز العمال : ٣٩٧/٦ . البداية والنهاية لابن كثير : ٢١٢/٥ . تاريخ ابن عساکر : ٥٠/٢ . تفسير الرازي : ٦٣/٣ . الحاروي للفنّاوي للسيوطي : ١١٢/١ .

بعد ذلك في المسجد ، فإنه دعوى بدون دليل ، إذ كيف يكون الإجماع وقد تخلف عن البيعة علي ، والعبّاس ، وسائر بني هاشم ، كما تخلف أسامة بن زيد ، والزبير ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو بريدة الأسلمي ، والبراء بن هازب ، وأبي بن كعب ، وسهل بن حنيف ، وسعد بن عباد ، وقيس بن سعد ، وأبو أيوب الأنصاري ، وجابر بن عبد الله ، وخالد بن سميد ، وغير هؤلاء كثير^(١) .

فأين الإجماع المزعوم يا عباد الله ؟ على أنه لو كان علي بن أبي طالب وحده تخلف عن البيعة ، لكان ذلك كافياً للطعن في ذلك الإجماع ، إذ أنه المرشح الوحيد للخلافة من قبل الرسول على فرض عدم وجود النصّ المباشر عليه .

وإنما كانت بيعة أبي بكر عن غير مشورة ، بل وقعت على حين غفلة من الناس ، وخصوصاً أولي الحلّ والعقد منهم ، كما يستبينهم علماء المسلمين ، إذ كانوا مشغولين بتجهيز الرسول ودفنه ، وقد فوجئ سكّان المدينة المنكوبة بموت نبيّهم ، وحُمِلَ الناس على البيعة بعد ذلك قهراً^(٢) . كما يشعرنا بذلك تهديدهم بحرق بيت فاطمة إن لم يخرج المتخلفون عن البيعة ، فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نقول بأن البيعة كانت بالمشورة وبالإجماع .

وقد شهد عمر بن الخطاب نفسه بأن تلك البيعة كانت فلتة وقى الله

(١) تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، تاريخ الخلفاء، تاريخ الخميس، الاستيعاب، وكل من ذكر بيعة أبي بكر.

(٢) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة، ج ١، ص ١٨ .

المسلمين شرّها ، وقال : فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، أو قال : فمن دعا إلى مثلها فلا بيعة له ، ولا لمن بايعه ^(١) .

ويقول الإمام علي في حقّها : « أمّا والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرّحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إلّي الطير ... » ^(٢) .

ويقول سعد بن عبادة سيد الأنصار الذي هاجم أبا بكر وعمر يوم السقيفة ، وحاول بكل جهوده أن يمنعهم ويبعدهم عن الخلافة ، ولكنّه عجز عن مقاومتهم لأنّه كان مريضاً لا يقدر على الوقوف ، وبعدما بايع الأنصار أبا بكر قال سعد : والله لا أبايعكم أبداً حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل ، وأخضب سناني ورمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأفاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي ، ولا والله لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ، ما بايعتكم حتى أعرض على ربّي ، فكان لا يصلي بصلاتهم ، ولا يجتمع بجمعتهم ، ولا يفيض بإفاضتهم ، ولو يجد عليهم أعواناً لطال بهم ، ولو بايعه أحد على قتالهم لقاتلهم ، ولم يزل كذلك حتى قتل بالشام في خلافة عمر ^(٣) .

فإذا كانت هذه البيعة فلتة ، وقى الله المسلمين شرّها ، على حدّ تعبير عمر الذي شيّد أركانها ، وعرفت ما آلت إليه أمور المسلمين بسببها .

وإذا كانت هذه الخلافة تقمّصاً - من قبل أبي بكر - كما وصفها الإمام علي إذ قال بأنّه هو صاحبها الشرعي .

(١) صحيح البخاري : ج ٤ ، ص ١٢٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج ١ ، ص ٣٤ . الخطبة الشقفيّة .

(٣) تاريخ الخلفاء : ج ١ ، ص ١٧ .

وإذا كانت هذه البيعة ظلماً ، كما اعتبرها سعد بن عباد ، سيد
الأنصار ، الذي فارق الجماعة بسببها .

وإذا كانت هذه البيعة غير شرعية ، لتخلف أكابر الصحابة ،
والعباس عم النبي ، عنها .

فما هي إذن الحجّة في صحة خلافة أبي بكر ، والجواب : لا حجّة
هناك عند أهل السنّة والجماعة .

فقول الشيعة إذن هو الصحيح في هذا الموضوع ، لأنه ثبت وجود
النصّ على خلافة علي عند السنّة أنفسهم ، وقد تأوّلوه حفاظاً على كرامة
الصحابة ، فالمنصف العادل لا يجد مناصاً من قبول النص ، وبالأخص
إذا عرف ملايسات القضية ^(١) .

٢ - خلاف فاطمة مع أبي بكر :

وهذا الموضوع أيضاً مجمع على صحتّه من الفريقين ، فلا يسمع
المنصف العاقل إلّا أن يحكم بخطأ أبي بكر ، إن لم يعترف بظلمه وحيفه
على سيّدة النساء .

لأنّ من يتتبع هذه المأساة ، ويطلع على جوانبها ، يعلم علم اليقين
أن أبا بكر نعمّد إيذاء الزهراء وتكذيبها ، لثلاث تحتجّ عليه بنصوص الغدير
وغيرها على خلافة زوجها وابن عمّها علي . ونجد قرائن عديدة على
ذلك :

منها ما أخرجه المؤرخون من أنّها - سلام الله عليها - خرجت تطوف

(١) راجع «السقيفة والخلافة» لعبد الفتاح عبد المقصود والسقيفة للشيخ محمد رضا
المظفر .

على مجالس الأنصار ، وتطلب منهم النصرة والبيعة لابن عمّها ، فكانوا يقولون : « يا ابنة رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول علي كرم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم ^(١) .

ولو كان أبو بكر مخطفاً عن حسن نية ، أو على اشتباه ، لأقنعتهم فاطمة الزهراء ، ولكنها غضبت عليه ، ولم تكلمه حتى ماتت ، لأنه رد في كل مرة دعوها ، ولم يقبل شهادتها ، ولا شهادة زوجها ، ولكل هذا اشتد غضبها عليه حتى أنها لم تأذن له بحضور جنازتها حسب وصيتها لزوجها الذي دفنها في الليل سرّاً ^(٢) .

وعلى ذكر دفنها - سلام الله عليها - سرّاً في الليل ، فقد سافرت خلال سنوات البحث إلى المدينة المنورة لأطلع بنفسي على بعض الحقائق ، واكتشفت :

أولاً : إنّ قبر الزهراء مجهول ، لا يعرفه أحد ، فمن قائل بأنه في الحجرة النبوية ، ومن قائل بأنه في بيتها مقابل الحجرة النبوية ، وثالث يقول : « إنه في البقيع وسط قبور أهل البيت بدون تحديد » .

هذه الحقيقة الأولى التي استنتجت منها أنها - سلام الله عليها - أرادت بهذا أن يتساءل المسلمون عبر الأجيال ، عن السبب الذي دعاها أن

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة : ج ١ ، ص ١٩ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (بيعة أبي بكر) .

(٢) صحيح البخاري : ج ٣ ، ص ٣٦ . صحيح مسلم : ج ٢ ، ص ٧٢ . باب : (لا نورث ما تركناه صدقة) .

تطلب من زوجها أن يدفنها في الليل سرّاً ، ولا يُحضر جنازتها منهم أحداً !!! وبذلك يمكن لأي مسلم أن يصل إلى بعض الحقائق المثيرة من خلال مراجعة التاريخ .

ثانياً : اكتشفت أن الزائر الذي يريد زيارة قبر عثمان بن عفان ، يمشي مسافة طويلة حتى يصل إلى آخر البقيع ، فيجده تحت الحائط ، بينما يجد أغلب الصحابة مدفونين في بداية البقيع ، قرب المدخل ، وحتى مالك بن أنس صاحب المذهب ، وهو من تابعي التابعين ، مدفون قرب زوجات الرسول ، وتحقق لدي ما قاله المؤرخون من أنه دفن (بحش كوكب) ، وهي أرض يهودية ، لأن المسلمين منعوا دفنه في بقيع رسول الله ، ولما استولى معاوية بن أبي سفيان على الخلافة ، اشترى تلك الأرض من اليهود ، وأدخلها في البقيع ، ليدخل بذلك قبر ابن عمه عثمان فيها ، والذي يزور البقيع حتى اليوم سيرى هذه الحقيقة بأجلى ما نكون .

وإن عجبني لكبير حين أعلم أن فاطمة الزهراء - سلام الله عليها - أول من لحق بأبيها ، فبينها وبينه ، ستة أشهر على أكثر الاحتمالات ، ثم لا تدفن إلى جانب أبيها .

وإذا كانت فاطمة الزهراء هي التي أوصت بدفنها سرّاً ، فلم تدفن بالقرب من قبر أبيها ، كما ذكرت ، فما بال ما حصل مع عثمان ولدها الحسن لم يدفن قرب قبر جدّه ؟ فقد منعت هذا (أم المؤمنين) عائشة ، وقد فعلت ذلك عندما جاء الحسين بأخيه الحسن ليدفنه إلى جانب جدّه رسول الله ، فركبت عائشة بغلة وخرجت تنادي وتقول : لا تدفنوا في بيتي من لا أحب !!

واصطف بنو أمية وبنو هاشم للحرب ، ولكن الإمام الحسين قال لها إنه سيطوف بأخيه على قبر جده ، ثم يدفنه في البقيع ، لأن الإمام الحسن أوصاه أن لا يهرقوا من أجله ولو محجمة من دم !

وقال لها ابن عباس أبياناً مشهورة :

تَجَمَّلْتُ^(١) تَبَقَّلْتُ^(٢) وَلِرِ عَشْتِ تَقَبَّلْتُ
لِكَ الثَّمَنِ مِنَ الثُّنَعِ وَبِالْكُلِّ تَصَرَّفْتُ

وهذه حقيقة أخرى من الحقائق المخيفة ، فكيف ترث عاتشة كل البيت من بين أزواج النبي المتعدّات ، وهنّ تسع نساء حسب ما قاله ابن عباس ؟!

وإذا كان النبي لا يورث ، كما شهد بذلك أبو بكر نفسه ، ومنع ذلك ميراث الزهراء من أبيها ، فكيف ترث عاتشة ؟ فهل هناك في كتاب الله آية تعطي الزوجة حق الميراث وتمنع البنت ؟ أم أنّ السياسة هي التي أبدلت كل شيء ، فحرمت البنت من كل شيء ، وأعطت الزوجة كل شيء ؟

وبالمناسبة أذكر هنا قصة طريفة ذكرها بعض المؤرخين ، ولها علاقة بموضوع الإرث .

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه (لنهج البلاغة) : جاءت عاتشة وحفصة ، ودخلتا على عثمان أيام خلافته ، وطلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله ﷺ .

(١) إشارة إلى ركوبها في حرب الجمل المشهورة .

(٢) إشارة إلى ركوبها البغلة يوم منعت دفن الحسن بجانب جده ﷺ .

وكان عثمان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال لعائشة :

أنت وهذه الجالسة جئتما بأعرابي يتطهر ببوله ، وشهدتما أن رسول الله ﷺ قال : « نحن معشر الأنبياء لا نورث » فإذا كان الرسول حقيقة لا يرث ، فماذا تطلبان بعد هذا ، وإذا كان الرسول يرث ، لماذا منعتم فاطمة حقها ؟ فخرجت من عنده غاضبة وقالت : اقتلوا نعتلاً فقد كفر^(١) .

علي أولى بالاتباع :

ومن الأسباب التي دعنتي للإستبصار ، وترك سنة الآباء والأجداد ، الموازنة العقلية والنقلية بين علي بن أبي طالب ، وأبي بكر .

وكما ذكرت في الأبواب السابقة من هذا البحث ، إنني أعتمد على الإجماع الذي يوافق عليه أهل السنة والشيعة .

وقد فتشت في كتب الفريقين ، فلم أجد إجماعاً إلا على علي بن أبي طالب ، فقد أجمع على إمامته الشيعة والسنة في ما ورد من نصوص ثبتتها مصادر الطرفين ، بينما لا يقول بإمامة أبي بكر إلا فريق من المسلمين . وقد كنّا ذكرنا ما قاله عمر عن بيعة أبي بكر ، كما أن الكثير من الفضائل والمناقب التي يذكرها الشيعة في علي بن أبي طالب لها سند ووجود حقيقي ثابت في كتب أهل السنة المعتمدة عندهم ، ومن عدة طرق لا يتطرق إليها الشك ، فقد روى الحديث في فضائل الإمام علي جمع غفير من الصحابة ، حتى قال أحمد بن حنبل :

« ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ، كما جاء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٣ .

لعلي بن أبي طالب» (١) .

وقال القاضي إسماعيل ، والنسائي ، وأبو علي النيسابوري : « لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي » (٢) .

هذا مع ملاحظة أن الأمويين حملوا الناس في مشارق الأرض ومغاربها على سبّه ولعنه ، وعدم ذكر فضيلة له ، حتى منعوا أن يستمى أحد باسمه ، ومع كل ذلك خرجت فضائله ومناقبه - سلام الله عليه - رغم الجحود ، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي : « عجبت لرجل كتّم أعداؤه فضائله حسداً ، وكتّمها محبّوه خوفاً ، وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين » .

أما بشأن أبي بكر ، فقد قتشت أيضاً في كتب الفريقين ، فلم أجد له في كتب أهل السنة والجماعة القائلين بتفضيله ما يوازي ، أو يعادل ، فضائل الإمام علي ، على أن فضائل أبي بكر المذكورة في الكتب التاريخية ، مروية إما عن ابنته عائشة ، وقد عرفنا موقفها من الإمام علي ، هي تحاول بكل جهدها دعم أبيها ، ولو بأحاديث موضوعة ، أو عن عبد الله بن عمر ، وهو أيضاً من البعيدين عن الإمام علي ، وقد رفض مبايعته بعدما أجمع الناس على ذلك ، وكان يحدث أن أفضل الناس بعد النبي ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم لا تفاضل ، والناس بعد ذلك

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج ٣، ص ١٠٧. المناقب للخوارزمي: ص ٣ و ١٩. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٦٨. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ص ٧٢، تاريخ ابن عساکر: ج ٣، ص ٦٣، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ص ١٩.

(٢) الرباض النضرة للطبري: ج ٢، ص ٢٨٢. الصواعق المحرقة لابن حجر: ص ١١٨ و ٧٢.

سواسية^(١) . يعني هذا الحديث أن عبد الله بن عمر جعل الإمام علي من سوقة الناس كأبي شخص عادي ، ليس له فضل ، ولا فضيلة .

فأين عبد الله بن عمر من الحقائق التي ذكرها أعلام الأمة وأئمتها ، بأنه لم يرد في أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ، ما جاء في علي بن أبي طالب ؟ هل أن عبد الله بن عمر لم يسمع بفضيلة واحدة لعلي ؟ بلى والله لقد سمع ووعى ، ولكن السياسة وما أدراك ما السياسة ، فهي تقلب الحقائق ، وتصنع الأعاجيب .

كذلك يروي فضائل أبي بكر ، كل من عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، وعروة ، وعكرمة ، وهؤلاء كلهم يكشف التاريخ أنهم كانوا متحاملين على الإمام علي ، وحاربوه إما بالسلاح ، وإما بالدمس واختلاق الفضائل لأعدائه وخصومه .

قال الإمام أحمد بن حنبل : إِنَّ عَلِيّاً كَانَ كَثِيرَ الْأَعْدَاءِ ، فَفَتَّشَ أَعْدَاؤُهُ عَنْ شَيْءٍ يَعْيبُونَهُ بِهِ فَلَمْ يَجِدُوا ، فَجَاؤُوا إِلَى رَجُلٍ قَدْ حَارَبَهُ وَقَاتَلَهُ ، فَأَطْرَوْهُ كِبَداً مِنْهُمْ لَهُ^(٢) .

ولكن الله يقول : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كِبَداً ﴾ وَاكِيدُ كِبَداً ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا ﴾^(٣) .

وإنه لمن معجزات الله سبحانه ، أن تخرج فضائل الإمام علي بعد ستة فرون من الحكم الجائر الظالم له ولأهل بيته ، إذ لم يكن العباسيون أقل بغضاً وحسداً ونكاية وتفتيلاً لأهل البيت النبوي من أسلافهم

(١) صحيح البخاري: ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) فتح الباري في شرح البخاري: ج ٧ ، ص ٨٣ . تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٩٩ ، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص ١٢٥ .

(٣) سورة الطارق، الآيات: ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

الأمويين ، حتى قال أبو فراس الحمداني في ذلك :

ما نال منهم بنو حرب ، وإن عظمت تلك الجرائر ، إلا دون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة وكسم دم لرسول الله عندكم
أنتم له شعبة في ما ترون ، وفي أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
فإذا خلصت بعد كل ذلك تلكم الأحاديث ، وخرجت من تلكم
الظلمات ، فلتكن لله الحجة البالغة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد
ذلك .

ورغم أن أبا بكر كان هو الخليفة الأول ، وله من النفوذ ما قد
عرفنا ، ورغم أن الدولة الأموية كانت تجعل عطاءً خاصاً ، ورشوة ، لكل
من يروي في حق أبي بكر وعمر وعثمان ، ورغم أنها اختلفت لأبي بكر
من الفضائل والمناقب الكثير مما سُودت صفحات الكتب ، مع ذلك ،
فلم يبلغ معشار عشر حقائق الإمام علي وفضائله .

أضف إلى ذلك أنك إذا حللت الأحاديث المروية في فضائل
أبي بكر ، وجدتها لا تتماشى مع ما سجله له التاريخ من أعمال تناقض ما
قيل فيه ، ولا يقبلها عقل ولا شرع ، وقد تقدم شرح ذلك في حديث « لو
وزن إيمان أبي بكر بإيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر » ولو كان يعلم
رسول الله أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ، ما كان ليؤمر عليه
أسامة بن زيد ، ولا ليمتنع من الشهادة له كما شهد على شهداء أحد ،
وقال له : أتني لا أدري ماذا تحدث من بعدي حتى بكى أبو بكر^(١) ، وما
كان ليُرسَل خلفه علي بن أبي طالب ليأخذ منه سورة براءة ، فيمنعه من

(١) موطأ الإمام مالك : ج ١ ، ص ٣٠٧ ، مغازي الواقدي : ص ٣١٠ .

تبليغها^(١) ، وما كان قال يوم إعطاء الراية في خيبر : لأعطين رأيتي خدأ رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كزاراً ليس فزاراً ، امتحن الله قلبه بالإيمان ، فأعطاه إلى علي ، ولم يعطها إليه^(٢) .

ولو علم الله أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ، وأن إيمانه يفوق إيمان أمة محمد بأسرها ، فلم يكن الله سبحانه ليهذه به إحباط عمله ، عندما رفع صوته فوق صوت النبي^(٣) .

ولو علم علي بن أبي طالب والصحابة الذين اتبعوه أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ، ما جاز لهم أن يتخلفوا عن بيعته .

ولو علمت فاطمة الزهراء ، سيدة النساء ، أن أبا بكر على هذه الدرجة من الإيمان ، ما كانت لتغضب عليه ، وتمتنع عن الكلام معه ، وعن رد السلام عليه ، وتدعو الله عليه في كل صلاة^(٤) ، ثم لا تأذن له - حسب ما ورد في وصيتها - حتى بحضور جنازتها .

ولو علم أبو بكر أنه على هذه الدرجة من الإيمان ، ما كان ليتنمى عند احتضاره أنه لو لم يكن يكشف بيت فاطمة عليها السلام .

وأنه لو لم يكن أحرق الفجاءة السلمي ، ولكان يوم السقيفة قذف الأمر في عنق أحد الرجلين : عمر أو أبي عبيدة^(٥) .

(١) صحيح الترمذي: ج ٤، ص ٣٣٩. مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٣١٩. مستدرک الحاكم: ج ٣، ص ٥١.

(٢) صحيح مسلم: باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٨٤.

(٤) الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤، رسائل الجاحظ: ص ٣٠١، أعلام النساء: ج ٣، ص ١٢١٥.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨، تاريخ السمودي: ج ١، ص ٤١٤.

فالذي هو على هذه الدرجة من الإيمان ، ويرجع إيمانه على إيمان كل الأمة ، لا يندم في آخر لحظات حياته على ما فعله مع فاطمة ، وعلى حرقه الفجاءة السلمي ، وعلى تولّيه الخلافة ، كما لا يتمنى أن لا يكون من البشر ، ويكون شعرة أو بكرة ، أفيعادل إيمان مثل هذا الشخص إيمان الأمة الإسلامية ، بل يرجع عليها ؟!

وإذا أخذنا حديث « لو كنت متخذاً خليلاً لانتخذت أبا بكر خليلاً » .

فهو كسابقه ، إذ أين كان أبو بكر يوم المؤاخاة الصغرى في مكة قبل الهجرة ، ويوم المؤاخاة الكبرى في المدينة بعد الهجرة ، وفي كليهما اتخذ رسول الله ﷺ عليّاً أخاً له ، وقال له : « أنت أخي في الدنيا والآخرة »^(١) ، ولم يلتفت إلى أبي بكر ، فحرمه من مؤاخاة الآخرة ، كما حرمه من الخلّة ، وأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع ، وأكتفي بهذين المثلين اللذين أوردتهما من كتب أهل السنة والجماعة ، أما عند الشيعة فلا يعترفون بتلك الأحاديث مطلقاً ، ولديهم الأدلة الواضحة على أنها وضعت في زمن متأخر عن زمن أبي بكر .

هذا وإذا تركنا الفضائل وبحثنا في المساويء ، فإننا لا نحصى لعلي بن أبي طالب سيئة واحدة من كتب الفريقين ، بينما نجد لغيره مساويء كثيرة في كتب أهل السنة ، كالصحيح ، وكتب السير ، والتاريخ .

(١) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي : ص ٢٣ . تاريخ دمشق لابن عسّكر : ج ١ ، ص ١٠٧ . المناقب للخوارزمي : ص ٧ . الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ص ٢١ .

وبهذا يكون الإجماع من الفريقين يختص بعلي وحده ، كما يؤكد التاريخ أن البيعة الصحيحة لم تكن إلا لعلي وحده .

فقد امتنع هو ، وأصر عليها المهاجرون والأنصار ، وقعد عن بيعته نفر فلم يجبرهم عليها ، بينما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها - كما يقول عمر بن الخطاب - وكانت خلافة عمر بعهد عهده إليه أبو بكر ، وكانت خلافة عثمان مهزلة تاريخية ، ذلك أن عمر رشح سنة للخلافة ، وألزمهم أن يختاروا من بينهم واحداً ، وقال : إذا اتفق أربعة وخالف اثنان فاقتلوهما . وإذا انقسم الستة إلى فريقين : ثلاثة في كل جهة ، فخذوا برأي الثلاثة الذين يقف معهم عبد الرحمن بن عوف . وإذا مضى وقت ولم يتفق الستة فاقتلوهم . والقصة طويلة وعجيبة ، والمهم أن عبد الرحمن بن عوف اختار علياً ، واشترط عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله ، وسنة رسوله ، وسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، فرفض علي هذا الشرط ، وقبله عثمان ، فكان هو الخليفة ، وخرج علي من البيعة ، وهو يعلم مسبقاً النتيجة . وقد تحدّث عن ذلك في خطبته المعروفة بالشقشقية .

وبعد علي استولى معاوية على الخلافة ، فأبدلها قيصرية ملكية ، يتداولها بنو أمية ، ومن بعدهم بنو العباس إنشأ عن أب ولم يكن هناك خليفة إلا بنص السابق على اللاحق أو بقوة السيف وال السلاح والاستيلاء ، فلم تكن هناك بيعة صحيحة^(١) في التاريخ الإسلامي من عهد الخلفاء ، وحتى عهد كمال أتاتورك الذي قضى على الخلافة الإسلامية ، إلا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(١) أي بإجماع المسلمين لم يفرسها عليهم أحد ، ولم تكن « فتنة » .

٤ - الأحاديث الواردة في علي توجب اتباعه :

من الأحاديث التي أخذت بها ، ودفعني للاقتداء بالإمام علي ، تلك التي أخرجتها صحاح أهل السنة والجماعة ، وأكدت صحتها ، والشبهة عندهم أضعافها ولكن - وكالعادة - سوف لا أستدل ، ولا أعتمد ، إلا الأحاديث المتفق عليها من الفريقين . ومن هذه الأحاديث :

أ - حديث « أنا مدينة العلم وعلي بابها »^(١) :

وهذا الحديث وحده كاف لتشخيص القدوة الذي ينبغي اتباعه بعد الرسول ﷺ ، لأن العالم أولى بالاتباع ، أي أولى أن يقتدى به من الجاهل .

قال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾^(٢) .

وقال أيضاً : ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ﴾^(٣) ، ومن المعلوم أن العالم هو الذي يهدي ، والجاهل يستحق الهداية ، وهو أحوج إليها من أي أحد .

وفي هذا الصدد سجل لنا التاريخ أن الإمام علياً هو أعلم الصحابة على الإطلاق ، وكانوا يرجعون إليه في أمهات المسائل ، ولم نعلم أنه ﷺ رجع إلى واحد منهم قط . فهذا أبو بكر يقول : لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، وهذا عمر يقول : لولا علي لهلك

(١) مستدرک الحاكم : ج ٣ ، ص ١٢٧ . تاريخ ابن كثير : ج ٧ ، ص ٣٥٨ ، أحمد بن حنبل في المناقب .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .

عمر^(١) .

وهذا ابن عباس يقول : ما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر^(٢) .

وهذا الإمام علي نفسه يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني ، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم به ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليّل نزلت ، أم بنهار ، في سهل أم في جبل^(٣) .

بينما يقول أبو بكر عندما سئل عن معنى الأب في قوله تعالى : « وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم » قال أبو بكر : أي سماء تظّلني ، وأي أرض تظّلني ، أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم !

وهذا عمر بن الخطاب يقول : « كل الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال » . ويُسأل عن آية من كتاب الله ، فيشتهر السائل ، ويضربه بالدرة حتى يدميه ، ويقول : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم »^(٤) . وقد سئل عن الكلاله فلم يعلمها .

(١) الاستيعاب : ج ٣ ، ص ٣٩ . مناقب الخوارزمي : ص ٤٨ ، الرياض النضرة : ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٢) لقد أجمعت صحاح أهل السنة وكتبهم ، على أفضلية علي وتقدّمه في العلم على كل الصحابة . راجع على سبيل المثال ما جاء في الاستيعاب : ج ٣ ، ص ٣٨ ، ٤٥ من أقوال الصحابة أنفسهم ، فيه ، وتقدمهم له عليهم .

(٣) المحب الطبري في الرياض النضرة : ج ٢ ، ص ١٩٨ . تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ١٢٤ . الانسان : ج ٢ ، ص ٣١٩ . فتح الباري : ج ٨ ، ص ٤٨٥ . تهذيب التهذيب : ج ٧ ، ص ٣٣٨ .

(٤) سنن الدارمي : ج ١ ، ص ٥٤ ، تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ٢٣٢ . الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١١١ .

أخرج الطبري في تفسيره عن عمر أنه قال : لئن أكون أعلم الكلال ، أحب إليّ من أن يكون لي مثل قصور الشام .

كما أخرج ابن ماجه في سننه : عن عمر بن الخطاب ، قال : ثلاث لئن يكون رسول الله بينهنّ ، أحب إليّ من الدنيا ، وما فيها : الكلالة ، والرّبا ، والخلافة .

سبحان الله ! حاشى لرسول الله أن يكون سكت عن هذه الأشياء ، ولم يبينها .

ب - حديث : « يا علي أنت متي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي » :

وهذا الحديث ، كما لا يخفى على أهل العقول ، فيه ما فيه من اختصاص أمير المؤمنين عليّ بالوزارة ، والوصاية ، والخلافة .

فكما كان هارون وزيراً ووصياً ، وخليفة موسى في غيابه ، عندما ذهب لميقات ربّه ، كذلك أيضاً منزلة الإمام عليّ عليه السلام فهو كهارون ، عليه وعلى نبيّنا السلام ، وصورة طبق الأصل عنه ، ما عدا النبوة التي استثنّاها نفس الحديث .

وفيه أيضاً أنّ الإمام عليّاً هو أفضل الصحابة والحديث كما هو معلوم مجمّع عليه عند عامة المسلمين .

ج - حديث : « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار » :

وهذا الحديث وحده كاف لردّ مزاعم تقديم أبي بكر وعمر

وعثمان ، على من نعبه رسول الله ﷺ ولياً للمؤمنين من بعده ، ولا عبرة بمن أول الحديث إلى معنى المحب والتصير ، لصرفه عن معناه الأصلي الذي قصده الرسول ، وذلك حفاظاً على كرامة الصحابة ، لأن رسول الله ﷺ عندما قام خطيباً في ذلك الحرّ الشديد ، قال : أستم شهدون بأنّي أولى المؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! فقال عندئذٍ : « فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه .. » وهذا نص صريح في استخلافه على أمته ، ولا يمكن للمعاقل المنصف العادل إلّا قبول هذا المعنى ، ورفض تأويل البعض المتكلف ، والحفاظ على كرامة الرسول قبل الحفاظ على كرامة الصحابة ، لأنّ في تأويلهم هذا استخفافاً واستهزاء بحكمة الرسول الذي يجمع حشود الناس في الحرّ والهجير الذي لا يطاق ، ليقول لهم بأنّ علي هو محبّ المؤمنين ، وناصرهم .

وبماذا يُفسّر هؤلاء الذين يؤولون النصوص حفاظاً على كرامة كبرائهم وساداتهم ، موكب التهتة الذي عقده له رسول الله ﷺ .

وبدأ بزوجاته أمهات المؤمنين ، وجاء أبو بكر وعمر بقولان : يخ بخ لك يا بن أبي طالب ! أصبحت وأميت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، والواقع والتاريخ يشهدان أنّ المتأولين لكاذبون ، فويل لهم ممّا كتبت أيديهم ، وويل لهم ممّا يكتبون . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

د - حديث : « علي منّي وأنا من علي » ، ولا يؤدّي منّي إلّا أنا أو علي ، (٢) :

(١) سورة البقرة، الآية : ١٤٦ .

(٢) سنن ابن ماجه : ج ١ ، ص ٤٤ . خصائص النسائي : ص ٢٠ ، صحيح الترمذي : ج ٥ ، ص ٣٠٠ . جامع الأصول لابن كثير : ج ٩ ، ص ٤٧١ . الجامع الصغير

وهذا الحديث الشريف هو الآخر صريح في أن الإمام علياً هو الشخص الوحيد الذي أهله صاحب الرسالة ، ليؤذي عنه ، وقد قاله عندما بعثه بسورة براءة يوم الحج الأكبر ، عوضاً عن أبي بكر ، ورجع أبو بكر يبكي ويقول : يا رسول الله ! أنزل في شيء ؟ فقال : إن الله أمرني أن لا يؤذي عني إلا أنا أو علي .

وهذا ظهير ما قاله رسول الله ﷺ لعلي في مناسبة أخرى ، عندما قال له : « أنت يا عليّ تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي »^(١) .

فإذا كان لا يؤذي عن رسول الله إلا علي ، وهو الذي يبين للأمة ما اختلفوا فيه بعده ، فكيف يتقدم عليه من لا يعرف معنى (الأب) ، ومن لا يعرف معنى (الكلاله) ، وهذا لعمرى من المصائب التي أصابت هذه الأمة ، وأحاققتها عن أداء المهمة التي رشحها الله لها ، وليست الحجة على الله ، ولا على رسول الله ، ولا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وإنما الحجة البالغة على الذين عصوا وبدّلوا ، قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾^(٢) .

هـ - حديث الدار يوم الإنذار :

قال رسول الله ﷺ مشيراً إلى علي :

« إن هذا أخي ، ووصيي ، وخليفتي من بعدي فاسمعوا له

للسيوطي: ج ٢، ص ٥٦. الرياض النضرة: ج ٢، ص ٢٢٩.

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر: ج ٢، ص ٤٨٨. كنوز الحقائق للمناوي: ص ٢٠٣، كنز

العمال: ج ٥، ص ٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٤.

وأطيعوا» (١).

وهذا الحديث هو أيضاً من الأحاديث الصحيحة التي نقلها المؤرخون لبداية البعثة النبوية ، وعدّوها من معجزات النبي ، ولكن السياسة هي التي أبدلت وزيّفت الحقائق والوقائع ، ولا عجب من ذلك لأنّ ما وقع في ذلك الزمان المظلم ، يتكرّر اليوم في عصر النور . فهذا محمد حسين هيكل أخرج الحديث بكامله في كتابه (حياة محمد) في صفحة ١٠١ من الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هجرية ، وفي الطبعة الثانية وما بعدها ، حذف من الحديث قوله ﷺ : (وصي وخليفتي من بعدي) ، كذلك حذفوا من (تفسير الطبري : الجزء ١٩ صفحة ١٢١ : قوله « وصي وخليفتي » ، وأبدلوا بقوله إنّ هذا أخي وكذا وكذا . . ١١٠ وغفلوا عن أن الطبري ذكر الحديث بكامله في تاريخه (الجزء ٢ ، صفحة ٣١٩) .

أنظر كيف يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقبّلون الأمور ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره . .

وخلال البحث الذي قمت به أردت الوقوف على جليلة الحال ، فبحثت عن الطبعة الأولى لكتاب « حياة محمد » ، وتحصّلت عليها بحمد الله بعد عناء ومشقة وقد كلّفتني ذلك كثيراً ، والمهم أنّي اطّلمت على ذلك التحريف ، وزادني ذلك يقيناً بأن أهل السوء يحاولون جهدهم أن يمحوا

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٣١٩. تاريخ ابن الأثير: ج ٢، ص ٦٢. السيرة الحلبية: ج ١، ص ٣١١. شواهد التنزيل للحسكاني: ج ١، ص ٣٧١. كنز العمال: ج ١٥، ص ١٥. تاريخ ابن عساکر: ج ١، ص ٨٥. تفسير الخازن لعلاء الدين الشافعي: ج ٣، ص ٣٧١. حياة محمد لحسين هيكل: الطبعة الأولى باب «وانلر عشرنك الأفرين» . .

الحقائق الثابتة ، لأنها حجة قوية لدى (خصومهم) ١ .

ولكنّ الباحث المنصف ، عندما يقف على شيء من هذا التحريف والتزييف ، يزداد عنهم بعداً ، ويعرف بلا شك أنّهم لا حجة لديهم غير التضليل والدسّ وقلب الحقائق بأي ثمن ، ولقد استأجروا كتاباً كثيرين ، وأغدقوا عليهم الأموال ، كما أغدقوا عليهم الألقاب والشهادات الجامعية المزيفة ، ليكتبوا لهم ما يريدون من الكتب والمقالات التي تشتم الشيعة وتكفرهم ، وتدافع بكل جهد ، وإن كان باطلاً ، عن كرامة بعض الصحابة المنقلبين على أعقابهم ، والذين بدّلوا ، بعد رسول الله ، الحقّ بالباطل ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ ^(١) صدق الله العظيم .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٨ .

مقابلة

● ما هو الدور الذي يمكن أن يقوم به علماء ، ومفكرو الأمة الإسلامية ،
إزاء ما يواجهه المسلمون من تحديات مختلفة ، ومتنوعة ؟

- الدور هو كما علمنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، هو
قبل كل شيء ما يدعو إليه العقل والمنطق ، وهو توحيد الصفوف
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ لأن في التفرقة ضعفاً ، وذهاب
ذات الربيع ، وتكسير الشوكة ، وفي الوحدة عصمة وقوة . ولكن السؤال
المطروح هو : كيف نؤخذ هذه الأمة ؟ وأنا في اعتقادي أنه لا يمكن لهذه
الأمة أن تتوحد ، إلا تحت الشعار الذي رسمه رسول الله ﷺ وهو :
« تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسكتما
بهما ، لن تضلوا بعدي أبداً » هذا هو شعار الوحدة الذي يجب أن يسعى
كل مسلم للإلتزام والعمل به ، وإذا ما آمنا بأن الهداية أساس العقيدة ،
فيعني ذلك أن الهداية هي أساس الوحدة ، أما أن نتوحد لهدف سياسي ،
ومصلحة مؤقتة ، فسوف نجد هذه الوحدة تتبخر في زمن قصير جداً ،
وهذا ما أظهرته التجارب التاريخية في حياة الأمم

والشعوب ، لذلك فأنا أدعو لأن تتكاتف جهود المسلمين لتتوحد ، وإذا ما توحدنا ، فسوف لن يستبد بنا العدو ، ولن نمكّن المستعمر منا من جديد .

● وهل تعتقدون أن الوضع الإسلامي الحالي قد أصبح مهيباً لتحقيق الوحدة التي ينشدها المسلمون ؟

- حسب اعتقادي ، فإنه قد حان الوقت لرفع هذه المظلمة التاريخية عن أهل البيت سلام الله عليهم ، فالرجوع للحق فضيلة . وأنا مستبشر بأن كثيراً في المسلمين الآن بدأوا يفكرون بجدية بالرجوع إلى الحق .

● بعد سقوط النظرية الشيوعية ، هل تعتقدون أن الصراع بين المعسكر

المادي ، والمعسكر الإسلامي ، قد أخذ أبعاداً وصوراً جديدة أخرى ؟
- لا شك في ذلك ، والإسلام منذ أن بعث النبي محمد ﷺ وهو في معركة مستمرة ، وهي معركة الحق مع الباطل ، وبعد سقوط النظام الشيوعي الذي كان يحارب الإسلام ، ويحارب العقيدة الدينية بشكل عام ، يبدو أن الصراع قد فتح بين المستكبرين والمستضعفين الذين يقف في مقدمتهم المسلمون ، واليوم الكل يشهد الظلم ، والتعسف ، والوحشية التي يتعامل بها هؤلاء المستكبرون مع المسلمين أين كانوا ، في حين أننا نعيش في زمن يدّعي فيه الغرب التقدم ، ويرفع شعارات حرية الإنسان ، وحقوقه الدينية والفكرية . وفي الحقيقة فإن الغرب اليوم هو أبعد ما يكون عن تطبيق هذه الشعارات ، لا سيما إذا ما منّت مصالحه بضررها .

● بمّ تفسرون المواجهة الشائخة القائمة بين التيار الإسلامي العربي ، وعدد من الأنظمة العربية ، لا سيما في (مصر) ، و (الجزائر) ،

- إن هذه المواجهة قائمة حسب اعتقادي لسببين :

الأول : إن النظم السائدة في العالم العربي ، وإن كانت تدعي الإسلام إلا أنها علمانية في شكلها ومفهومها ، وهي بالأحرى تتعارض في كثير من مبادئها مع الدين الإسلامي الحنيف .

والسبب الآخر هو : إن بعض الحركات الإسلامية في تلك الأقطار ، لم تختار الأسلوب الأفضل لمواجهة هذه الأنظمة العلمانية ، فتسبب البعض وللأسف ، ونتيجة بعض الأخطاء ، إلى حرق الأخضر واليابس ، بينما يدهونا القرآن إلى توخي الحذر والحيلة في التعامل مع الغير من أجل دعوته للإسلام ، فهو يقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

إن الحركات الإسلامية مطالبة بحسن اختيار الزمان والمكان المناسبين للمواجهة ، كما أنها مطالبة أن تكون قوية ، قبل أن تعلن مواجهتها لأي نظام معاد للإسلام . فالله تعالى يقول : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله ﴾ ، وإلا فإن إعلان المواجهة من دون تهيئة الظروف لها ، يمكن أن تتسبب في مخاطر ومضار كبيرة ، وبالنسبة لي فأنا أعتقد أن الإسلاميين إذا كانوا يرون أنفسهم ليسوا بمستوى المواجهة فإن عليهم أن يعملوا من خلال أسلوب النصيح والإقناع ، للالتزام بمفاهيم الإسلام ، والدعوة إليه ، كما أننا كإسلاميين لا بد من مواجهة خصومنا بالدليل العلمي ، والمنطق ، والنصح ، لا سيما في ظل الظروف الراهنة ، وأن نصبر ، ولا نستعجل الأمور ، ولا أعتقد أن من الصحيح بمكان التفكير بإمكانية تغيير واقعنا بين عشية وضحاها ،

فالتغيير يحتاج إلى مراحل عديدة حتى يتحقق ، ومن خلال الأسلوب القرآني الذي أمرنا به .

● هل يفهم من كلامكم هذا أنكم تدهون الحركات الإسلامية للتراجع ، وإعادة الحسابات في تعاملها مع الأنظمة الحاكمة ؟ أم إنها دعوة للصالح مع هذه الأنظمة ؟ وهل هناك إمكانية للصالح بين الطرفين ؟

أنا لا أدعو إلى التراجع ، وأقول فقط : إن تجربتي الخاصة ، كإنسان كنت ضمن الحركة الإسلامية ، أنه لا بد لنا من تقصي الحقائق قبل اتخاذ القرار ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، كما فعل الرسول ﷺ ، وأهل البيت عليه السلام ، نفعل نحن ، الرسول ﷺ المؤيد بروح القدس ، ومع ذلك اختبأ في الغار ، وأمر أصحابه بالهجرة ، ومع ذلك هاجر من مكة . كل هذه الأساليب لا بد أن نستفيد منها كأسلوب لنا في التعامل مع الذين لم يفهموا الإسلام ، ولم يستوعبوه ، وأنا أتصور أنه حتى لو سالت الذماء بين الطرفين ، فإنه يبقى هناك مجال ومنفذ للصالح ، ولكن نتصالح على أسس تنفع البلاد والعباد . وإذا ما توفرت النوايا الحسنة ، فعند ذلك يمكن أن نقول لحكام البلاد العربية : هذا هو رأي الله في هذه القضية ، وإذا كنتم تدهون حكم الإسلام أن تعملوا بالإسلام الصحيح ، دون عنف ، أو تكفير . فالذين يحكموننا من بني جنسنا ، ومن أبناء أوطاننا ، ولكنهم لم يفهموا معاني الإسلام الحقيقية ، ولا بد لنا أن نوضح لهم مقاصد القرآن ، والسنة النبوية ، حتى يعملوا بها .

● هل ما تدعو إليه من دعوات صلح بين الإسلاميين ، والسلطات الحاكمة ، ينطبق على جميع الحالات العربية ؟

- أنا لا أتكلم إلا عن تجربتي في (تونس) ، والحالة التونسية . أما

الحالات الأخرى التي تعيشها الحركات الإسلامية في (العراق) ، و (مصر) ، و (الجزائر) ، وغيرها ، فلا يحق لي التكلم باسمها ، وأهل مكة أدرى بشعابها ، فالعراقيون أعلم بما يناسبهم في مواجهتهم للنظام العراقي ، ولا يمكن أن أتطفل عليهم وعلى طريقة عملهم ، وكذلك الحال في (مصر) ، و (الجزائر) . فلكل تجربة وحالة وضعها الخاص بها ، ولكن بشكل عام ، فأنا لا أدعو لمهادنة الأنظمة ، وإنما أدعو لاختيار السبيل الأفضل في تحديد العلاقات مع هذه الأنظمة .

● يبدو أنكم من أنصار العمل بمفهوم التقية في الوقت الراهن ، والتي عمل بها عدد من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ولستم من الذين يدهون إلى النهج الذي اتبعه الإمام الحسين عليه السلام في تعامله ؟

- أنا أريد أن أقول بصراحة : إن الأئمة عليهم السلام سلسلة تكمل بعضها البعض ، الإمام الحسن عليه السلام قاوم بقدر المستطاع ، ولكنه لما رأى أنه يحارب قوة أقوى منه بكثير قبل بالصلح ، رغم أن أصحابه اتهموه بالعديد من التهم الباطلة .

أما الإمام الحسين ، فقضيته قضية أخرى ، فالإمام الحسين كانت مسألة استشهاد مفروغ منها ، وهو يعلم بها ، وقد أعلمه الرسول بأنه سيقتل منذ كان عمره عدة سوات ، وتحركه كان يستهدف تحريك واستنهاض ضمير الأمة .

فتورة الإمام الحسين ليست كما يفهمها بعض الناس ، بأنها كانت ثورة مسلحة ضد نظام ظالم . إن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أن رأسه مطلوب ، حتى ولو تعلق بأستار الكعبة ، لذلك خرج من (المدينة) إلى (الكوفة) ، وفي الطريق يحلم أنه مقتول لا محال ، ومع ذلك لم

يتراجع أو يتردد في قتال يزيد ، لأنه كان يعلم أن يزيد يريد أن يذله لذلك قال قوله المشهورة : « يخيرني ابن سمية بين السلة والذلة ، فهيها متا الذلة يأبى ذلك الله ورسوله والمؤمنون » فقرر أن يموت عزيزاً ، وشهيداً في سبيل الله والإسلام .

فالأئمة كلهم عليهم السلام ، نصحوا أئمة الزور ، وهكذا كان دور الإمام علي عليه السلام مع الخلفاء ، ومع ذلك فإن كل أئمة أهل البيت كانوا ثوريين ، ولكن لكل وقت وظرف أسلوبه الخاص . ولا بد لنا أن نواجه الحكام والطغاة بالأساليب التي واجههم بها أئمتنا عليهم السلام .

وأخيراً فلا بد من التأكيد بأنني لست من الذين يميلون ويدعون إلى التقية في كل الأحوال والظروف . أنا أقول : إننا كمسلمين علينا أن نكون مجاهدين وقت الجهاد ، ومتقين في وقت التقية ، أن نصحى بالغالي والنفيس في وقت ينفع الإسلام ، وأن نكون من الصابرين في وقت ينفع الصبر... (١)

(١) كيهان العربي . العدد ٢٣٥١ - السنة الثالثة عشر السبت ٥ محرم سنة ١٤١٤ هـ / ٢٦ حزيران ١٩٩٣ م .

هدى الحق

في إحدى قرى الجنوب التونسي وخلال حفل زفاف كانت النساء يتحدثن عن فلانة زوجة فلان ، واستغربت العجوز الكبيرة التي كانت تجلس وسطهن ، وتسمع حديثهن ، أن تكون فلانة قد تزوجت فلاناً ، ولما سألتها عن سبب استغرابها ، أخبرتهن أنها أرضعت الإثنين فهما أخوان من الرضاعة ! ونقل النسوة هذا النبأ العظيم إلى أزواجهن ، وثبتت الرجال ، فشهد والد المرأة بأن ابنته أرضعتها تلك العجوز المعروفة لدى الجميع بأنها مرضعة ، كما شهد والد الزوج بأن ابنه أرضعته نفس المرضعة ، وقامت قيامة العشيرتين ، وتقاتلوا بالعصي كل منهما تتهم الأخرى بأنها سبب الكارثة التي سوف تجرهم إلى سخط الله وعقابه ، وخصوصاً لأن هذا الزواج مرّ عليه عشرة أعوام ، أنجبت المرأة خلالها ثلاثة أطفال ، وقد هربت عند سماعها الخبر إلى بيت أبيها ، وامتنعت عن الأكل والشراب ، وأرادت الانتحار ، لأنها لم تتحمل الصدمة ، وكيف أنها تزوجت من أخيها ، وولدت منه ، وهي لا تعلم ، وسقط عدد من الجرحى من العشيرتين ، وتدخل أحد الشيوخ الكبار ، وأوقف الممارك ، ونصحهم بأن يطوفوا على العلماء ليستفتوهم في هذه القضية عسى أن يجدوا حلاً .

فصاروا يتجولون في المدن الكبرى المجاورة ، يسألون علماءها عن حلّ لقضيتهم ، وكلّما اتصلوا بعالم وأطلعوه على الأمر أخبرهم بحرمة الزواج ، وضرورة تفريق الزوجين إلى الأبد ، وتحرير رقبة ، أو صيام شهرين ، إلى غير ذلك من الفتاوى .

ووصلوا إلى (قفصة) ، وسألوا علماءها ، فكان الجواب نفسه ، لأن المالكية كلهم يحرمون الرضاعة ، ولو من قطرة واحدة ، اقتداء بالإمام مالك الذي قاس الحليب على الخمر ، إذ أن (ما أسكر كثيره فقليله حرام) ، فتحرم الرضاعة ولو من قطرة واحدة من الحليب ، والذي وقع أن أحد الحاضرين ، اختلى بهم ، ودلهم على بيتي قاتلاً لهم : أسألوا التيجاني في مثل هذه القضايا ، فإنه يعرف كل المذاهب ، وقد رأيت يجادل هؤلاء العلماء عدة مرّات ، فيبرزهم بالحجّة البالغة .

هذا ما نقله إليّ زوج المرأة حرفياً ، عندما أدخلته إلى المكتبة ، وحكى لي كل القضية بالتفصيل ، من أولها إلى آخرها ، وقال : « يا سيدي ! إن زوجتي تريد الانتحار ، وأولادي مُهملون ، ونحن لا نعرف حلاً لهذه المشكلة ، وقد دلّونا عليك ، وقد استبشرت خيراً لما رأيت عندك هذه الكتب التي لم أشهد في حياتي مثلاً ، فعسى أن يكون الحل عندك » .

أحضرت له قهوة ، وفكرت قليلاً ، ثم سألته عن عدد الرضعات التي رضعها هو من المرأة فقال : لا أدري ، غير أن زوجتي رضعت منها مرتين أو ثلاثاً ، وقد شهد أبوها بأنه حملها مرتين أو ثلاث مرّات إلى تلك العجوز المرضعة ، فقلت إذا كان هذا صحيحاً ، فليس عليكما شيء ، والزواج صحيح وحلال محلّل ، وارتمى المسكين عليّ يقبل رأسي ويديّ ، ويقول : بَشْرِك الله بالخير ، لقد فتحت أبواب السكينة أمامي ، ونهض مسرعاً ولم يكمل قهوته ، ولا استفسر منّي ، ولا طلب الدليل ، غير أنه استأذن للخروج حتى يسرع فيبشّر زوجته ، وأولاده ، وأهله ، وعشيرته .

لكنه رجع في اليوم التالي ، ومعه سبعة رجال ، وقدمهم إليّ
قائلاً : هذا والدي ، وهذا والد زوجتي ، والثالث : هو عمدة القرية ،
والرابع : إمام الجمعة والجماعة ، والخامس : هو المرشد الديني ،
والسادس : شيخ العشيرة ، والسابع : هو مدير المدرسة ، وقد جاؤوا
يستفسرون عن قضية الرضاعة ، وبماذا حللتها ؟

وأدخلت الجميع إلى المكتبة ، وكنت أتوقع جدالهم ، وأحضرت
لهم القهوة ، ورخبت بهم : قالوا إنما جئناك نناقشك في تحليلك
الرضاعة ، وقد حرّمها الله في القرآن ، وحرّمها رسوله بقوله : يحرم
بالرضاعة ما يحرم بالنسب ، وكذلك حرّمها الإمام مالك .

قلت : يا سادتي ! أنتم ما شاء الله ثمانية ، وأنا واحد ، فإذا تكلمت
مع الجميع ، فسوف لن أقنعكم ، وتضيق المناقشة في الهامشيات ، وإنما
اقترح عليكم اختيار أحدكم ، حتى أتناقش معه ، وأنتم تكونون حكماً
بيني وبينه !

وأعجبتهم الفكرة واستحسنوها ، وسلّموا أمرهم إلى المرشد
الديني قائلين ، إنه أعلمهم وأقدرهم ، وبدأ السيد يسألني كيف أحلّ ما
حرّم الله ، ورسوله ، والأئمة ؟

قلت : أعوذ بالله أن أفعل ذلك ! ولكن الله حرّم الرضاعة بآية
مجملة ، ولم يبيّن تفصيل ذلك ، وإنما أوكل ذلك إلى رسوله ، فأوضح
مقصود الآية بالكيف والكم .

قال : فإن الإمام مالك يحرم الرضاعة من قطرة واحدة
قلت : أعرف ذلك ، ولكن الإمام مالك ليس حجة على

المسلمين ، وإلا فما هو قولك بالأئمة الآخرين ؟

أجاب : رضي الله عنهم وأرضاهم ، فكلهم من رسول الله
ملتمس .

قلت : فما هي إذن حججتك عند الله في تقليدك الإمام مالك الذي
يخالف رأيه نصّ الرسول ﷺ ؟ .

قال محتاراً : سبحان الله ! أنا لا أعلم أن الإمام مالكا إمام دار
الهجرة ، يخالف النصوص النبوية ، وتحير الحاضرون من هذا القول ،
واستغربوا مني هذه الجراءة على الإمام مالك ، والتي لم يعمدوها من قبل
في غيري ، واستدركت قائلاً : هل كان الإمام مالك من الصحابة ؟ قال :
لا ، قلت : هل كان من التابعين ؟ قال : لا ، وإنما هو من تابعي
التابعين .

قلت : فأيهما أقرب هو ، أم الإمام علي بن أبي طالب ؟

قال : الإمام علي أقرب فهو من الخلفاء الراشدين ، وتكلم أحد
الحاضرين قائلاً : سيدنا علي - كرم الله وجهه - هو باب مدينة العلم .

فقلت : فلماذا تركتم باب مدينة العلم ، واتبعتم رجلاً ليس من
الصحابة ، ولا من التابعين ، وإنما ولد بعد الفتنة ، وبعدهما أبيحت مدينة
رسول الله لجيش يزيد ، وفعلوا فيها ما فعلوا ، وقتلوا خيار الصحابة ،
وانتهكوا فيها المحارم ، وغتروا سنة الرسول ببدع ابتدعوها ، فكيف
يطمنّ الإنسان بعد ذلك إلى هؤلاء الأئمة الذين رضيت عنهم السلطة
الحاكمة لأنهم أفتوها بما يلائم أهواءهم .

وتكلم أحدهم وقال : سمعنا أنك شيعي تعبد الإمام علياً ؟ فلكزه

صاحبه الذي كان بجانبه لكزة أوجعته ، وقال له : اسكت أما تستحي أن تقول مثل هذا القول لرجل فاضل مثل هذا ، وقد عرفت العلماء ، وحتى الآن لم تر عيني مكتبة مثل هذه المكتبة ، وهذا الرجل يتكلم عن معرفة ووثوق بما يقول ! .

أجبت قائلاً : أنا شيعي ، هذا صحيح ، ولكن الشيعة لا يعبدون علياً ، وإنما عوَض أن يقلدوا الإمام مالكا ، فهم يقلدون الإمام علياً ، لأنه باب مدينة العلم حسب شهادتكم . قال المرشد الديني : وهل حلَّ الإمام علي زواج الرضيعين ؟

قلت : لا ولكنه يحرم ذلك إذا بلغت الرضاعة خمس عشرة رضة مشبعات ومتواليات ، أو ما أثبت لحماً وعظماً .

وتهلَّل وجه والد الزوجة وقال : الحمد لله ، فابنتي لم ترضع إلا مرتين أو ثلاث مرَّات فقط ، وإن في قول الإمام علي هذا مخرجاً لنا من هذه الورطة ، ورحمة لنا من الله بعد أن بشنا .

فقال المرشد : أعطنا الدليل على هذا القول حتى نفتنح ، فأعطيتهم كتاب (منهاج الصالحين : للسيد الخوئي) ، وقرأ هو بنفسه عليهم باب الرضاعة ، وفرحوا بذلك فرحاً عظيماً ، وخصوصاً الزوج الذي كان خائفاً أن لا يكون لديّ الدليل المقنع ، وطلبوا مني إعارتهم الكتاب حتى يحتجوا به في قريتهم ، فسلمته إليهم ، وخرجوا مودعين داعين معتردين .

وبمجرد خروجهم من بيتي ، التقى بهم أحد المناوئين ، وحملهم إلى بعض علماء السوء ، فخوفوهم وحذروهم بأنني عميل لإسرائيل ، وأن كتاب (منهاج الصالحين) الذي أعطيتهم إياه ، كله ضلالة ، وأن أهل

العراق هم أهل الكفر والتفاق ، وأن الشيعة مجوس ، يبيحون نكاح الأخوات ، فلا غرابة إذن في إباحتي لهم نكاح الأخت من الرضاعة ، إلى غير ذلك من التهم والأراجيف .

وما زال بهم يحذّره حتى ارتدّوا على أعقابهم ، وانقلبوا بعد اقتناعهم ، وأجبروا الزوج على أن يتقدم بدعوى عدلية للطلاق لدى المحكمة الابتدائية في (قفصة) ، وطلب منهم رئيس المحكمة أن يذهبوا إلى العاصمة ، ويتصلوا بمفتي الجمهورية ليحلّ هذا الإشكال .

وسافر الزوج وبقي هناك شهراً كاملاً ، حتى تمكن من مقابته ، وقصّ عليه قصّته من أولها إلى آخرها ، وسأله مفتي الجمهورية عن العلماء الذين قالوا بحلّية الزواج وصحته ، فأجاب الزوج بأنّه ليس هناك من قال بحلّيته غير شخص واحد هو التيجاني السماوي ، وسجّل المفتي اسمي ، وقال للزوج : إرجع أنت ، وسوف أبعث أنا برسالة إلى رئيس المحكمة في (قفصة) ، وبالفعل جاءت الرسالة من مفتي الجمهورية ، وأطلع عليها وكيل الزوج ، وأعلمه بأنّ مفتي الجمهورية حرّم ذلك الزواج .

هذا ما قصّه عليّ زوج المرأة الذي بدا عليه الضعف والإرهاق من كثرة التعب ، وهو يعتذر إليّ مما سبّه لي من إزعاج وحرّج ، فشكرته على عواطفه متمجّباً كيف يُبطل مفتي الجمهورية الزواج القائم في مثل هذه القضية ، وطلبت منه أن يأتيني برسالته التي بعثها إلى المحكمة ، حتى أنشرها في الصحف التونسية ، وأبيّن أنّ مفتي الجمهورية يجهل المذاهب الإسلامية ، ولا يعرف اختلافهم الفقهي في مسألة الرضاعة .

فقال الزوج : إنه لا يمكنه أن يطلع على ملفّ قضيته ، فضلاً عن أن

يأتيني برسالة منه ، والفرقنا .

وبعد بضعة أيام جاءني دعوة من رئيس المحكمة ، يأمرني فيها بإحضار الكتاب والأدلة على عدم بطلان ذلك الزواج بين (الرضيعين) ! ، وذهبت محملاً بعدة مصادر انتقيتها مسبقاً ، ووضعت في كلٍّ منها بطاقة في باب الرضاة ، ليسهل تخريجه في لحظة واحدة ، وذهبت في اليوم والساعة المذكورين ، واستقبلني كاتب المحكمة ، وأدخلني إلى مكتب الرئيس ، وفوجئت برئيس المحكمة الابتدائية ، ورئيس محكمة الناحية ، ووكيل الجمهورية ، ومعهم ثلاثة أعضاء ، وكلهم يرتدون لباسهم الخاص للقضاء وكأنهم في جلسة رسمية ، ولاحظت أيضاً أن زوج المرأة يجلس في آخر القاعة قبلهم ، وسلّمت على الجميع ، فكانوا كلهم ينظرون إليّ باشمئزاز واحتقار ، ولما جلست خاطبني الرئيس بلهجة خشنة قائلاً :

- أنت هو التيجاني السماوي ؟ قلت : نعم .

- قال : أنت الذي أثبت بصحة الزواج في هذه القضية ؟

- قلت : لا لست أنا بمفتٍ ، ولكن الأئمة وعلماء المسلمين هم الذين أفتوا بحليته وصحته .

- قال : ومن أجل ذلك دهوناك ، وأنت الآن في قفص الاتهام ، فإذا لم تثبت دعواك بالدليل ، فسوف نحكم بسجنك ، وسوف لن تخرج من هنا إلّا إلى السجن .

وعرفت وقتها أنني بالفعل في قفص الاتهام ، لا لأتني أفتيت في هذه القضية ، ولكن لأن بعض علماء السوء حدّث هؤلاء الحكّام بأنني صاحب فتنة ، وأتني أسبّ الصحابة ، وأبثّ التشيع لآل البيت النبوي ،

وقد قال له رئيس المحكمة : إذا أتيتني بشاهدين ضدّه ، فسألقيه في السجن !

أضف إلى ذلك أنّ جماعة من الإخوان المسلمين ، استغلّوا هذه الفتوى ، وروّجوا لدى الخاص والعام أنّي أبيع نكاح الأخوات ، وهو قول الشيعة على زعمهم !

كل ذلك عرفته من قبل ، وتيقنته عندما هدّدي رئيس المحكمة بالسجن ، فلم يبق أمامي إلّا التحدي ، والدفاع عن نفسي ، بكل شجاعة ، فقلت للرئيس :

- هل لي أن أتكلّم بصراحة ، وبدون خوف ؟ قال :

- نعم تكلّم فأنت ليس لك محام .. قلت :

- قبل كل شيء ، أنا لم أنصّب نفسي للإفتاء ، ولكن ها هو زوج المرأة أمامكم فاسألوه ، فهو الذي جاءني إلى بيتي بطرق بابي ، ويسألني ، فكان واجباً عليّ أن أجيبه بما أعلم ، وقد سأله بدوري عن عدد الرضعات ، ولما أعلمني بأن زوجته لم ترضع غير مرتين ، أعطيته وقتها حكم الإسلام فيها ، فلست أنا من المجتهدين ، ولا من المشرّعين .

قال الرئيس : عجباً ، أنت الآن تدّعي أنّك تعرف الإسلام ، ونحن نجعله ! قلت : أستغفر الله أنا لم أقصد هذا ، ولكن كل الناس هنا يعرفون مذهب الإمام مالك ، ويتوقّفون عنده ، وأنا فتشت في كلّ المذاهب ، ووجدت حلاً لهذه القضية .

قال الرئيس : أين وجدت الحلّ ؟ قلت :

- قبل كل شيء هل لي أن أسألكم سؤالاً يا سيدي الرئيس ؟

- قال : إسأل ما تريد .

- قلت : ما قولكم في المذاهب الإسلامية ؟

- قال : كلها صحيحة ، فكلهم من رسول الله ملتصق ، وفي اختلافهم رحمة .

- قلت : فارحموا إذن هذا المسكين « مشيراً إلى زوج المرأة » الذي قضى الآن أكثر من شهرين وهو مفارق لزوجته وولده ، بينما هناك من المذاهب الإسلامية من حلّ مشكلته .
فقال الرئيس مغضباً :

- هات الدليل ، وكفاك تهريجاً ، نحن سمحنا لك بالدفاع عن نفسك ، فأصبحت محامياً لغيرك .

فأخرجت له من حقيبتي كتاب (منهاج الصالحين للسيد الخوئي) وقلت : هذا مذهب أهل البيت ، وفيه الدليل ، فقاطعتني قائلاً : دعنا من مذهب أهل البيت ، فنحن لا نعرفه ، ولا نؤمن به !

كنت متوقفاً هذا ، ولذلك أحضرت معي بعد البحث والتنقيب عدّة مصادر لأهل السنّة والجماعة ، كنت ربّتها حسب علمي ، فوضعت البخاري في المرتبة الأولى ، ثم صحيح مسلم ، وبعده كتاب الفتاوى لمحمود شلتوت ، وكتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد ، وكتاب (زاد المسير في علم التفسير) لابن الجوزي ، وعدّة مصادر أخرى من كتب (أهل السنّة) . ولما رفض الرئيس أن ينظر في كتاب السيد الخوئي ، سأله عن الكتب التي يثق بها ، قال : البخاري ومسلم .

وأخرجت صحيح البخاري ، وفتحته على الصفحة المعينة ،
وقلت : تفضل يا سيدي وإقرأ .

- قال : إقرأ أنت ؟ وقرأت : حدثنا فلان عن فلان ، عن عائشة
أم المؤمنين قالت : تُوِّفِي رسول الله ﷺ ولم يحرم من الرضعات إلا
خمساً فما فوق .

وأخذ الرئيس مني الكتاب ، وقرأ بنفسه ، وأعطاه إلى وكيل
الجمهورية بجانبه ، فقرأ هو الآخر ، وناول له لمن بعده ، في حين أخرجت
صحيح مسلم ، وأطلعته على نفس الأحاديث ، ثم فتحت كتاب الفتاوى
لشيوخ الأزهر شلتوت ، وقد ذكر هو الآخر اختلافات الأئمة في مسألة
الرضاعة ، فمنهم من ذهب إلى القول بأن المحرم ما بلغ خمس عشرة
رضعة ، ومنهم من قال بسبعة ، ومنهم من حرم فوق الخمسة عدا مالك
الذي خالف النص ، وحرم قطرة واحدة . ثم قال شلتوت : وأنا أميل إلى
أوسط الآراء فأقول سبعمائة فما فوق .

وبعد ما أطلع رئيس المحكمة على كل ذلك قال : يكفي . ثم
التفت إلى زوج المرأة ، وقال له : إذهب الآن ، واثني بوالد زوجتك
ليشهد أمامي بأنها وضعت مرتين أو ثلاثاً ، وسوف تأخذ زوجتك معك
هذا اليوم ..

وطار المسكين فرحاً ، واعتذر وكيل الجمهورية ، وبقيّة الأعضاء
الحاضرين للالتحاق بأعمالهم ، وأذن لهم الرئيس ، ولما خلا بنا
المجلس التفت إليّ معتذراً وقال : سامحني يا أستاذ لقد غلطوني فيك ،
وقالوا فيك أشياء غريبة ، وأنا الآن عرفت أنهم حاسدون ومغرضون
يريدون بك شراً .

وطار قلبي فرحاً بهذا التحول السريع وقلت : الحمد لله الذي جعل
نصري على يدبك يا سيدي الرئيس ، فقال : سمعت بأن عندك مكتبة
عظيمة ، فهل يوجد فيها كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري ؟

قلت : نعم ، فقال : هل تعبرني إياه ، فقد مضى عامان ، وأنا
أبحث عنه . قلت : هو لك يا سيدي متى أردت ، قال : هل عندك وقت
يسمح لك بالمجيء إلى مكتبتي لتحدث ، وأستفيد منك ؟

قلت : أستغفر الله فأنا الذي أستفيد منك ، فأنت أكبر مني سنّاً
وقدراً ، وعندي أربعة أيام راحة في الأسبوع ، وأنا رهن إشارتك .
واتفقنا على يوم السبت من كل أسبوع ، لأنه ليس له جلسات
للمحكمة في ذلك اليوم .

وبعد ما طلب منّي أن أترك له كتابي البخاري ومسلم ، وكتاب
الفتاوى لمحمود شلتوت ، لكي يحرّر منها النص ، قام بنفسه وأخرجني
من مكتبه مودعاً .

وخرجت فرحاً ، أحمد الله سبحانه على هذا النصر ، وقد دخلت
خائفاً مهزداً بالسجن ، وخرجت وقد انقلب رئيس المحكمة إلى صديق
حميم يحترمني ، ويطلب منّي مجالسته ليستفيد منّي . إنها بركات طريق
أهل البيت الذين لا يخيب من تمسك بهم وبأمن من لجأ إليهم .

وتحدثت زوج المرأة في قريته ، وشاع الخبر في كل القرى
المجاورة ، بعدما رجعت المرأة إلى بيت زوجها ، وانتهت القضية بحلّة
الزواج ، فأصبح الناس يقولون بأنّي أعلم من الجميع ، وأعلم حتى من
مفتي الجمهورية .

وقد جاء زوج المرأة إلى البيت ، ومعه سيارة كبيرة ، ودعاني إلى القرية أنا وكل عائلتي ، وأعلمني أن كل الأهالي ينتظرون قدومي ، وسيذبحون ثلاثة عجول لإقامة الفرح ، واعتذرت إليه بسبب انشغالي في (قفصة) ، وقلت له : سوف أزورك مرة أخرى إن شاء الله .

وتحدّث رئيس المحكمة إلى أصدقائه ، واشتهرت القضية ، ورد الله كيد الكائدين ، وجاء بعضهم معذرين ، وقد فتح الله بصيرة البعض منهم فاستبصروا وأصبحوا من المخلصين ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله الطاهرين
رسالة مفتوحة إلى السيد أبو الحسن الندوي^(١) ، العالم الهندي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد :

أنا محمد التيجاني السماوي التونسي الذي منّ الله عليه بالهداية
والتوفيق ، فاعتنق مذهب أهل البيت النبوي ، بعد بحث طويل ، وبعدما
كنت مالِكياً ، ومن أتباع الطريقة الصوفية المشهورة في شمال إفريقيا ،
وهي التيجانية ، وعرفتُ الحق من خلال رحلة موفقة إلى علماء الشيعة ،
وكتبْتُ في ذلك كتاباً أسميته « ثم اهتديت » ثم طبعه عندكم في الهند من
طرف المجمع العلمي الإسلامي بعدة لغات ، وبالمناسبة دُعيتُ لزيارة
الهند .

سيدي العزيز ! قدمتُ إلى الهند في زيارة قصيرة ، وكان أُملي أن
التقي بحضرتكم لما أسمع عنكم ، ولما أعلمه بأنكم المشار إليه بين أهل

(١) من كبار علماء السنة في الهند، وله مؤسسة ثقافية كبيرة مشهورة بـ «دار الندوة»
في (لكهنو) (المؤلف).

السنة والجماعة عندكم . ولكن عافني عن ذلك بعد المسافة ، وضيق الوقت ، واكتفيت بزيارة مدينة « بومباي » ، و « بونة » و « جبل بور » ، وبعض المدن الأخرى في (كوجراتي) ، وتألّمت كثيراً لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنة والجماعة ، وإخوانهم المسلمين من الشيعة .

وقد كنتُ أسمع بأنهم يتحاربون ويتقاتلون أحياناً ، وتُسفك دماء بريئة من الطرفين باسم الإسلام .

ولم أكن أصدّق ، معتقداً بأنه مبالغة في التشويه ، ولكن ما شاهدته وما سمعته خلال زيارتي ، يبعث حقاً على الحيرة والاستغراب ، وأيقنتُ بأنّ هناك نوايا خبيسة ، ومؤامرات خطيرة ، تُحاك ضد الإسلام والمسلمين للقضاء عليهم جميعاً ، سنة وشيعة . ومما زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً ، تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنة ، يتقدّمهم الشيخ عزيز الرحمن ، مفتي الجماعة الإسلامية ، وكان اللقاء في مسجدهم « ببومباي » ، وبدعوة منهم .

وما أن حللتُ بينهم ، حتّى بدأ الازدراء والتهكّم ، والسبّ واللّعن ، لشيعة آل البيت ، وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثارتي ، لعلمهم مسبقاً بأنّي قد ألّفت كتاباً يدعو للتمسك بمذهب أهل البيت ، سلام الله عليهم . ولكنّي فهمتُ قصدهم ، وتمالكْتُ أعصابي ، وابتسمتُ لهم قائلاً : أنا ضيف عندكم ، وأنتم الذين دعوتموني فجئتكم مُسرّعاً مُلْتَبِياً ، فهل دعوتموني لتسبّوني وتشتّموني ، وهل هذه هي الأخلاق التي علّمكم إياها الإسلام ؟؟ فأجابوني بكلّ صلابة بأنّي لم أكن يوماً في حياتي مسلماً ، لأنني شيعي ، والشيعة ليسوا من الإسلام في شيء ، وأقسموا على ذلك .

قلتُ : اتقوا الله يا إخواني ، فربنا واحد ، ونبينا واحد ، وكتابتنا واحد ، وقبلتنا واحدة ، والشعبة يوحّدون الله ، ويعملون بالإسلام اقتداءً بالنبي وأهل بيته ، وهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويحجون بيت الله الحرام ، فكيف يجوز لكم تكفيرهم ؟؟

أجابوني : أنتم لا تؤمنون بالقرآن ، أنتم منافقون تعملون بالتقية وإمامكم قال : التقية دهنى ودين آبائي . وأنتم فرقة يهودية أسسها عبد الله بن سبأ اليهودي .

قلتُ لهم مبسماً : دهونا من الشيعة ، وتكلّموا معي أنا شخصياً ، فقد كنتُ مالِكياً مثلكم ، واقتنعتُ بعد بحث طويل بأن أهل البيت هم أحق وأولى بالاتباع ، فهل عندكم حجة تجادلوني بها ، أو تسألوني ما هو دليلي وحجتي ، عسى أن نفهم بعضنا بعضاً ؟

قالوا : أهل البيت هم نساء النبي ، وأنّ لا تعرف من القرآن شيئاً !

قلتُ : فإن صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، يُفيدان غير ما ذكرتُم ! قالوا : كل ما في البخاري ومسلم ، وكتب السنة الأخرى من حجج تحتجون بها ، هي من وضع الشيعة ، دسوها في كتبنا .

أجبتهم ضاحكاً : إذا كان الشيعة وصلوا للدس في كتبكم ، وفي صحاحكم ، فلا حبرة ولا قيمة لها ، ولا لمذهبكم القائم عليها !! فسكتوا وأفحموا ، ولكن أحدهم عمّد إلى التهريج والإثارة من جديد فقال : من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين : سيدنا أبي بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي ، وسيدنا معاوية ، وسيدنا يزيد - رضي الله عنه وأرضاه - فليس بمسلم ! .

ودهدشت لهذا الكلام الذي ما سمعتُ مثله في حياتي ، وهو تكفير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابنه يزيد ، وقلتُ في نفسي : معقول أن يترضى المسلمون على أبي بكر وعمر وعثمان ، فهذا أمرٌ طبعي ، أما على يزيد فلم أسمع ذلك إلا في الهند . والتفتُ إليهم جميعاً أسألهم : أنوافقون هذا على رأيهِ ! فأجابوا كلهم : نعم .

وعند ذلك عرفت بأن لا فائدة في مواصلة الكلام ، وفهمتُ بأنهم إنما يريدون إثارتِي حتى ينتقموا مِنِّي ، وربما يقتلونني بدعوى سب الصحابة فمن يدري ؟

ورأيتُ في أعينهم شراً ، وطلبتُ من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يُخرجني فوراً ، فأخرجني ، وهو يتحسّر ويعتذر إليَّ على ما وقع . وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء ، أن يتعرّف على الحقيقة ، هو الشاب المهدّب شرف الدين ، صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في « بومباي » ، فهو شاهد على كل ما دار بيننا من هذه المحاوراة المذكورة ، ولم يُخفِ استيائه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنهم من أكبر العلماء .

وغادرتهم وأنا ساخط متأسف على ما وصلت إليه حالة المسلمين ، وخصوصاً الذين يتزعمون مراكز الصدارة ، ويتسمون بالعلماء ، وقلت في نفسي : إذا كان العلماء بهذه الدرجة من التعصّب الأعمى ، فكيف يكون عامة الناس وجهالهم ؟ وعرفت عندئذ كيف كانت تقوم المعارك والحروب التي تسفك فيها الدماء المحرّمة ، وتُهتك فيها الأعراض والمُحرّمات ، باسم الدفاع عن الإسلام ، وبكيث على مصير هذه الأمة التعميسة المنكوبة التي حملها الله سبحانه مسؤولية الهداية ، وحملها

رسول الله ﷺ أيضاً مسؤولية إيصال النور إلى القلوب المظلمة ، فإذا بها تصبح بحاجة إلى بصيص من النور ، وفي وقت يكون فيه في الهند وحدها سبعمائة مليون نسمة ، يعبدون غير الله تعالى ، ويقذسون البقر والأصنام والأوثان ، وبدلاً من أن تتوحد جهود المسلمين لهدايتهم ، وإرشادهم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، حتى يُسلموا لرب العالمين ، نرى أن المسلمين اليوم ، وخصوصاً في الهند ، هم بحاجة إلى الهداية والتصحيح .

لهذا سيدي أرفع كتابي إليكم ، داعياً إياكم باسم الله الرحمن الرحيم ، وباسم رسوله الكريم ، وباسم الإسلام العظيم ، ولقوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ أدعوكم أن تقفوا وقفة المسلم الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا تأخذه العصبية ، ولا الطائفية إلى حيث يحب الشيطان وأولياؤه .

أدعوكم لوقفه مخلصه وصريحة ، فأنتم من الذين حملهم الله المسؤولية ما دتم تتكلمون باسم الإسلام في تلك الربوع ، فلا يرضى الله منكم أن تقفوا وقفة المتفرج الراضي بما يقع هنا وهناك من مأس ، يدفع ثمنها الأبرياء من المسلمين ، سنة وشيعة ، والله سائلكم يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة ، ومحاسبكم عن كل شاردة وواردة ، لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وتأتي على قدر الكرام المكارم .

وما دتم تتزعمون علماء الهند ، فمسؤوليتكم عظمى لا شك فيها ، وكلمة منكم قد يكون فيها صلاح الأمة في الهند ، كما قد يكون فيها هلاك الحرث والنسل ، فاتقوا الله يا أولي الألباب ١ .

وبما أن الله سبحانه أعطى للعلماء المرتبة الأولى بعد الملائكة ، فقال عز من قائل : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ﴾ . وإذا كان سبحانه بأمرنا جميعاً بقوله : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ وإذا كان المفسرون يذهبون إلى ضرورة إقامة العدل في الموازين المادية ذات القيمة المحدودة ، فما بالكم بإقامة العدل في القضايا العقائدية التي تتأرجح بين الحق والباطل ، وتتوقف عليها هداية البشرية ، ونجاة الإنسانية بأسرها ؟

قال الله تعالى : ﴿ وإذا حكمتم فاحكموا بالعدل ﴾ وقال أيضاً : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ .

وقد قال رسول الله ﷺ : « قل الحق ولو على نفسك ، قل الحق ولو كان مؤراً » .

سيدي العزيز ! إلى كتاب الله أدهوكم ، وإلى سنة رسوله أدهوكم ، فقولوها صريحة مدوية ، ولو كانت مرة تكون لكم شهادة عند الله ، ببرك هل الشيعة عندكم غير مسلمين ؟

هل تعتقدون حقاً أنهم كفار ؟ هل أتباع أهل البيت النبوي الذين يوحدون الله ويعظمونه أكثر من كل الفرق - لقولهم بتزييه عن المشابهة والمساكلة ، والتجسيم ، ويؤمنون برسوله محمد ﷺ ، ويعظمونه أكثر من كل الفرق - لقولهم بعصمته المطلقة حتى قبل البعثة ، هل هؤلاء تحكمون بكفرهم ؟؟

هل الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا ، ويهون هوى عترة النبي وهو الوهم ، كما عرفهم ابن منظور في (لسان العرب) في مادة

شبهة ، فهل تقولون أنتم بأنهم غير مسلمين ؟؟

هل هؤلاء الشيعة الذين يُقيمون الصلاة كأفضل قيام ، ويؤتون الزكاة ، ويزيدون عليها خمس أموالهم ، طاعة لله ولرسوله ، ويعصمون شهر رمضان وغيره من الأيام ، ويحجّون البيت ، ويعظمون شعائر الله ، ويحترمون أولياء الله ، ويتبرّؤون من أعداء الله وأعداء الإسلام ، هل هؤلاء عندكم مشركون ؟؟

هل الذين يقولون بإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وقد نصّ عليهم رسول الله ﷺ كما أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما من صحاح أهل السنة ، هل هؤلاء عندكم مارقين عن الإسلام ؟

وهل كان المسلمون يوماً يجهلون الإمامة ، ولا يقرّون بها ، سواء أكان ذلك في حياة الرسول ، أو بعد وفاته ، حتّى نلتصق نظرية الإمامة ومبادئها بالفرس والمجوس ؟

وهل تقولون فعلاً بكفر من لا يعترف بإمامة يزيد بن معاوية الذي عرف فسقه الخاص والعام من المسلمين ، ويكفي يزيد خسةً وسقوطاً ، ما أجمع عليه المسلمون من إباحته المدينة المنورة لجيشه وجنده ، يفعلون فيها ما يشاؤون ، لأخذ البيعة له بالقهر على أنهم له عبيد ، فقتلوا عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين وهتكوا فيها أعراض المحصنات من النساء والفتيات المسلمات ، حتّى ولدن من سفاح ما لا يُحصى عدده إلا الله . ويكفيه عاراً وشناراً وخزياً مدى الدهر ، قتله سيد شباب أهل الجنة ، وسببه بنات الرسول ، وضربه ثانياً الحسين بقضييه ، وتمثله بالآبيات المعروفة :

« ليت أشيأخي بيدر شهدوا. » إلى قوله :

« لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل »

وهو صريح بأنه لا يؤمن بنبوّة محمد ، ولا بالقرآن الكريم ، فهل حقاً توافقون على تكفير من تبرأ من يزيد وأبيه معاوية الذي كان يلعن عليّاً ، ويأمر بلعنه ، بل ويقتل كل من امتنع عن ذلك من خيرة الصحابة ، كما فعل مع حجر بن عدي الكندي وأصحابه ، وسنّها سنة متبعة دامت سبعين عاماً ، وهو يعلم قول الرسول ﷺ : « من سبّ عليّاً فقد سبّني ، ومن سبّني فقد سبّ الله » ، كما أخرج ذلك صحاح أهل السنة . إضافة إلى ما قام به من أعمال تتنافى مع الإسلام ، وقتله الأبرياء والصلحاء من أجل أخذ البيعة لابنه يزيد بالقهر والقوة ، وقتله الحسن بن علي عن طريق جمعة بنت الأشعث ، إلى جرائم أخرى كثيرة يذكرها له التاريخ عند أهل السنة ، كما يشهد له بها شيعة علي .

فما أظنكم سيدي توافقون على كل ذلك ، وإلا فعلى الإسلام السلام ، وعلى الدنيا العفا . وعندها لا يبقى بعد ذلك مقاييس ، ولا عقل ، ولا شرع ، ولا منطق ، ولا دليل .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ . ولقد صدق والله عالم الباكستان المغفور له أبو الأعلى المودودي رحمه الله ، عندما ذكر في كتابه المستمى بـ « الخلافة والملك » في صفحة (١٠٦) نقلاً عن الحسن البصري قوله :

أربع خصال كن في معاوية ، لو لم تكن له إلا واحدة لكانت موبقة

له :

١ - أخذه الأمر من غير مشورة المسلمين ، وفيهم بقايا الصحابة ، ونور الفضيلة .

٢ - استخلافه بعده ابنه الكبير الخمير الذي يلبس الحرير ، ويضرب الطناوير .

٣ - إدهاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراس ، وللعاقر الحجر » .

٤ - قتله حجراً وأصحاب حجر ، فيا ويلاً له من حجر ، وأصحاب حجر (أحادها ثلاثاً) .

فرحم الله أبا الأعلى المودودي الذي صدع بالحق ، ولو شاء لزاد فوق هذه الخصال الأربع أربعين ، ولكنه عليه السلام رأى أن في ذلك كفاية ، لتكون موبقة لمعاوية ، والمعروف أن كلمة موبقة معناها (توبق في النار) .

ولعل المودودي كان يراعي عواطف الناس الذين تعلموا من أسلافهم تقديس معاوية واحترامه ، والترضي عليه ، بل وحتى على ابنه يزيد أيضاً ، كما سمعت ذلك بنفسي من علمائكم في الهند ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولكل ذلك راعيت أنا أيضاً عواطف أولئك الذين دعوني ليستغفروني ، فلم أذكر لهم شيئاً من ذلك خوفاً على نفسي .

فأنا أهاب بكم سيدي ، أن تقفوا وقفة صريحة ، تبغون بها وجه الله تعالى ، فإن الله لا يستحي من الحق ، ولا أطلب منكم الاعتراف

بمساوى هؤلاء ، ولا بنشر فضائلهم ، فالتاريخ كفانا وإياكم مؤونة ذلك .

ولكن المطلوب منكم أن تعترفوا ، وتعلموا أتباعكم بأن الذين لا يعترفون بإمامة هؤلاء ، ولا يوالونهم ، هم مسلمون حقيقيون ، جديرون بالإحترام ، وليس في ذلك شك . أن تقولوا بأن الشيعة مظلومون على مرّ التاريخ ، لأنهم لم يتبعوا ، ولم يعترفوا بإمامة الشجرة الملعونة التي ضربها الله مثلاً في القرآن .

فما هو ذنب الشيعة بربكم ، إذا كان رسول الله ﷺ يأمر المسلمين باتباع أهل بيته من بعده ، حتى جعلهم كسفينه نوح ، ينجو من يركب فيها ، ويهلك من يتخلف عنها ؟ وما ذنب الشيعة إذا امتثلوا لأمر الرسول بقوله : « تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » كما تشهد بذلك صحاح السنة ، فضلاً عن كتب الشيعة .

وبدلاً من شكرهم ، وتقديرهم ، ونفضيلهم على غيرهم ، لامتثالهم أوامر الرسول ﷺ ، نشتمهم ، ونكفرهم ، ونبتزأ منهم ، فما هذا بإنصاف ولا هو معقول .

دعونا سيدي من أقوال التخريف والتزييف التي لم تعد تقوم على دليل وبرهان ، ولم تعد تنطلي على المثقفين من أبناء أمتنا ، من أن الشيعة لهم قرآن خاص بهم ، أو أنهم يقولون بأن صاحب الرسالة هو علي ، أو أن عبد الله بن سبأ اليهودي هو مؤسس التشيع ، إلى غير ذلك من الأقوال السخيفة المفروضة التي يشهد الله أنها من خيال أعداء الإسلام ، وأعداء أهل البيت وشيعتهم ، والتي ما أوجدتها إلا التعصب الأعمى ، والجهل

المقيت .

وأنا أسأل سيدي العزيز أين علماء الهند من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية منذ ثلاثين عاماً ، ومن علماء الأزهر الأعلام من يرى بأن الفقه الجعفري الذي تعمل به الشيعة ، هو أشمل ، وأثري ، وأقرب إلى روح الإسلام من المذاهب الإسلامية الأخرى التي هي عيال عليه . وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ، الذي ترأس الأزهر في حياته ، فهل أمثال هؤلاء العلماء لا يعرفون الإسلام والمسلمين ؟ أم أن علماء الهند أعلم منهم وأعرف ؟ فما أظنكم تقولون بذلك . . !!

سيدي الكريم ! أمني فيكم وطيد ، وقلبي إليكم مفتوح بالمحبة والشفقة والحنان ، وقد كنت في ما مضى مثلكم محجوباً عن الحقيقة ، وعن أهل البيت وشيعتهم ، فهداني الله سبحانه إلى الحق الذي ليس بعده إلا الضلال ، وتحررت من قيود التعصب ، والتقليد الأعمى ، وعرفت بأن أغلب المسلمين لا زالت تحجبهم الإشاعات والأباطيل ، وتصدهم الدعايات عن الوصول إلى الحقيقة ، ليركبوا جميعاً في سفينة النجاة ، ويمتنعوا بحبل الله المتين ، فليس هناك كما تعلمون بين السنة والشيعة فرقاً إلا فيما اختلفوا فيه بعد الرسول من أجل الخلافة ، وأساس الفرقة هو اعتقادهم في الصحابة رضي الله عنهم ، اختلفوا فيما بينهم حتى لعنوا بعضهم ، بل وتحاربوا وقتل بعضهم بعضاً .

فإن يكن الاختلاف فيهم خروجاً عن الإسلام ، فالصحابة هم أولى بهذه التهمة ، والعياذ بالله . ولا أعتقد بأنكم ترضون بذلك ، والإنصاف يدعوكم أن لا ترضوا بإخراج الشيعة عن الإسلام ، وكما دأب الشيعة على تقدس أهل البيت واحترامهم ، كذلك دأب السنة على احترام الصحابة

وتقدّسهم أجمعين ، وشَتان بين الموقفين ، فإذا كان الشيعة في ذلك مُخطئين ، فأهل السنة أولى بالخطأ ، لأن الصحابة بأجمعهم يُقدّمون على أنفسهم أهل البيت ، ويصلّون عليهم كصلاتهم على النبي ، ولم نعرف أحداً من الصحابة - رضوان الله عليهم - قدّم نفسه ، أو فضّلها على أهل بيت المصطفى ، في علم ، أو في عمل .

فالوقت قد حان لرفع المظلمة التاريخية عن شيعة أهل البيت ، والتقارب معهم ، والتآخي والتعاون على البرّ والتقوى - ويكفي هذه الأمة إراقة الدماء ، وإثارة الفتن .

فمسي الله سبحانه يجمع بكم الكلمة ، ويلمّ بكم الشتات ، ويرتق بكم الفتق ، ويُداوي بكم هذه الجراح ، ويُخمد بكم نار الفتنة ، ويُخزي بكم الشيطان وحزبه ، فتكونون عند الله من الفائزين ، خصوصاً وأنكم من سلالة العترة الطاهرة على ما أسمع ، فاعملوا على أن تُحشروا معهم ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ ، ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ وفقكم الله وإيانا لما فيه خير البلاد والعباد وجعلكم الله وإيانا من العاملين المخلصين لوجهه الكريم .

أبعث لسيادتكم وبصحبة هذه الرسالة نسخة من كتابي « ثم اهتديت » الذي ألفته بخصوص هذا الموضوع ، هدية منّي إليكم ، عسى أن يجد لديكم القبول .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
المخلص محمد التيجاني السماوي التونسي

ديواني سنكه الهندي

ولد حوالي (سنة ١١٧٢ هـ) في (دلهي) الهند
وتوفي (سنة ١٢٣٣ هـ) في (لكهنؤ) .

كان اسمه « ديواني سنكه » قبل استبصاره ، وإنه من مذهب الشيخ
ومن عائلة « بهندار » في (بنجاب) ، وكانت هذه العائلة ذات ثروة ،
وكان أفرادها مثقفين ، ومن أهل الفن ، ومنفتحين على أفكار الناس
كلها .

انتقل أهله من بلدته إلى (دلهي) حيث ولد هناك ، وسمى
« ديواني سنكه » فنشأ وترعرع برعاية والديه ، وتعلم ابتداء في بيته ، وقد
كانت العاصمة تفيض بتعلم العلوم الإسلامية آنذاك ، فكانت دروس اللغة
الفارسية على أشدها ، وكانت الكتب الإسلامية منتشرة في كل مكان ،
وفي هذه الأجواء رغب « ديواني سنكه » في تعلم اللغة الفارسية والعربية
والعلوم الإسلامية ، وبدأ يدرس ليلاً ونهاراً .

كان صاحب ذوق سليم ، وفهم عظيم ، وراح ينظم الأشعار في
اللغة الفارسية ، وتمكن من الوصول إلى الميرزا محمد باقر الشهيد

الإصفهاني الذي كان ساكناً في (فيض آباد) ، وبدأ يتعلم اللغة الفارسية منه ، وكان يباحثه حول المذهب الإسلامي الشيعي ، فافتنع بهذا المذهب بعد فترة ، وأعلن اختياره له وغيّر اسمه من « ديواني سنگه » إلى محمد حسن ، واختار اسمه الصغير « قتيل » في الأشعار ، فاشتهر « محمد حسن قتيل » .

ثم سافر إلى العراق وإيران لإكمال دراسته العالية ، وأصبح عالماً كبيراً في القواعد العربية ، وعلم العروض ، ورجع إلى الهند ، وسكن في (لكهنؤ) وتوفي هناك .

كتبه : هفت ضابطه (سبعة قواعد) شجرة الألمانى - نهر الفصاحة - چار شربت (أربعة شراب) دریائی لطافت (بحر اللطافة) إنشاء قتيل - دیوان شعر^(۱) .

(۱) مطلع أنوار: ص ۵۱۴ .

محمد عمر خان

لم أجد تاريخ ولادته توفي (سنة ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) . حكيم محمد عمر خان بن أخوان زاده بن حكيم بايزيد خان . كان متعصباً في مذهبه الشني تعلم العلوم والفنون واللغة الفارسية والعربية في (رامپور) بالهند ، وكان جامعاً في العلوم المعقولة والمنقولة ، ومناظراً ، باحثاً ، واعظاً وطبيباً حاذقاً ، أمضى أغلب أوقاته مع السيد مهدي علي خان بهادر ، فتأثر بأحاديثه وتشيع ، ثم خرج من (رام پور) ، ووصل إلى منطقة (جاوړه) ، وتوفي هناك .

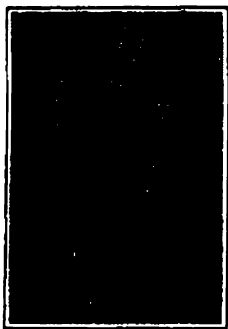
وعرف من كتبه : حاشية عيني شرح الهداية - رسالة طنطنة صولت وغيرهما^(١) .

(١) مطلع أنوار : ص ٥٨٥ .

محمد يار

كان سني المذهب ، وتشيع بعد التحقيق في المذاهب الإسلامية .
دخل جامعة الناظمية في (لكهنؤ) ، وحصل على شهادتها الأخيرة :
« ممتاز الأفاضل » ، والتزم التدريس هناك ، ثم انتقل إلى (ملتان) وبدأ
يُدرس في إحدى المدارس هناك ^(١) .

(١) إثبات حق: ص ١٢ .



الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي

إليكم نص ما ورد في كتابه « لماذا اخترت مذهب الشيعة مذهب
أهل البيت » :

كانت ولادتي (سنة ١٣١٤ هـ) في قرية من القرى التابعة
إلى (أنطاكية) ، تبعد عنها ما يقرب من أربعة فراسخ ،
تدعى (عنصو) ، وهي قرية جميلة لطيف هواؤها ، عذب ماؤها ، تقع
بمكان مرتفع ، ذات أشجار كثيرة متنوعة ، وأكثرها التين ، والعنب ،
والزيتون ، وفيها الجوز واللوز والرمان ، وغيرها .

وكان فيها شيخ يُعَلِّم القرآن والكتابة فقط ، وذلك للنصبيان ،
فوضعتني والدي عنده لأتعلَّم القرآن والكتابة ، ثم بعد أن انتهيتُ من القرآن
والكتابة ضَعَنِي والدي إليه لأعينه في بعض الأعمال .

ولما بلغت سن الرشد ، وقع في نفسي حُب أهل العلم والعلماء ،
فإذا رأيت عالماً ، قمت في خدمته حسب وسعي ، ثم أُلقي في روعي
حب طلب العلم . وكان حينئذ شيخ في قرية قرب قريتنا يُدعى الشيخ
رجب ، وهو من أهل العلم ، فبدأت أنا وأخي الشيخ أحمد عنده ، وبقينا

ما يقرب من ثلاث سنين .

ثم انتقلنا إلى (أنطاكية) ودخلنا المدرسة بواسطة شيخ يدعى الشيخ نظيف ، فأخذنا بالدراسة عنده ، وعند والده الشيخ أحمد أفندي الطويل ، وبقينا فيها مدة سبع سنين تقريباً . وفي أثناء هذه المدة أتى إلى (أنطاكية) شيخ عالم جليل ، يدعى الشيخ محمد سعيد العرفي من بلدة (دير الزور) ، وكان مبعداً من قبل الدولة الفرنسية أثناء احتلالها القطر السوري بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٩) ، وقد أخذنا عنه أيضاً مدة إقامته في (أنطاكية) في الجامع الأزهر .

ثم ارتحلنا إلى مصر ، وكان السابق إليها أخي ، ودخلنا الجامع الأزهر للدراسة . وبعد مدة قليلة تقرب من شهر ، من دخولنا الجامع الأزهر ، أتى الشيخ محمد سعيد المذكور إلى مصر ، وحصلت لنا منه بذلك فوائد كثيرة ، وقد أخذنا في الجامع جل العلوم عن عدة مشايخ من أعلام مصر .

أساتذتي في الأزهر :

١ - العلامة الأكبر الشيخ مصطفى المراغي ، شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى .

٢ - العلامة الكبير الشيخ محمد أبوطه المهني .

٣ - العلامة الكبير الشيخ رحيم ، وغير هؤلاء من أعظم مشيخة الأزهر ، ممن يطول الكلام بذكر أسمائهم .

حصول الشهادة :

ولما فرغنا من التحصيل ، وحصلت لنا شهادات راقية ، وأردنا

العودة إلى بلادنا ، طلب منا بعض أعلام مصر ، أن نبقي فيها لتكون من
عداد المدرسين بالأزهر ، غير أننا وجدنا بلادنا أحوج إلينا من بقائنا
في (مصر) إذ أن (مصر) بلد العلم والفضيلة ، وفيها العلماء
الفتاحل ، فهم في غنى عنا ، ولكن بلادنا خالية من العلماء المبرزين إلا
قليلاً ، سيما في الفقه والتفسير والحديث ، كدت لا ترى من يُتقنها .

عودتنا إلى البلاد :

فعدنا إلى البلاد ، وأخذنا نمتحن إمامة الجماعة والجمعة ،
والتدريس والإفتاء ، والخطابة ، مدة طويلة ، نحو خمسة عشر عاماً .

الخلاف بين المذاهب الأربعة :

وكنّا في هذه المدة نتذاكر في شأن الخلاف بين المذاهب الأربعة ،
أنا وأخي الشيخ أحمد ، ونتعجب منه ، وإذ ذاك نجد في المسألة خلافاً
في نفس المذهب ، وفي كثير من المسائل الخلافية ، فضلاً عن الخلاف
الواقع بينه وبين المذاهب الثلاثة ، حتى رأينا أن بعض المذاهب يحلّل
مسألة ، والآخري يحرم ، وبعضنا يكره ، والآخريسن ، وهكذا دواليك .

مثلاً : إن الشافعي يقول : إن لمس المرأة الأجنبية يوجب
الوضوء ، والحنفي يقول بخلافه ويخالفهما مالك ~~بأنه~~ حيث يقول : إن
اللمس إذا كان بشهوة ، أو عن عمد ، وجب الوضوء وإلا فلا .

أيضاً : الشافعي يجيز نكاح البنت من الزنا ، ويخالفه الثلاثة .
والحنفي يقول بوجوب الوضوء من خروج الدم من البدن ، ولو قليلاً ،
ويخالفه الثلاثة . أيضاً : والحنفي يجيز الوضوء بالنبيل واللبن المشوب
بالماء ، ويخالفه الثلاثة . ويقول مالك بجواز أكل لحم الكلاب ،
ويخالفه الثلاثة . والشافعي يجيز أكل لحم الضبع والجري والشعلب ،

وأبو حنيفة يحرم أكلها . والقنافذ يحللها الشافعي ، والآخرون يحرمونه .
إلى كثير من هذا الخلاف الواقع بينهم من أول الفقه إلى آخره .

يا سبحان الله ! أفهل كانت الشريعة ناقصة لم تتم حتى أتوا بما أتوا
به من الخلاف الدائر بينهم ، فهذا يحلل ، وذاك يحرم ، والآخر يجيز ،
وذاك بالعكس ؟!

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حلال محمد حلال إلى
يوم القيامة ، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة » .

أما ترى أَنَّ الشافعي رضي الله عنه نفسه قد ألف مذهب القديم ،
ونشره بين المسلمين في (العراق) ، و (الحجاز) ، و (اليمن)
و (الشام) . ثم ارتحل إلى (مصر) لأمر ما ، وخالط المغاربة ، وأخذ
عنهم ، فعذّل عن مذهب القديم ، وألف مذهباً آخر أسماه المذهب
الجديد ، حتى لم يبق من المذهب الأول إلا مسائل .

أقول : فإن كان مذهب الأول صحيحاً ، فلماذا أتى بالثاني
وبالعكس . وأيضاً نرى أبا حنيفة يأتي بالقول في إحدى المسائل مثلاً ،
ويأتي (أبو يوسف) أو (محمد) ، أو (زفر) وهم ممن أخذوا عنه ،
وتعلمدوا عليه ، ويخالفونه ، فمرة يكون أحدهم معه ، والآخرون عليه ،
وبالعكس ، أو يخالفه الثلاثة ، أو يوافقونه ، وهكذا مالك ، وأحمد .
والخلاف دائر بينهم في جميع المسائل - وطبعاً هذا مما يوقع في الريب .

الوهابية :

وكنا نسمع عن الوهابية بأنهم يقيمون الحدود ، ويجرون الأحكام
الشرعية تماماً ، فهاجرنا إلى الحجاز ، وتخللنا بينهم مدة ، فوجدنا
الأخبار التي وصلتنا من القطر الحجازي كانت خلاف الواقع ، فإنهم أضروا

على الإسلام من كل شيء ، وقد شوّهوا سمعة الإسلام بأعمالهم
وأفعالهم ، ويسوء فتاوى علمائهم ، ويسوء صنيعهم بالعترة الطاهرة
الأئمة الصالحين وغيرهم ، ، وذلك بهدم قبورهم .

ولعمري ! لقد أرادوا هدم ضريح النبي المقدس ﷺ ، فعارضهم
كثير من المؤمنين من شرق الأرض وغربها ، فتركوه خوف الفتنة والإثارة
فانظر إلى غريب فتواهم .

يقول الوهابي : إذا وضع الحاج أو أي شخص يده على القبر ، فهو
مشرک (ويأتيه الشرطي ويقول : ارفع يدك يا مشرك) وإذا قال القاتل يا
رسول الله ! فهو مشرك .

وإذا أخذ أحد الضرائع ، وقتلها أو تبرّك بها فهو مشرك (ويضربه
الشرطي ويضجّره ويقول له : لا تفعل يا مشرك) . إلى غير ذلك من الآراء
السخيفة التي لا تنطبق على الشرع الإسلامي الشريف أصلاً ، والتي
تضحك التكلّي « وشرّ البلية ما يضحك » .

ثم والخطب الأفظع أنهم يُؤبّخونه عن عمله المقدس بكلمة يا
مشرک ، يا كافر ، وذلك في أول مرة ، فإن قبل فيها ، وإلاّ فهو مباح الدم
يجب قتله ، كما فعله الوهابيون في الحجاز ، وفي العراق ، وغيرهما ،
ولله در القائل :

ومن عجب الدنيا حكيم مُصَفّر وأعمش كحال ، وأعمى منجم
وقارتنا نركبي ، وهندي خطينا تعالوا على الإسلام نبكي ، ونلطم

وما عشت أراك الدهر حجباً ! فماذا تقولون يا أيها المسلمون في
شرق الأرض وغربها بهذا المذهب المخترع الحادث القدر الذي هو كلّ
على الإسلام والمسلمين فإليك يا رب المشتكى منهم !

وبالجملة لما رأينا ما رأينا منهم ، رجعنا إلى بلادنا ، وعدنا إلى ما
كنا نمتنهم من ذي قبل ، وطال بنا الحال (فحتى متى يا رب ا) . إذ لا
نزال في ريب مما نراه من الخلاف الداعي إلى القلق والاضطراب
والتشويش ، إلى أن حدثت أسباب دعت إلى الإنصال بالطائفة الشيعية .
من هم الشيعة ؟ :

هم الطائفة الحقّة المحققة ، والخيرة من خلق الله ، والفرقة الناجية
التي تمسكت بولاء الله ورسوله والأئمة الأطهار من أهل بيته - عليهم
صلوات الله - ، وعرفت حق أئمتها حق المعرفة ، حسب الإمكان ،
وعرفت من عاداهم فأعطت كلاً منهم حقهم .

وهم يعبدون الله وحده ، لا شريك له ، ولا مثيل ، ويؤمنون برسالة
النبي الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ وبولاية الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبقية الأئمة الأحد عشر عليه السلام :

الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، الإمام الحسين الشهيد
بكر بلاء عليه السلام ، الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ، الإمام محمد بن
علي الباقر عليه السلام ، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، الإمام
موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام . الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ،
الإمام الحسن الزكي العسكري عليه السلام . الإمام الحجة المنتظر
المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وسيظهر في آخر الزمان ، ويملا
الأرض عدلاً وقسطاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً . (راجع كتب الفريقين
لتعرف علة بقائه ، وطول عمره) .

وإنهم يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة والخمس ، ويصومون ،
ويحجّون ، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، كما أمر الله

ورسوله ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتسارعون إلى الخيرات . ويأتون بجميع الواجبات ، وينهون عن جميع المحرمات .

الشيعة هم الناجون :

السبب في نجاة هذه الطائفة بالإضافة إلى ما تقدم ، هو امتيازها عن سائر الفرق الإسلامية التي جاء بها الحديث المتفق عليه : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة واحدة » .

وقد رأينا أنّ الأئمة الإسلامية كلها تأتي بكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن قلنا بنجاة الكل كذبنا الحديث . وإن قلنا بهلاك الكل أيضاً كذبنا الحديث ، إذن فالفرقة الناجية هي كما قلنا التي أخذت بولاء آل بيت رسول الله ﷺ .

والدليل على نجاتها قيام الأدلة كتاباً وسنة ثابتة عند الطرفين . إذن فلا بد أن تكون هذه الفرقة التي نجت ، قد امتازت عن سائر الفرق بشيء لم تأخذ به سائر الفرق ، وهو الولاء والبراء . وقولهم أيضاً بعصمة أئمتهم وساداتهم وقادتهم ، وشفعائهم .

فبالله عليك أيها القارئ المنصف الكريم المؤمن : أيقال لمثل هؤلاء كفرة مشركون مرتدّون مهدورو الدم ؟ وينسب إليهم أنواع التهم الباطلة ، والإفتراءات المفتعلة ، والأقاويل الكاذبة الشيعة ، كما أتى به « ابن تيمية ، وابن حجر ، والقصيمي ، والحفناوي ، وموسى جار الله ، وأحمد أمين والجبهاني » وكالمجرم شيخ نوح الذي أفتى بكفر الشيعة وقتلهم ، وسبي نساءهم ، ونهب أموالهم ، واسترقاق ذرايرهم ، وقد ختم فتواه الطويلة بقوله : تابوا أم لم يتوبوا .

انظر إلى نص فتواه المشؤومة في كتاب (الفصول المهمة) للإمام
شرف الدين ، وذلك في الفصل التاسع . اللهم إليك المشتكى ، وأنت
المفزع في الملهمات ! .

وهل تعلم أيها القارئ اللبيب ، ما هو ذنب الشيعة ؟

هو عدم اعترافهم بالخلافة بغير أئمتهم ، كائناً من كان ، بل تقول
إن الخلافة لهم من أول البعثة إلى آخر الدنيا . فبرك قل أهذا ذنب يورث
الكفر والإرتداد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبعد الفحص الشديد ، عرفنا أن عدد الشيعة اليوم أكثر من مائة
مليون بالضبط الدقيق ، ولولا ما لاقوا من أعدائهم من القتل والعدوان ،
وما أصيبوا من ألوان الظلم والإضطهادات ، خلال القرون الغابرة ، لكان
يبلغ عددهم اليوم بألف مليون على الأقل ، وهم منتشرون في كل العالم ،
شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، إلا أن معظمهم في الدول الإسلامية ،
ولهم القدم السابقة ، والقدر المملئ في بث الدعوى الإسلامية
المشكورة ، لم يزل ، ولا يزال يفتخر المسلمون بها ، وقد ملأت الدنيا
كتبهم ، ولا تحصى عددها كثرة ، وعليك بمراجعة كتاب (الذريعة إلى
تصانيف الشيعة) تأليف المجتهد الأكبر الشيخ أغا بزرك
الطهراني (حفظه الله) فإنه مع ما عثر عليه سماحته من مؤلفاتهم ،
ومصنفاتهم ، ذلك القسم الضئيل القليل جداً منها . وفيهم العلماء ،
والفقهاء ، والحكماء ، والفلاسفة ، والمفكرين ، والسلاطين ،
والوزراء ، والأدباء ، والشعراء والكتاب ، والمنجمون ، والرياضيون ،
والفلكيون ، والمهندسون ، والأطباء ، وأرباب الصنائع والمخترعات ،
والنوابغ والجهابذة ، والمشاهير .

وقد ملأوا أرض الله الواسعة علماً وعملاً ، ولهم أيضاً المدارس العلمية ، والمعاهد الدينية ، والمساجد الضخمة المعمورة بالمصلين ، جماعات وأفراداً ، وذلك في شرق الأرض وغربها ، مدنها وقراها .

وهذا الإمام الأكبر ، فقيه الإسلام ، الراحل العظيم ، السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني فإنه قد أسس المساجد والمعاهد ، في مختلف مناطق الدنيا ، وهكذا الإمام البروجردي رحمته الله أرسل دعاة مبشرين إلى أقصى بلاد الأرض ، وبنى هناك مساجد ضخمة جداً ومعابد معمورة منها في (أمريكا) و (ألمانيا) و (لندن) و (باريس) . فهل عرفت الشيعة أيها اللائم ؟ .

ومع الأسف كله ، لم نجد لهم في كتب السير والتاريخ عند القوم ، سوى المطاعن ، والشتم المقلع ، بل الكفر الصريح (ولماذا ؟) السبب يارب لأنهم مشركون ! هكذا في (الصواعق المحرقة) لابن حجر - أحرق الله مؤلفه في الآخرة . وأيضاً إنهم لا يحضرون الجمعة إلا الجماعة ! وهنا الطامة الكبرى فهل يجوز تكفير المسلم بترك الجمعة والجماعة أيها المسلمون ! ؟

الأسباب التي دعتنا إلى الأخذ بمذهب أهل البيت عليهم السلام هي أمور كثيرة ، نذكر منها :

أولاً : رأيت أن العمل بمذهب الشيعة مُجْزٍ ، وتبرأ به الذمة بلا ريب ، وقد أفتى به كثير من علماء السنة من السابقين واللاحقين ، وأخيراً منهم الشيخ الأكبر « زميلنا الشيخ محمود شلتوت رحمته الله » شيخ الجامع الأزهر ، بفتواه الشهيرة المنتشرة في العالم الإسلامي .

ثانياً : ثبت عندي بالأدلة القوية ، والبراهين القاطعة ، والحمجج

الدامغة ، الرصينة الواضحة ، التي هي كالشمس الساطعة في ضاحية النهار ، ليست دونها سحب ، أحقية مذهب أهل البيت عليه السلام ، وأنه هو المذهب الحق الذي أخذه الشيعة عن أئمة أهل البيت عليه السلام عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن جبرائيل ، عن الرب الجليل . وليس فيه دخيل ، ولن يرضوا عنه بديلاً ، حتى يلقوا الرب الجليل ، وأخذه الثقات عن الثقات من يوم البعثة إلى يوم البعث ، لا يختلف آخرهم عن أولهم .

ثالثاً : إنّ الوحي نزل في بيتهم ، وأهل البيت أدري وأعرف بما في البيت من غيرهم . فجدير بالعاقل المتدبّر أن لا يترك ما صح لديه من الأدلة منهم ، ويأخذ من الأجانب الدخلاء .

رابعاً : كثير من الآيات الواردة في الذكر الحكيم ، والقرآن المجيد دالة على مدّعانا ، وسنبيّن جملة منها عن قريب .

خامساً : كثير من الأحاديث المأثورة ، والأخبار الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، دالة على ذلك ، وقد ذكرها الفريقان (السنة والشيعة) في كتبهم ، وستعرض إلى ذكر جملة منها أيضاً قريباً إن شاء الله ، إلى غير ذلك مما لا يسعنا في هذا المختصر الإحاطة به ، وقد أتينا على كثير منه في كتابنا (الشيعة وحقّتهم في التشيع) فراجع هناك تجد ما فيه الكفاية وراجع أيضاً (المراجعات) خصوصاً (المراجعة الرابعة) ترى فيه ما يقتنعك إن كنت منصفاً ، وإلا فعذرك جهلك .

مناظرات بيني وبين بعض علماء الشيعة :

أيضاً من جملة الأسباب التي دعنا إلى التشيع هي وقوع كثير من المناظرات التي جرت بيني وبين بعض علماء الشيعة ، وفي حال المناظرة كنت أجد نفسي محجوجاً معهم ، غير أنني أتجلّد وأدافع دفاع المغلوب ،

مع ما أنا عليه بحمد الله تعالى من الإطلاع الواسع ، والعلم الغزير في مذهب السّنة الشافعية ، وغيره ، إذ أنني تلمّذت حوالي ربع قرن على فطاحل العلماء والجهابذة في مشيخة الأزهر ، حتى حصلت على شهادات راقية ، كما مرّ عليك قريباً وقد طالّت المناظرة بيننا زمناً طويلاً ، لا يقل عن ثلاث سنين تقريباً ، وقد وقع في نفسي شيء من الريب في المذاهب الأربعة ، لكثرة الخلاف فيها ، وسيأتيك قريباً جملة منها .

وأخيراً عثرنا على كتاب جليل ، لإمام عظيم ، وهو كتاب (المراجعات) للمقدس فقيه الأئمة الإسلامية آية الله العظمى ، المجاهد في سبيل الله بقلمه ولسانه ، طيلة حياته ، الإمام الأكبر ، والمجتهد الأعظم ، سماحة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي ، قدس الله روحه الطاهرة ، وأسكنه فسيح جنّته ، مع أجداده الطاهرين ، فأخذت الكتاب ، وبدأت أتصفحه ، وأتدبر مقالاته بدقة وإمعان ، فأدهشتني بلاغته ، وسبك جملة ، وعدوبة ألفاظه ، وحسن معانيه التي قلّ أن يأتي كاتب بمثلها ، ففقت أفكر في هذا الأثر القيم ، والسفر العظيم ، وما فيه من الحكميات والمحاكمات بين مؤلفه المفدّى ، وبين الشيخ الأكبر ، الشيخ سليم البشري ، شيخ الجامع الأزهر ، وذلك بأدلته القاطعة ، وحججه البالغة ، مما يفهم الخصم ، ويقطع عليه حجّته .

وقد رأيت مؤلفه العظيم لم يعتمد في احتجاجه على الخصم من كتب الشيعة ، بل كان اعتماده على كتب السّنة والجماعة ليكون أبلغ في الرد على الخصم ، فبذلك زدت إعجاباً على إعجاب مما جرى به قلمه الشريف .

هذا ولم يعض عليّ الليل ، إلّا وأنا مقتنع تماماً بأنّ الحق والصواب

مع الشيعة ، وأنهم على المذهب الحق الثابت عن رسول الله ﷺ ، عن أهل بيته الطاهرين ﷺ ، ولم يبق لي أدنى شبهة البتة ، واعتقدت بأنهم على خلاف ما يقال فيهم من المطاعن والأقاريل المفتعلة الباطلة .

عرض المراجعات على فضيلة الأخ :

ثم في صبيحة تلك الليلة ، عرضت الكتاب الشريف على أخي وشقيقي ، فضيلة العلامة الفذ ، الحافظ ، الشيخ أحمد أمين الأنطاكي ، حفظه الله ، فقال لي : ما هذا ؟ قلت : كتاب شيعي لمؤلف شيعي . فقال : أبعد عني ، أبعد عني ، أبعد عني (ثلاثاً) ، فإنه من كتب الضلال ، وليس لي به حاجة . وإني أكره الشيعة ، وما هم عليه .

فقلت : خذه واقرأه ، ولا تعمل به ، وماذا يضرك إن قرأته ؟

فأخذ الكتاب ودرسه وطالعه بدقة وإمعان ، وحصل له ما حصل لي من الاعتراف بأحقية المذهب الشيعي ، وقال : إن الشيعة على الحق والصواب ، وغيرهم خاطؤون ، ثم تركت أنا وأخي المذهب الشافعي ، واعتنقنا المذهب الشيعي الجعفري الإمامي ، وذلك لقيام الأدلة الكثيرة الواضحة ، والبراهين الرصينة الناصعة ، فاستراح ضميري بهذا التمسك بالمذهب الجعفري ، وهو مذهب آل بيت النبوة - عليهم صلوات الله وسلامه - أبداً ما دام الليل والنهار ، لعلمي أنني قد حصلت على أقصى غاية ما أريد بأخذ مذهب العترة الطاهرة .

وبذلك أعتقد يقيناً لا يشوبه شك أنني قد نجوت من عذاب الله تعالى ، وأحمد الله تعالى ثانياً على نجاة عائلتي كلها ، وكثير من أقربائي وأصدقائي وغيرهم ، وهذا فضل ونعمة من الله لا يقدر قدرها إلا هو ، وهي ولاية آل الرسول ، فإنه لا نجاة إلا بولايتهم ، والحديث متفق عليه

سُنَّة وشيعة ، وهو قول رسول الله ﷺ : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهلك » .

وأسأل المولى ، جلّ وعلا ، أن يوفقنا لمرضاته بولايتهم وبحبهم ، إنه أكرم مسؤول ، وولي الإجابة .

تشيع جماعات منا : وقد تشيع معي وكذلك مع أخي ، خلق كثير جداً من إخواننا السنة من (سورية) ، و (لبنان) و (تركية) ، وغيرها من البلاد ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

اشتهار أمرنا : ثم اشتهر أمرنا في البلاد ، وذاع وشاع ، وملأ الأسماع ، حتى أخذ الناس يتراكمون البنا يسألوننا عن السبب الذي دعانا إلى الأخذ بمذهب أهل البيت ، مذهب الحق ، وترك المذهب الشافعي ، وكنا نجيبهم بأن الأدلة قامت لدينا ، فمن أراد منكم أن نوضح له المذهب الحق فليأت إلينا .

مراجعات الناس إلينا :

وفي هذه الفترة القصيرة التي هدانا الله تعالى خلالها ، كانوا يأتون إلينا من كل حذب وصوب ، ومن مختلف الطبقات من العلماء والأساتذة ، والوجهاء والتجار ، والكسبة والموظفين ، وغيرهم ، فكنا نلقي عليهم الحقائق من المصادر الموثوقة من مصادرهم ، فمنهم من يسمع ويقتنع ويأخذ بالمذهب (مذهب أهل البيت ﷺ) ، ويرفض مذهبه السابق ، ومنهم من يتمصب على مذهبه ، وعذره جهله وتمصبه ، مع العلم أنه غير قادر على الدفاع عن مذهبه .

وهكذا طالت بنا الأيام ، ونحن دائبون على هذا السبيل ، دعاة

للتبليغ ، ولا تنزال ، وقد كثر المستبصرون في (سورية) ، بل امتد إلى (تركية) والحمد لله ^(١) .

حادثة طارئة :

وفي بعض الأيام ، بينما أنا مشغول بتأليف كتاب التفسير ، إذ أتاني أت ، وهو من المستبصرين عن يدنا (وذلك بعد الأخذ بالمذهب الشيعي الحق) رجل من قرية (حربنوش) يدعى مصطفى عربش ، وأخبرني أن رجلاً من قرية (الفوعة) التابعة إلى محافظة (أدلب) ، يدعى الحاج أحمد رشيد مندوب ، يقول : إن الشافعي ابن زنا .

ففاظني هذا الخبر ، فاضطرت لمقابلته ، واجتمعت معه في يوم من الأيام ، وقلت له : أنت الذي تقول : إن الشافعي ابن زنا ؟ قال : لا . قلت : سبحان الله ! إن فلاناً أخبرني عنك أنك قلت ذلك ، قال : أنتم تقولون ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إنكم تقولون إن مالكاً إمام المذهب بقي في بطن أمه أربع سنين ، قلت : كذا يقولون ، ويدعون أنها كرامة له ! قال : وأي كرامة هذه ؟ والله لو بقي يوماً واحداً لمات .

ثم شرعنا بالبحث ، ووقع بيننا جدال عنيف ، واحتدم النزاع بيننا في أمر الخلافة ، فلم يحصل لنا في مجلسنا هذا سوى اتساع شقة الخلاف ، مع حقد في الصدور ، وهكذا ثانية وثالثة ، غير أنني أجد في نفسي عجزاً عن الدفاع والمقاومة ، إذ الحق يعلم ولا يُعلَى عليه .

ومضت علينا مدة طويلة لم نجتمع ، ثم أخبرني من أثق به أن رجلاً من قرية (بنش) ، وهي قرية قريبة من (الفوعة) ، يدعى الحاج أحمد عبيد ، هبط إلى (حلب) ، ونزل في فندق عند رجل شيعي يدعى السيد

(١) من كتاب : (لماذا اخترت مذهب الشيعة) .

عبد القادر الحاج موسى ، وهو من السادة الأشراف بني زهرة ، وهو رجل جدلي متعمق في الجدل ، حتى إذا أعجزه أمره ، قال له : أنتم تقولون تاه الأمين ! فقال له : لا تقولها ، وحاشا مذهب الشيعة من هذه الخرافات والتهم الباطلة ، وأنتم تنسبون كل ذلك للشيعة الأبرار كذباً وعناداً وتعصباً . قال : بلى تقولون تاه الأمين .

فغضب الشيعي وقال له مغضباً : قم وانصرف من فندقي . فقام الرجل وانصرف .

فغاظني هذا الخبر أيضاً فعزمت على الاجتماع به ، ولما تمكنت من الاجتماع به ، أتيت فوجدته بالفندق جالساً ، فبدأته بالسلام ، فرد عليّ السلام بكل احترام ، وأجلسني إلى جنبه ، وأخذ معي بالبحث العلمي ، وكلما أعرض عليه يردني بالحجج القوية ، ويرد على السة من كتبهم ، وأقوال علمائهم ، بحيث يفحمني ويقنعني إلى أن وصلنا إلى مقتل عثمان ، فقال لي : أنتم تقولون لعنة الله على من قتله ، ثم تقولون رضي الله عنهم ، كيف يجوز لعنهم ، والترضي عنهم في آن واحد .

فسكت عن الجواب ، فتركني ، وذهب إلى منزل السكنى ، وأتاني بكتاب ، وإذا هو كتاب (المراجعات) وقال لي : خذ هذا الكتاب . قلت : وما هذا الكتاب ؟ قال : كتاب من مؤلفات الشيعة قلت : لا حاجة لي به . فأعاد عليّ القول ، فقلت له : إن الكتاب لا يقرأ في مجلس واحد ، فقال : خذه معك عارية ، وكان الوقت بعد العصر .

فحملته وذهبت إلى منزلي ، وبعد أن نام الأولاد وأمهم ، خلوت بنفسي ، وبدأت بالمطالعة - وهذا أول كتاب وصل إليّ من كتب الشيعة - وما أن بدأت بقراءة المقدمة ، حتى أخذتني دهشة لما فيها من البلاغة ،

وتركيب الألفاظ ، وسبك جملها . . . كما تقدمنا قريباً . وزادت دهشتي عند وصولي إلى (المراجعة الرابعة) إذ فيها القول الفصل لمن كان له عقل ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولم أقتصر عليها ، بل أخذت كلما انتهيت من واحدة ، بدأت في الأخرى ، وهكذا إلى أن مضى عليّ أكثر من ثلثي الليل ، وأنا لا أشعر بممل ، ولا كلل ، لما وجدت فيه من حلاوة ألفاظه ، وطلاوة عباراته ، وحينئذ تفتحت أمامي أبواب الصدق والصواب الصائب اللامرية فيه ، ولست بمغالٍ إن قلت : كأنني صهرت في بوتقة ، وفقدت شعوري ، لأنه قد استدرجني الكتاب ، وقادني إليه ، فسرت معه مختاراً ، أو غير مختار ، فمنت قليلاً .

وعند الصباح أتيت أخي ، وكنا إذ ذاك في دار واحدة ، فطرقت عليه الباب ، وقلت له : خذ هذا الكتاب إلى آخر ما ذكرناه سابقاً .

ثم رجعت إلى منزلي ، وجعلت أفكر في هذا الأمر العظيم الشأن . فبينما كنا نعتقد أن الشيعة فرقة ضالة ، وأن غيرها من الفرق على الصواب ، وإذا الأمر بالعكس ، فعقدت الضمير على التشيع ، وهكذا أخي إذ إن الذي صرت إليه سواء بسواء ، فكان تشيعي ليلاً ، وأخي صباحاً . وعند ذلك عزم أخي على مقابلة مؤلف هذا الكتاب العظيم (الإمام شرف الدين رحمته) وفعللاً ذهب إليه ، وبقي عند سماحته ضيفاً بضعة أيام ، مكرماً معزراً ، ولما عاد زوده بكتاب أبي هريرة ، وهذا كتاب ثانٍ من كتب الشيعة .

قلت : كيف وجدت هذا الرجل ؟ فأجاب بما معناه إنه فوق ما نتصور : عالم كريم ، سمح الخلق ، يمت بالنسب إلى موسى الكاظم بن

جعفر الصادق^(١) بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

وعندئذ باشرنا في التبليغ وتشيع معنا ثلثة من ذوي الرأي ، ثم ثلثة وثلث ، كما تقدم منّا قريباً تفصيل ذلك ، وقد أدرجنا أسماء المستبصرين في كتابنا (سبل الأنوار) .

ولما أخذنا بالمذهب الحق ، واشتهر أمرنا ، أخذ يأتي إلينا الناس جماعات وأفراداً ، فمنهم متبسماً ، ومنهم متغيظاً ، وذلك للاحتجاج والمناظرة ، وللإستفادة ، وهناك مناظرات عديدة جرت بيننا وبين القوم ، سنسجل جملتها منها في كتابنا هذا تمييزاً للفائدة ، راجياً من الله الشواب ، ومن أصحاب العصمة آل بيت الرسول ﷺ الشفاعة يوم الحساب :

مناظرني مع كبير علماء الشافعية :

(١) وهو الذي شهر المذهب إذ سنحت له الفرصة يوم تكالبت الدولتان (الأموية والعباسية) على الدنيا، فنهض الإمام الصادق، ونشر المذهب حتى كان ما يربو عنده على الأربعة آلاف طالب، كلهم ملا دلوه إلى غربه، فكان كل واحد منهم جدلي لا يمارى ولا يجارى، لا يدركه الباطل، ولا يفوته الحق، وعلى الأقل كان أحدهم يحفظ سنتين أو سبعين ألفاً من الحديث، أو أكثرهم كهشام بن الحكم وزرارة، وأبو بصير، وجابر بن حيان، وغيرهم

وأما أبو حنيفة، وإن كان قد أخذ من الصادق سنتين، كما يزعم هو، لكنه انحرف أخيراً، وألف لنفسه مذهباً خاصاً، خالف فيه بكثير أستاذه الصادق عليه السلام، (وكان بينهما بوناً شاسعاً)، وقد غضب عليه، الإمام جعفر، ودعا عليه لارتكابه ما لا يرضى الله .

فانصف بربك أيها المسلم، واحكم بعدل وإخلاص، ودع العصبية، كأنك سوف تلاقى ربك، أمثل هذا يكون رئيساً للمذهب؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإن شئت أن تعرف حال أبي حنيفة، راجع أي كتاب من كتب التواريخ خصوصاً (تاريخ بغداد) للمخطيب البغدادي : المجلد الثالث عشر : ص ١٨١ .

بعد اشتهاار أمرنا بالتشيع ، أنااني أحد أعاطم علماء الشافعة ، المشهورين بالعلم والفضيلة ، في مدينة (حلب الشهباء) وسألني بكل لطف : لماذا أخذتم بمذهب الشيعة ، وتركتم مذهبكم ؟ وما هو السبب الداعي لكم ، واعتمادكم عليه ، وما هو دليلكم على أحقية علي بالخلافة من أبي بكر ؟ فناظرته كثيراً ، وقد وقعت المناظرة فيما بيننا مراراً ، وأخيراً اقتنع الرجل ^(١) .

ومن جملة المناظرة أنه سألني عن بيان الأحقية في أمر الخلافة هل أبو بكر أحق أم علي ؟ فأجبت أنه هذا شيء واضح جداً بأن الخلافة الحقّة لأمير المؤمنين علي عليه السلام ، فور وفاة رسول الله ﷺ ، ثم من بعده إلى الحسن المجتبي عليه السلام ، ثم إلى الحسين الشهيد بكربلاء عليه السلام ، ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين ، ثم إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام ، ثم إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ثم إلى موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، ثم إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ثم إلى محمد بن علي الجواد عليه السلام ، ثم إلى علي بن محمد الهادي عليه السلام ، ثم إلى الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، ثم إلى الحجة بن الحسن المهدي ، الإمام الغائب المنتظر (عج) ، ودليل الشيعة على ذلك الكتاب الكريم ، والسنة الثابتة عن رسول الله من الطرفين ، وكتبهم مليئة بالحجج والبراهين الرصينة ، ويشنون مدعاهم من كتبكم ومؤلفاتكم ، إلا أنكم أعرضتم عن الرجوع إلى مؤلفات الشيعة ، والوقوف على ما فيها ، وهذا نوع من التعصب الأعمى .

(١) استبصر سلمه الله تعالى أيهاً ، وأخذ بالمذهب الحق المذهب الجعفري ، وإنما لم نصرح باسمه لأمر ما ، والله العالم .
(المؤلف)

أما الكتاب :

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(١) .

وإن هذه الآية نزلت في ولاية عليّ بلا ريب ، بإجماع الشيعة ،
وأكثر علماء السنة في كتب التفسير : كالطبري ، والرازي ، وابن كثير ،
وغيرهم ، فإنهم قالوا بنزولها في عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

ومما لا يخفى على ذي مسكة ، بأن الله جلّ وعلا ، هو الذي يرسل
الرسل إلى الأمم ، لا يتوقف أمرهم على إرضاء الناس ، وكذلك أمر
الوصاية ، تكون من الله ، لا بالشورى ، ولا بأهل الحل والعقد ، ولا
بالانتخاب أبداً ، لأنّ الوصاية ركن من أركان الدين ، والله جلّ وعلا ، لا
يدع ركناً من أركان الدين إلى الأمة ، تتجاذبه أهواؤهم ، كل يجر إلى
قرصه .

بل لا بد من أن يكون القائم بأمر الله ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ،
منصوص عليه من الله ، لا ينقص عن الرسل ، ولا يزيد ، معصوم عن
الخطأ .

فالآية نص صريح في ولاية عليّ ، وقد أجمعت الشيعة وأكثر
المفسرين من السنة أيضاً ، أن الذي أعطى الزكاة حال الركوع ، هو عليّ
بلا خلاف ، فتثبت ولايته عليه السلام أي خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه
الآية .

فأورد عليّ حجة يدعي بها تدعيم خلافة أبي بكر ، فقال : إن

(١) وقد تقدم القول في تفصيل هذه الآية الكريمة ، وأنها نزلت في عليّ عليه السلام .

أبا بكر أحق بالخلافة ، إذ أنه أنفق أموالاً كثيرة قدمها إلى رسول الله ﷺ ، وزوجته ابنته ، وقام إماماً في الجماعة أيام مرض النبي ﷺ .

فأجبت قائلاً : أما إنفاق أمواله : دعوى تحتاج إلى دليل يثبتها ، ونحن لا نعترف بهذا الإنفاق ، ولا نقر به . ثم نقول من أين اكتسب هذه الأموال الطائلة ؟ ومن الذي أمره به ؟ لنا أن نسألك : هل الإنفاق كان في مكة أم بالمدينة ؟

فإن قلت : في مكة ، فالنبي ﷺ لم يجهز جيشاً ، ولم يبن مسجداً . ومن يسلم من القوم ، يهاجر إلى الحبشة . والنبي وجميع بني هاشم ، لا تجوز عليهم الصدقة ، ثم إن النبي ﷺ غني بمال خديجة ، كما يروون .

وإن قلت : بالمدينة ، فأبو بكر هاجر ، ولم يملك من المال سوى (٦٠٠) درهم ، فترك لمياله شيئاً ، وحمل معه ما بقي ، ونزل على الأنصار ، فكان هو وكل من يهاجر عالة على الأنصار ، ثم إن أبا بكر لم يكن من التجار ، بل كان تارة بزازاً يبيع يوم اجتماع الناس أمتعة يحملها على كتفه ، وتارة معلم الأولاد ، وأخرى نجاراً يصلح لمن يحتاج باباً ، أو مثله .

وأما تزويجه ابنته لرسول الله ﷺ : فهذا لا يلزم منه تولي أمور المسلمين به ، وأما صلاته في الجماعة - إن صحت - فلا يلزم منها تولي الإمامة الكبرى ، والخلافة العظمى ، فصلاة الجماعة غير الخلافة . وقد ورد أن الصحابة كان يوم بعضهم بعضاً ، حضراً وسفراً ، فلو كانت هذه تثبت دعواكم ، لصح أن يكون منهم حقيق بالخلافة ، ولو صحت لادعاها

يوم السقيفة ، لكنها لم تكن آنذاك ، بل وجدت أيام الطاغية معاوية ، لما صار الحديث متجرأ ، ثم حديث الجماعة جاء عن ابنته عائشة فقط .

ولا تنسَ لما سمع النبي ﷺ تكبيرة الصلاة ، قال : من يوم الجماعة ؟ فقالوا : أبو بكر . قال : احملوني ، بأبي وأمي ، متعصباً مدثراً ، يتهادى بين رجلين ، علي والفضل ، حتى دخل المسجد ، فعزل أبا بكر ، وأم الجماعة بنفسه ، ولم يدع أبا بكر يكمل الصلاة . فلو كانت صلاة أبي بكر بإذن النبي ﷺ ، أو برضاه ، فلماذا خرج بنفسه ﷺ وهو مريض وأم القوم ١٩

والعجب كل العجب من إخواننا أنهم يقيمون الحجة بهذه الأشياء التي لا تنهض بالدليل ، ويتناسون ما ورد في علي عليه السلام من الأدلة التي لا يمكن عدّها ، كحديث يوم الإنذار إذ جمع رسول الله ﷺ عشيرته الأقربين بأمر من الله ﴿ وأنذر عشيرتكَ الأقربين ﴾ . فجمعهم الرسول ﷺ ، وكانوا إذ ذاك أربعين رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، وصنع لهم طعاماً يكفي الواحد منهم ، فأكلوا جميعهم حتى شبعوا ، وبعد أن فرغوا قال النبي ﷺ : يا بني هاشم ! من منكم يؤازرني على أمري هذا ؟ فلم يجبه أحد . فقال علي عليه السلام : أنا يا رسول الله . فأخذ برقبته ، وقال : أنت وصي وخليفتي من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا .

وحديث يوم الغدير المشهور ، وحديث الثقلين ، وحديث المنزلة ، وحديث السفينة ، وحديث باب حطة ، وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وحديث المواخاة ، وحديث تبليغ سورة براءة ، وسد الأبواب ، وقلع باب خيبر ، وقتل عمرو بن عبد ود ، وزواج بضعة رسول الله فاطمة الزهراء عليها السلام ، إلى كثير وكثير من ذلك النمط ، مما لو

أردنا جمعها لملأنا المجلدات الضخمة .

أفكل هذه الروايات المتفق عليها ، لا تثبت خلافة علي عليه السلام ،
وتلك الروايات المختلف فيها ، المفتعلة ، تثبت لأبي بكر تولي منصب
الرسالة ، وهذا شيء عجاب !!

ثم قال لي : أنتم لا تعترفون بخلافة أبي بكر . قلت : لا هذا لا
نزاع فيه عندنا . ولكن ننازع في الأحقية والأولية ، هل كان أبو بكر أحق
بها أم أمير المؤمنين ؟ ها هنا النزاع ، ولنا عندنا نظر في هذا الأمر العظيم
الذي جر على الأمة بلاء ، وفرق الأمة ابتداء يوم السقيفة ، إلى فرقتين ،
بل إلى أربع فرق ، فالأنصار انقسموا على أنفسهم قسمين : قسم يريد علياً
« وذلك بعد خراب البصرة » ، والآخر استسلم ، وسلم الأمر إلى
أبي بكر ، وكذلك المهاجرون : منهم من يريد أبا بكر ، والآخر علياً ،
ثم إلى فرق تبلغ الثلاث والسبعين ، كل فرقة تحمل على من سواها من
الفرق حملة شعواء ، لا هوادة فيها . فجر الأمة الإسلامية إلى نزاع دائم
عنيف ، فكفر بعضهم بعضاً ، ولا زالت الأمة تمخر في بحور من الدماء
من ذلك اليوم المشؤوم إلى يوم الناس هذا ، ثم إلى يوم يأتي الله بالفرج ،
هذا الذي نحاول فيه .

فالشيعية برمتهم يحكمون بما ثبت عندهم من الأدلة ، قرآناً وسنةً ،
وتاريخاً ، ويحتجون من كتب خصومهم السنة ، فضلاً عن كتبهم ،
بالخلافة لعلي ، ولبنية الأئمة الأحد عشر ، الذين تمسكت الشيعة
بإمامتهم .

إلى غير ذلك من الأدلة التي أوردتها على فضيلته ، فسمع واقتنع ،
وخرج من عندنا ، وهو في ريب من مذهبه ، وشاكراً لنا على ما قدمناه له

من الأدلة ، وقد طلب مني بعض كتب الشيعة ومؤلفاتهم ، فأعطيته جملة منها ، وفيها من كتب الإمام ، الحجة المجاهد ، السيد عبد الحسين شرف الدين .

ولا بأس بأن نطالب في هذا المقام إخواننا السنيين ، أن يقفوا على كتب الشيعة ومؤلفاتهم ، بلا تعصب ، ونرشدهم إلى جل من الكتب كمؤلفات سيدنا الإمام شرف الدين ، وكتاب الغدير للعلامة الأميني ، وإحقاق الحق ، والصوارم المحرقة ، وكلاهما للشهيد السعيد الإمام قاضي نور الله تعالى ، وعبقات الأنوار للإمام السيد حامد حسين الهندي ، وغاية المرام للإمام البحراني ، والسقيفة للعلامة المظفر ، ودلائل الصدق للحجة المظفر ، وأصل الشيعة وأصولها للإمام كاشف الغطاء ، وغيرها ، فإن فيها ما فيها الكفاية لأولي الألباب المخلصين ، المجريدين عن العصبية المذهبية ، وبالله التوفيق .

شيعي وسني يترافعان عندي .

دخل عليّ يوماً في (حلب) رجلان من أهل (حمص) : أحدهما شيعي مستبصر ، والآخر سني مستهتر . وكانت بينهما مناقشة أولوية عليّ عليه السلام بالخلافة ، فقال لي الشيعي : يقول صاحبي هذا وهو من أهل السنة ، ليس هناك نصّ على عليّ عليه السلام بأنه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، بلا فصل .

فسألني السني : هل هناك نصّ صريح ؟ فأجبت : نعم ، بل نصوص صريحة في كتبكم ومصادركم ، وأحلتها على تاريخ الطبري ، وابن الأثير ، والتفاسير أجمع ، وذكرت له تفسير آية : ﴿ وأنذر عشيرتكم الأقربين ﴾ من تاريخ الكامل لابن الأثير ، والحديث بطوله ، وقدرناه ابن

الآثير بزيادة ألفاظ على ما رواه الطبري ، إلى أن انتهيت إلى قول النبي ﷺ : أيكم يا بني عبد المطلب يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ، ووصيتى ، وخليفتى من بعدى ؟ وأجابه على لما لم يجبه أحد منهم ، فقال رسول الله ﷺ : هذا أخى ، ووزيرى ، ووصيتى ، وخليفتى من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . ثم قلت له : أيها المحترم أطلب نصّاً أصرح من هذا النص ؟ فقال : إذا ما صنعوا ؟ - ففهمت من قوله (ما صنعوا) يشير إلى اجتماعهم في السقيفة ، وتنازعهم فيمن يخلف رسول الله ﷺ أمهاجرون أم أنصار - فقلت له : هذا ما وقع . فقال : عجباً عجباً . وانتهى الأمر وقال قولاً في هذا المقام ، ولا أريد ذكره ، ثم استبصر ، وذهب حامداً شاكراً .

وقد بلغني من بعض الثقات ، أنه قام بالدعوة إلى المذهب الحق ، فاستبصر عن يده جماعات .

والحمد لله على هذه النعمة ، وهي نعمة الولاء والبراءة .

مناظرة مع جماعة من أهل السنة :

وفي الليلة الخامسة من شهر رمضان المبارك (سنة ١٣٧١ هـ) بينما أنا مشغول في مكتبي بكتابة كتاب « الشيعة وحتجتهم في التشيع » إذ وفد علي جماعة يبلغ عددهم نحو خمسة عشر شخصاً ، أو أكثر ، وفيهم العلماء ، وغير العلماء ، فتلقيتهم بالترحاب ، وبصدر رحب ، وقلب ملؤه السرور .

وما أن اطمأن بهم الجلوس ، حتى فاتحوني بالبحث العلمي ، يريدون الإيضاح عن مذهب الشيعة ، وعن اعتقادهم في الخلافة ، وما يدور حولها . فبادرت إلى الجواب ، وهم صامتون يصغون إلى ما أورد

عليهم من الأدلة الواضحة ، والحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة القائمة لدينا ولديهم ، حتى مضى علينا أكثر من ثلثي الليل ، وبعد انتهائنا من البحث ، قاموا فمنهم الشاكر ، ومنهم المنكر ، ومن جملة ما أفدت عليهم قلت :

لا شك في أن النبي ﷺ كان يعلم أن أمته الجديدة القريبة العهد بالإسلام ، وما هي عليه من الرغبة في الخلافة ، ويعلم أنه سينقلب الكثير منهم على الأعقاب ، ولا يسلم منهم إلا مثل حمل النعم عند ورودهم على الحوض (كما جاء في البخاري في حديث الحوض) . ويعلم علم اليقين أن أصحابه كانوا يضمرون الشر لوصيته وخليفته من بعده عليّ عليه السلام ، وأنهم فور موته سيحدثون حدثاً .

إذن فلا بد أن يكون قد وضع للخلافة حلاً لها ، يوقف من تدعوه إلى الخلافة .

ولا يخفى عليه أمر أصحابه إذ أنه قد سبرهم ، وعرف المستقيم منهم ، والملتوي .

وهو القائل لهم : ستبعون سنن من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

وكان شيخنا العلامة الشيخ أحمد أفندي الطويل الأنطاكي يرويه لنا في أثناء الدرس ، وعلى المنبر ، ويقول في ختام الحديث : ولو جامع أحدهم امرأته في السرق لفعلتموه .

وهو القائل . . من لم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية أي : كفر .

إذن فلا بد أن يضع للخلافة حلاً ، يوقفهم عند حدّهم .

ونحن ما دمنا نعتقد أنه نبيّ مرسل من الله ، ونعلم أنه الذي ختم به الرسل ، ورسالته المستمرة إلى آخر الدنيا ، فلا يبقى له أن يترك أمته فوضى مع علمه أنها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كما في الحديث . هذا ودعوى إيكال أمر الخلافة إلى الأمة باطلة لأمر :

أولاً : إنّ أهل الحل والعقد ، أو الانتخاب ، أو ذوي الشورى ، لا يتم بما أوكل إليهم إلى مدى الدهر ، بل هو عين إيقاع الأمة في الفوضى التي توقع الأمة في هوة سحيقة ، لا حدّ لها ولا قرار . لهذا نرى الأمة لا زالت تمخر في بحور ساحقة لا حدّ لها ولا قرار ، ولهذا نرى الأمة لا زالت تمخر في بحور من الدماء من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، ثم إلى انتهاء حياة البشر يوم البعث والنشور .

ثانياً : مما لا خفاء فيه أنّ الناس يختلفون في معتقداتهم ، ومتباينون في آرائهم ، ونرى أنه لا يتفق إثنان في الرأي ، بل الإنسان نفسه لا يتفق له أن يستمر على رأي دائم ، بل يتقلب رأيه في كل لحظة ، فكيف يمكن أن يكون الأمر موكولاً إلى أهل الحل والعقد ، وهذا ياباه العقل والوجدان .

ثالثاً : يستحيل أن يحصل الإتفاق بإيكال الأمر إلى أهل الحل والعقد ، فلا بد من وقوع اضطراب شديد بين الشعوب والقبائل ، ووقوع القتل ، والسلب ، والنهب ، وغيرها ، مما هو موجود ، كما هو موجود في كل عصر ومصر ، ولم يكن لرئيس أن يتم على يده نظام حياة الإنسان إلا بالقوة القاهرة ، وهذه موقنة زائلة ، ومتى زالت رجع كل واحد إلى ما كان عليه من الأعمال الضارة بالسكان .

لهذا قلنا مكرراً : إنّ الله لا يدع أمراً من أمور الدين للأمة تتجاذبه

أهواؤهم ، بل لا بد من أن يوكل الأمر إلى أربابه ممن له أهلية كاملة في العلم الغزير الذي كان عند الرسول ﷺ^(١) ، والشجاعة ، والحكم ، والكرم ، والزهد ، والتقى ، والفراصة ، والإعجاز ، وأهمها العصمة . وغير ذلك مما يكون الوصي الذي يقوم مقام الرسول في حاجة إليه في إدارة دفة الحكم .

وهذا لا يمكن أن يتمكن منه أحد إلا الله العالم بما تكنه الصدور ، ويعلم السر وأخفى . والرسول قد بين بصراحة في كل مناسبة أن الوصي والخليفة من بعده عليّ عليه السلام ، كما وأن هناك أدلة كثيرة أخرى ترشدك إلى ما تقوم به الحجة ، زيادة على ما قدمنا ، مما هو ثابت لدينا معاشر الشيعة ، والكتاب والسنة يثبتنا على ذلك .

ثم استحسن جميعهم ما أفدت عليهم ، وطلبوا مني بعض مؤلفات الشيعة فأعطيتهم بعض ما كان عندي ، فقاموا واستمحوها مني بالإنصراف حامدين شاكرين .

ثم بلغنا بعد أيام أن أناساً منهم اعتنقوا المذهب ، فحمدت الله تعالى على هذه النعمة .

مناظرة لطيفة بيني وبين بعض مشايخ الأزهر :

في اليوم السابع من شهر ذي القعدة الحرام (عام ١٣٧١ هـ) قبيل الظهر ، أخبرني أحد وجهاء (حلب) وهو الأستاذ شعبان أبو رسول ، بأن أحد مشايخ الأزهر ، وهو علامة كبير ، ومؤلف شهير ، يقصد زيارتك فمتى يأتكم ؟ فقلت : يا أهلاً وسهلاً ، فليشرف

(١) كحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» .

في هذا اليوم . فجاءني بعد العصر ، وبعد أن أخذ بنا المجلس ،
ورحبت به ، سألتني قائلاً : إنني قصدتك للإستفسار عن السبب الذي
دعاكم إلى الأخذ بالمذهب الشيعي ، وترككم المذهب السنّي
الشافعي ؟

فأجبت بكل لطف : الدواعي كثيرة جداً ، منها : رأيت اختلاف
المذاهب الأربعة فيما بينهم ، ومنها ، ومنها ، وقد أخذت أعدّ له
الأسباب التي دعنتني إلى الأخذ بالمذهب الشيعي ، ثم قلت : وأهمها
أمر الخلافة العظمى التي هي السبب الأعظم في وقوع الخلاف بين
المسلمين ، إذ لا يعقل أن الرسول الأعظم ﷺ يدع أئمة بلا وصي
عليهم ، يقوم بأمر الشريعة التي جاء بها عن الله ، كسائر الأنبياء . إذ
ما من نبي إلا وله وصي ، أو أوصياء معصومون ، يقومون
بشريعته ، وقد ثبت عندي أن الحق مع الشيعة ، إذ معتقدهم أن
النبي ﷺ قد أوصى لمليّ ﷺ ، قبل وفاته ، بل من بدء
الدعوة ، وبعده أولاده الأئمة الأحد عشر ، وأنهم يأخذون أحكام
دينهم عنهم ، وهم أئمة معصومون في معتقدهم ، بأدلة خاصة
بهم .

لهذا وأمثاله ، أخذت بهذا المذهب الشريف ، ثم إننا لم نعثر على
دليل يوجب علينا الأخذ بأحد المذاهب الأربعة ، بل ولا مرجع أيضاً ،
غير أننا عثرنا على أدلة كثيرة توجب الأخذ بمذهب أهل البيت ﷺ ،
وتفرد المسلم إلى سواء السبيل .

ثم عرضت له كثيراً من الأدلة القطعية الصريحة ، بوجوب الأخذ
بمذهب أهل البيت ﷺ ، وكله سمع يصغي إليّ إلى أن قلت :

يا فضيلة الشيخ ! أنت من العلماء الأفاضل ، فهل وجدت في كتاب الله وسنة الرسول دليلاً يرشدك إلى الأخذ بأحد المذاهب الأربعة ؟ فأجابني : كلاً .

ثم قلت له : ألا تعرف أن المذاهب الأربعة كل واحد منهم يخالف الآخر في كثير من المسائل ، ولم يقيموا دليلاً قوياً ، وبرهاناً جلياً واضحاً ، على أنه الحق لا غيره ، وإنما يذكر الملتزم بأحد المذاهب أدلة لا قوام لها ، إذ ليس معضد من كتاب أو سنة ، فهي كشجرة خبيثة ، اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار .

مثلاً : لو سألت الحنفي : لِمَ اخترت مذهب الحنفية دون غيره ، ولمَ اخترت أبا حنيفة إماماً لنفسك بعد ألف عام من موته ، ولم تختَر المالكي ، أو الشافعي ، أو أحمد بن حنبل ، مع بعض مزايهم التي يذكرونها ؟ فلم يجبك بجواب تطمئن إليه النفس .

والسر في ذلك : أن كل واحد منهم لم يكن نبياً ، أو وصي نبي ، وما كان يوحى إليهم ، ولم يكونوا ملهمين ، بل إنهم كسائر من ينتسب إلى العلم ، وأمثالهم كثير وكثير من العلماء .

ثم إنهم لم يكونوا من أصحاب النبي ﷺ ، وأكثرهم أو كلهم لم يدركوا النبي ، ولا أصحاب النبي ﷺ . فاتخاذ مذهب واحد منهم ، وجعله مذهباً لنفسه ، والالتزام به وبآرائه التي يمكن فيها الخطأ والسهو . . . « وكل واحد منهم ذوي آراء متشعبة ، يخالف بعضها بعضاً » لا يقره العقل ، ولا البرهان ، ولا يصدقه الفطرة السليمة ، ولا الكتاب ، ولا السنة ، ولا حجة لأحد على الله في يوم الحساب . بل لله الحجة البالغة عليها ، حتى أنه لو سأل الله من التزم بأحد المذاهب الأربعة في يوم

القيامة : بأيّ دليل أخذت بمذهبك هذا ؟ لم يكن له جواب سوى قوله : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

أو يقول : « إنا أطعنا ساداتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا » فبالله عليك يا فضيلة الشيخ ! هل يكون لملتزمي أحد المذاهب الأربعة يوم القيامة أمام الله الواحد القهار جواباً ؟

فأطرق رأسه ملياً ثم رفع رأسه وقال : لا . فقلت : هل يكون أحد معذوراً بذلك الجواب ؟ أجابني : كلا . ثم قلت : وأما نحن المتمسكين بولاء العترة الطاهرة - آل بيت الرسول ﷺ - العاملين بالفقه الجعفري ، فنقول في يوم الحساب عند وقوفنا أمام الله العزيز الجبار : ربنا إنك أمرتنا بذلك ، لأنك قلت في كتابك : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وقال نبيك محمد ﷺ باتفاق المسلمين : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » . وقال ﷺ : « مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

ولا ريب لأحد أن الإمام الصادق جعفر بن محمد ﷺ من العترة الطاهرة ، وعلمه علم أبيه ، وعلم أبيه علم جدّه رسول الله ﷺ ، وعلم رسول الله من علم الله ، هذا مضافاً إلى أن الإمام الصادق ، قد اتفق جميع المسلمين على صدقه ووثاقته ، وهناك طائفة كبيرة من المسلمين من يقول بعصمته وإمامته ، وأنه الوصي السادس لرسول الله ﷺ ، وأنه حجة الله على البرية ، وأن الإمام الصادق ﷺ كان يروي عن آبائه الطيبين الطاهرين ، ولا يفني برأيه ، ولا يقول بما يستحسنه . فحديثه « حديث أبي وجدي » إذ إنهم متابع العلم والحكمة ، ومعادن الوحي والتزويل ، فمذهب الإمام الصادق ﷺ هو مذهب أبيه وجدّه المأخوذ عن الوحي ،

لا يحيد عنه قيد شعرة . لا بالاجتهاد كغيره ممن اجتهد . فالآخذ بمذهب جعفر بن محمد عليه السلام ومذهب أجداده ، آخذ بالصواب ، وتمسك بالكتاب والسنة .

وبعد أن أوردت عليه ما سمعت من الأدلة ، أكبرني ، وفخم مقامي ، وشكرني ، فأجبت : إن الشيعة لا يطعنون على الصحابة جميعاً ، بل إن الشيعة يعطون لكل منهم حقهم ، لأن فيهم العدل وغير العدل ، وفيهم العالم والجاهل ، وفيهم الأخيار والأشرار ، وهكذا ألا ترى ما أحدثوه يوم السقيفة ، تركوا نبيهم مسجى على فراشه ، وأخذوا يترაკضون على الخلافة ، كل يراها لنفس ، كأنها سلعة ينالها من سبق إليها مع ما رأوا بأعينهم ، وسمعوا بأذانهم من النصوص الثابتة الصارخة عن الرسول ﷺ من اليوم الذي أعلن الدعوة ، إلى اليوم الذي احتضر فيه ، مع أن القيام بتجهيز الرسول ﷺ أهم من أمر الخلافة على فرض أن النبي لم يوص ، فكان الواجب عليهم أن يقوموا بشأن الرسول ، وبعد الفراغ يعززون آله وأنفسهم لو كانوا ذوي إنصاف ، فأين العدالة والوجدان ؟ وأين مكارم الأخلاق ؟ وأين الصدق والمحبة .

ومما يزيد في النفوس حزازة ، تهجمهم على بيت بضخته فاطمة الزهراء عليها السلام ، نحواً من خمسين رجلاً ، وجمعهم الحطب ليحرقوا الدار على من فيها ، حتى قال قائل لعمر : إن فيها الحسن والحسين وفاطمة قال : وإن ! ذكر هذا الحادث كثير من مؤرخي السنة ^(١) فضلاً عن إجماع

(١) انظر في الإمامة والسياسة ، والرياض النظرية ، ومروج الذهب ، وأنساب الأشراف ، والإمام عليّ لعبد الفتاح جبد المقصود ، وشرح النهج لابن أبي الحديد ، وغيرها من مصادر القوم ، فقد تجد أنهم ذكروا هذه الحادثة المؤلمة . أما الشيعة فبرمتهم ذكروها حتى وقد ذكر المؤرخون أسماء الذين أتوا بهذه الجناية ، قالوا : وكان ذلك برأسه عمر - الشهم البطل المخوار - لكن لا في ساحة القتال ، وبهذا المعنى قال شاعرهم حافظ

الشيعة . وقد علم البر والفاجر ، وجميع من كتب في التاريخ ، أن النبي ﷺ قال : « فاطمة بضعة مني ، من أذاها فقد أذاني ، ومن أغضبها فقد أغضبني ، ومن أغضبني فقد أغضب الله ، ومن أغضب الله أكبه الله على منخريه في النار » ، ووقائع الصحابة الدالة على عدم القول بعدالة الجميع كثيرة ، راجع البخاري ومسلم في ما جاء عن رسول الله ﷺ في حديث الحوض ، تعلم صحة ما ذهب إليه الشيعة ، ومن نحنا نحوهم من السنة ، فأني ذنب لهم إذا قالوا بعدم عدالة كثير منهم ، وهم الذين دلّوا على أنفسهم ، وحرب الجمل وصفين أكبر دليل على إثبات مدعاهم ، والقرآن الكريم كشف عن سوء أحوال كثير منهم ، وكفانا سورة براءة دليلاً ، ونحن ما أتينا شيئاً إذاً ألا ترى إلى ما أحدثه الطاغية معاوية ، وعمر بن العاص ، ومروان ، ويزيد ، ومغيرة بن شعبة ، وعمر بن سعد الذي أبوه من العشرة المبشرة في الجنة على ما زعموا ، وطلحة والزبير اللذان بايعا علناً ، ونقضوا البيعة ، وحاربوا إمامهما مع عائشة في (البصرة) ، وأحدثوا فيها من الجرائم التي لا يأتي بها ذو مروءة .

فليت شعري هل كان وجود النبي ﷺ بينهم موجباً لنفاق كثير منهم ، ثم بعد لحوقه بالرفيق الأعلى ، بأبي وأمي ، صار كلهم عدولاً .

ونحن لم نسمع قط بأن نبياً من الأنبياء أتى قومه ، وصاروا كلهم عدولاً ، بل الأمر في ذلك بالعكس ، والكتاب والسنة يبينتا على ذلك ، فماذا أنت قائل أيها الأخ المحترم ؟

إبراهيم

أكرم بسامعها أعظم بملقبها
إن لم تباع ، وبنت المصطفى فيها
أمام فارس همدان ، وحاميهما

وقسوة لعليّ قالها عمر
حرقته دارك لا أبقي عليك بها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها

فأجابني : حقاً لقد آتيت بما فيه المقنع ، فجزاك الله عني خيراً ، ثم قلت : جاء في كتاب (الجوهرة في العقائد) للشيخ إبراهيم اللوقاني المالكي :

فتابع الصالح ممن سلفا ، وجانب البدعة ممن خلفا
قال : نعم هكذا موجود ، قلت : أرشدني من هم السلف الذين يجب علينا اتباعهم ؟ ومن الخلف الذين يجب علينا مخالفتهم .

قال : السلف هم صحابة رسول الله ﷺ . قلت : إن الصحابة عارض بعضهم بعضاً ، وجرى ما جرى بينهم ، مما لا يخفى على مثلكم . فتوقف برهة ثم قال : هم أصحاب القرون الثلاثة ، قلت له : إذا أنت في جوابك هذا قضيت على المذاهب الأربعة ، لأنهم خارجون عن القرون الثلاثة . فتوقف أيضاً ثم قال : ماذا أنت تريد بهذا السؤال ؟ قلت : الأمر ظاهر ، وهو يجب علينا أن نتبع الذين نص عليهم رسول الله ﷺ بأن يكونوا قدوة للأمة . قال : ومن هم ؟ قلت : علي بن أبي طالب وبنو الحسن والحسين وأبناء الحسين ﷺ التسعة آخرهم المهدي (عجل الله فرجه) .

قال : والخلفاء الثلاثة ؟ قلت : الخلاف واقع فيهم ، فالأمة لم تجتمع عليهم ، وحدث منهم أعمال توجه عليهم النقد . قال : عجباً ، وهذا من رأي الشيعة ؟ قلت : وإن يكن هل وقع في الصحابة ما ذكرت لكم أم لا ؟ قال : بلى . قلت : إذاً يجب علينا أن نأخذ بمن اتفقت عليهم الأمة ، وندع المختلف فيهم . فالشيعة وهم طائفة كبيرة من الإسلام ، بكثرت عددهم من مائة مليون ، وهم منتشرون في الدنيا كما تقدّم ، وفيهم العلماء الأعظم ، والفقهاء الأكابر ، والمحدثين الأفاضل فلم

يعترفوا بخلافة الثلاثة ، ولكن أهل السنة والجماعة اعترفوا بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، فخلافة أمير المؤمنين مجمع عليها عند المسلمين عامة ، وخلافة الثلاثة ليس بمجمع عليها .

والخلافة بعد أمير المؤمنين عليّ إلى ولده الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى ولده الأئمة التسعة خاتمهم قائمهم (عجل الله فرجه) ، والنصوص في ذلك من كتبكم كثيرة ، وجاءت الروايات من طرقكم بفضل أهل البيت ، وتقديمهم على غيرهم ، وأهمها العصمة .

قال : نحن لا نقول بالعصمة . قلت : أعلم ذلك ، ولكن الدليل قائم عند الشيعة على ما قلت ، وسأقدم لك كتاباً يقنعك ويرضيك .

قال : إذا ثبت لديّ عصمتهم انحل الإشكال بيني وبينك ، فقدمت له الكتاب ، وهو كتاب (الألفين) لأحد أعظم مجتهدي الشيعة الإمام الأعظم (العلامة الحلي رحمته الله) فأخذ الكتاب يتصفّحه في مجلسه فأكبره وأعجبه هذا السفر العظيم ، ثم قال لي : هل تعلم أنّ فضيلتك أدخلت عليّ الريب في المذاهب الأربعة ، وملت إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام ، لكن أريد منك تزويدي ببعض كتب الشيعة . فقدمت جملة منها له ، ومنها كتب الإمام شرف الدين ، ودلائل الصدق ، والفدير ، وأمثالها ، وأرشدته إلى سائر كتب الشيعة . ثم ودعني وقام شاكراً حامداً قاصداً إلى محله ، وهو مترلزل العقيدة وذهاب .

ثم بعد أيام أتتني رسالة شكر منه من الأزهر الشريف ، وأخبرني فيها بأنه قد اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وصار شيعياً ، وودعني أن يكتب رسالة في أحقية مذهب الشيعة .

وهو اليوم سلمه الله ، لا يزال مشغولاً بتأليف هذا الكتاب على ما

بلغني أهده الله والمسلمين جميعاً لخدمة الدين والمذهب ، إنه سميع
الدهاء .

مناظرة بيني وبين بعض الأعلام من أهل السنة والجماعة في شأن التربة الحسينية
والتمازي :

وفي اليوم الرابع عشر من شهر محرم الحرام (سنة ١٣٧٤ هـ)
أتاني جماعة من علماء السنة ، وبعضهم زملائي في الأزهر ، حاملين عليّ
حقداً في صدورهم ، لأخذي بمذهب أهل البيت ، وتركبي مذهب السنة ،
ودار البحث بيننا طويلاً ، يقرب حوالي عشر ساعات تقريباً ، وذلك في
كثير من المسائل ، ومنها انتقادهم على الشيعة بأنهم يسجدون على التربة
الحسينية ، فهم مشركون ، وإجراؤهم التمازي على الإمام
الحسين عليه السلام ، وهو بدعة ، فقلت لهم : كلاهما أمر محبوب محبذ إليه
من الشارع المقدس .

أما قولكم إن الشيعة يسجدون على التربة الحسينية ، فهم
مشركون : هذا غير صحيح ، لأن السجود على التربة لا يكون شركاً ،
لأن الشيعة تسجد على التربة لا لها ، وإن كانت الشيعة تعتقد على حسب
مذاهبهم وزعمهم « على الفرض المحال » أنَّ التربة هي أو في جوفها شيء
يسجدون لأجله ، فكان اللازم السجود لها ، لا السجود عليها ، لأنَّ
الشخص لا يسجد على معبوده ، لأنَّ السجود يجب أن يكون للمعبود وهو
الله ، يعني تكون الغاية من السجود والخضوع هي الله سبحانه . أما
السجود على الله فهو كفر محض ، فسجود الشيعة على التربة ليس شركاً .

فأجابني أحدهم وهو أعلمهم قائلًا : أحسنت يا فضيلة الشيخ على
هذا التحليل اللطيف ، ولنا أن نسألك : ما سبب إصرار الشيعة على

السجود على التربة ، ولم لا تسجدون على سائر الأشياء ، كما تسجدون على التربة ؟ فأجبت : ذلك عملاً بالحديث المتفق عليه بإجماع جميع الفرقاء المسلمين وهو قوله ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » .

فالتراب الخالص هو الذي يجوز السجود عليه باتفاق جميع طوائف المسلمين . لذلك نسجد دائماً على التراب الذي إتفق المسلمون جميعاً على صحة السجود عليه ، فسألني : وكيف اتفق المسلمون عليه ؟ فأجبت : أول ما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأمر ببناء مسجده فيها ، هل كان المسجد مفروشاً بفرش ؟ فأجابني : كلا لم يكن مفروشاً . قلت : فعلى أي شيء كان يسجد النبي ﷺ والمسلمون ؟ أجابني : على أرض المسجد المفروشة بالتراب ، قلت : ومن بعد النبي في زمن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، هل كان المسجد مفروشاً بفرش ؟ فأجابني : أيضاً كلا . قلت : فعلى أي شيء كان المسلمون يسجدون في صلواتهم في المسجد ؟ أجابني على أرض مفروشة بالتراب فقلت : إذن جميع صلوات رسول الله ﷺ كانت على الأرض ، وكان يسجد على التراب ، وكذلك المسلمون في زمانه ، وبعده ، كانوا يسجدون على التراب .

فالسجود على التراب صحيح قطعاً ، ومعاشر الشيعة إذ تسجد على التراب تأسيّاً برسول الله ﷺ ، فتكون صلواتهم صحيحة قطعاً .

فأورد عليّ : بأن الشيعة لم لا تسجد على غير التربة التي يحملونها معهم من سائر مواضع الأرض ، أو غيرها من التراب ؟ فأجبت :

أولاً : إن الشيعة تجوز السجود على كل أرض ، سواء في ذلك

المتحجر منها ، أو التراب .

ثانياً : حيث أنه يشترط في محل السجود الطهارة من النجاسة ، فلا يجوز السجود على أرض نجسة ، أو تراب غير طاهر . لذلك يحملون معهم قطعة من الطين الجاف الطاهر ، تفصيلاً عن السجود على ما لا يعلم طهارته من نجاسته ، مع العلم أنهم يجوزون السجود على تراب ، أو أرض لا يعلم بنجاستها .

فأورد عليّ : إن كان الشيعة يريدون بذلك السجود على التراب الطاهر الخالص ، فلم لا يحملون معهم تراباً يسجدون عليه ؟ فأجبت : حيث أن حمل التراب يوجب وسخ الثياب ، لأنه أينما وضع من الثوب ، فلا بد أن يوسخه ، لذلك نمزجه بشيء من الماء ثم ندعه ليجف حتى لا يوجب حمله وسخ الثوب .

ثم إن السجود على قطعة من الطين الجاف ، أكثر دلالة على الخضوع والتواضع لله ، فإن السجود هو غاية الخضوع ، ولذا لا يجوز السجود لغير الله سبحانه . فإذا كان الهدف من السجود هو الخضوع لله ، فكلمة كان مظهر السجود أكثر في الخضوع ، لا شك أنه يكون أحسن . ومن أجل ذلك استحب أن يكون موضع السجود أخفض من موضع اليدين والرجلين ، لأن ذلك أكثر دلالة على الخضوع لله تعالى .

وكذلك يستحب أن يعفّر الأنف بالتراب في حال السجدة ، لأن ذلك أشد دلالة على التواضع والخضوع لله تعالى ، ولذلك فالسجود على الأرض ، أو على قطعة من الطين الجاف ، أحسن من السجود على غيرهما مما يجوز السجود عليه ، لأن في ذلك وضع أشرف مواضع الجسد « وهو الجبهة » على الأرض ، خضوعاً لله تعالى ، وتواضعاً أمام

عظّمته .

أما أن يضع الإنسان في حال السجدة جبهته على سجادة ثمين ، أو على معادن كالذهب والفضة وأمثالهما ، أو على ثوب غالي القيمة ، فذلك مما يقلل من الخضوع والتواضع ، وربما أدى إلى عدم التصاغر أمام الله العظيم .

إذن فهل يمكن أن يعتبر السجود على ما يزيد من تواضع الإنسان أمام ربه شركاً وكفراً ، والسجود على ما يذهب بالخضوع لله تعالى تقرباً من الله ؟ إن ذلك إلا قول زور ، ثم سألني : فما هذه الكلمات المكتوبة على التربة التي تسجد الشيعة عليها ؟ فأجبت :

أولاً : إنه ليس جميع أقسام التربة مكتوباً عليها شيء ، فإنّ هناك كثيراً من التراب ليس عليها حرف واحد .

وثانياً : المكتوب على بعضها : سبحان ربّي الأعلى وبحمده ، رمزاً لذكر السجود ، وعلى بعضها إنّ هذه متخذة من تراب أرض كربلاء المقدسة . بالله عليك أسأل من فضيلتك : هل في ذلك بأس ؟ وهل يعد ذلك شركاً ؟ أو هل ذلك يخرج التربة عن كونها تراباً جائز السجود عليه ؟ فأجابني : كلا ! .

ثم سألني : ما هذه الخصوصية في تربة أرض كربلاء ، حيث أن أكثر الشيعة مقيّدون بالسجود عليها مهما أمكن ؟

قلت : السر في ذلك أنه ورد في الحديث الشريف : « السجود على التربة الحسينية يخرق السماوات السبع . . . » الخ^(١) يعني أنّ السجود

(١) ذكره العلامة الكاشاني في (مصابيح الجنان) نقلاً عن (الكامل) لابن قولويه ، وهو من أعلام المسلمين في القرن الثالث الهجري .

عليها يوجب قبول الصلّاة وصعودها إلى السماء ، وما ذلك إلا لإدراك
أفضلية ليست في تربة غير كربلاء المقدسة . فأورد عليّ : هل السجود
على تربة الحسين تجعل الصلّاة مقبولة عند الله تعالى ، ولو كانت الصلّاة
باطلة ؟

فأجبتّه إنّ الشيعة تقول : بأنّ الصلّاة الفاقدة لشرط من شرائط
الصحة ، باطلة غير مقبولة ، ولكن الصلّاة الجامعة لجميع شرائط
الصحة ، قد تكون مقبولة عند الله تعالى ، وقد تكون غير مقبولة (أي لا
يشاب عليها) فإذا كانت الصلّاة الصحيحة على تربة الحسين قبلت ،
ويشاب عليها ، فالصحة شيء ، والقبول شيء آخر .

فسألني : وهل أرض كربلاء المقدسة أشرف من جميع بقاع الأرض
حتى من أرض مكّة المعظمة ، والمدينة المنورة ، حتى يكون السجود
عليها أفضل ؟

فقلت وما المانع من ذلك ؟

قال إنّ تربة مكّة ، والتي لم تنزل منذ نزول آدم عليه السلام إلى الأرض
كعبة ، وأرض المدينة المنورة التي تحتضن جسد الرسول الأعظم عليه السلام ،
تكونان في المنزلة دون منزلة كربلاء ، قال : هذا أمر غريب وهل
الحسين بن عليّ أفضل من جدّه الرسول ؟

قلت : كلاً ، إنّ عظمة الحسين من عظمة الرسول عليه السلام ، وشرف
الحسين من شرف الرسول ، ومكانة الحسين عند الله تعالى ، إنّما هي
لأجل أنّه إمام سار على دين جدّه الرسول عليه السلام ، حتى استشهد في
ذلك . لا . . ليست منزلة الحسين إلا جزءاً من منزلة الرسول ، ولكن
حيث أنّ الحسين عليه السلام قتل هو وأهل بيته وأنصاره في سبيل إقامة

الإسلام ، وإرساء قواعده ، وحفظها عن تلاعب متبعي الشهوات ،
عوضه الله تعالى باستشهاده ثلاثة أمور :

١ - استجابة الدعاء تحت قبته .

٢ - الأئمة من ذريته .

٣ - الشفاء في تربته .

فعظم الله تعالى تربته ، لأنه قتل في سبيل الله أفجع قتلة ، وقتل معه
أولاده وأخوته وأصحابه ، وسبي حريمه وغير ذلك من المصائب التي
نزلت به من أجل الدين ، فهل في ذلك مانع ؟ أم هل في تفضيل تربة
كربلاء على سائر بقاع الأرض ، حتى على أرض المدينة ، معناه أن
الحسين عليه السلام أفضل من جدّه الرسول ﷺ ، بل الأمر بالعكس فتعظيم
تربة الحسين تعظيم للحسين ، وتعظيم الحسين عليه السلام تعظيم لله ، ولجدّه
رسول الله ﷺ .

فقام أحدهم عن مجلسه ، وعليه آثار البشاشة والسرور ، فحمدني
كثيراً ، وطلب مني بعض مؤلفات الشيعة ، بعد أن قال : مولاي إفادتك
هذه صحيحة ، وإنني كنت أتخيل أن الشيعة يفضلون الحسين حتى على
جدّه رسول الله ﷺ ، والآن عرفت الحقيقة ، وأشكرك على هذه
المناظرة اللطيفة ، والإفادات الطيبة التي زوّدتنا بها ، وسوف أحمل معي
أبدأ قطعة من أرض كربلاء المقدسة ، لأسجد عليها . أينما صلّيت ، كما
أنني سادع السجود على غير التراب ، ومخصوصاً التربة الحسينية ، ثم
قلت :

وأما قولك : إجراء الشيعة التعازي على الإمام الحسين عليه السلام هو
بدعة : فهذا كلام باطل فاسد ، ولا أدري لماذا تنقمون على الشيعة

بإقامتهم التعازي على شهيد الحق والإنسانية ، الإمام ابن الإمام ، حفيد الرسول ، وسلالة الزهراء البتول ، سيد الشهداء ، الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، في مصابه العظيم الذي زلزلت له أظلة العرش مع أظلة الخلائق ، والحادثة المروعة التي لم يسبقها في العالم الإسلامي ، ولا في غيره سابق ، ولا يلحقها لاحق ، إذ أنه جلل عم خطبه العظيم جميع الأمة الإسلامية حتى الجن والطير والوحش . راجع كتب المقاتل تعرف ، وبعضكم يعترض على الشيعة بأنَّ الحسين عليه السلام ، قتل منذ زمن بعيد يربو على (١٣ قرناً) فاي فائدة في البكاء عليه ، والطمع على الصدور ، والضرب بالسلاسل ، بحيث يسيل الدم .

فاعلموا أنَّ عمل الشيعة هذا هو عين الصواب .

أولاً : لو أنهم لم يستمروا على إقامة ذكرى سيد الشهداء ، لأنكرتموه كما أنكرتم يوم الغدير ، وحديثه المشهور المعترف به لدى المؤلف والمخالف ، فرواه أكثر من مائة وثمانين صحابياً ، فيهم البدري ، وغير البدري ، ومن التابعين أكثر فأكثر ، فالشيعة لم يأتوا بشيء إذا .

ثانياً : الشيعة اقتفوا أثر أئمتهم في ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فلو وقفتم على كتب الشيعة ، لما أوردتم علينا نقداً . وألفت نظركم إلى كتاب (مقدمة المجالس الفاخرة) للإمام شرف الدين ، و (إقناع اللائم على إقامة المآتم) للإمام السيد محسن الأمين العاملي رحمهما الله ، ففيهما من الحجج ما يقنع الجميع ، وانظروا أيضاً إلى (ص ٥٧٦) من (مصابيح الجنان) للحجة السيد الكاشاني ، إذ قال فيه :

«ينبغي للمسلمين إذا دخل شهر المحرم أن يستشعروا الحزن والكآبة ، وأن يعقدوا المجالس والمآتم لذكرى ما جرى على سيد الشهداء ، وأهل بيته ، والصفوة من أصحابه ، من الظلم والعدوان ، وهو أمر مندوب إليه ، ومرغب فيه ، على أن في ذلك تعظيماً لشعائر الله تعالى ، وامثالاً لأمر رسول الله ﷺ ، واقتداء بالأئمة المعصومين ، ويدل عليه ما ورد عن الرضا عليه السلام - وهو الإمام الثامن من أوصياء رسول الله ﷺ - أنه قال : كان أبي - وهو الإمام الكاظم ، الإمام السابع ، من أوصياء الرسول ﷺ - إذا دخل شهر المحرم لا يرى صاحكاً ، وكانت كآبته تغلب عليه . الحديث .

« ويستفاد منه رجحان كل ما له دخل في الحزن والكآبة ، من غير أن يشتمل على فعل محرم ، ثم قال :

« ويستحب البكاء وإجراء التعازي على سيد الشهداء ، وإسالة الدموع عليه ، لا سيما في العشر الأول من المحرم ، فإن البكاء عليه من الأمور الحسنة المندوبة ، ومن موجبات السعادة الأبدية ، والزلفى إلى المهيمن سبحانه ، ويكفي في رجحانه الأحاديث المعتبرة المروية عن الحبيب الطاهرة ، وهي كثيرة جداً نحيلك على مظانها (إلى أن قال) :

« وأما الذين يعيون الشيعة بذلك ، فلا يعبا بقولهم ، إذ أنهم حائدون عن جادة الإنصاف ، وقاسطون عن طريق الصواب ، مع هذه النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن الأئمة السلف ، خاصة عن أئمة العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام ، وهم أحد الثقلين الذين لا يفصل التمسك بهما على أن في ذلك المواساة لرسول الله ﷺ ، ووصيته أمير المؤمنين ، وابنته الصديقة فاطمة الزهراء .

« وقد اتفقت الطوائف الإسلامية ، على اختلاف مذاهبها ، على جواز التفجع لفقد الأحبة والعظماء ، جرت عليها سيرتهم العملية ، وإجماعهم ، وكان عليه السلف ، تشهد بذلك الموسوعات الضخمة المشحونة بأقوالهم وأفعالهم ، سواء في ذلك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من سائر المسلمين ، فمن راجع كتبهم يجد نصوصهم في هذا المورد كثيرة مذهبة .

« فنحن إذ نجد الأدلة العقلية والعقلية متوفرة ، نجد ذكرى مصاب سيد الشهداء ، وريحانة الرسول الإمام الحسين عليه السلام ، غير مكتثرين بالتقولات الشاذة التي لا وزن لها ، راجين بذلك من الله الثواب ، ومن رسوله الشفاعة يوم الحساب . . . » (انتهى ما جاء في « مصابيح الجنان » للكاشاني) .

ثم أيها الإخوان إن الشيعة مقتدون بسلفهم الصالح ، إذ جاء في حديث معتبر مأثور : « أن علياً زين العابدين بن الحسين عليهما السلام لما عاد من أسره ، هو ومن معه من أسارى أهل البيت عليهم السلام ، من دمشق ، جعلوا طريقهم على العراق ، ولما وصلوا كربلاء أخذ هو ومن معه في البكاء يندبون الحسين عليه السلام .

فأي بأس على الشيعة في أمثال هذه الأعمال المقدسة المحبوبة عند الله ورسوله ، والصفوة من آله ؟

لكن البأس كل البأس ، والنقد الشديد موجه عليكم ، وهو أنكم أخذتم ببدعة يزيد بن معاوية ، الطليق ابن الطليق ، إذ أنه جعل في كل سنة في العشر الأول من المحرم عيداً ، يقيم فيه الأفراح ، وينصب الزينة ، وتقام المهرجانات ، ويسميه عيد النصر والفوز ، وأشفعه ببدعة

أخرى تدلّ على خسته ودناؤه ، فإنه قد أتى بمومسة تشبه في صفتها جدته هند بنت عتبة ، فيجمع الأخشاء من بني شجرته الملعونة ، ويأتي بآلة الطرب والخمر ، وكل ما يلزمه من الأشياء ، وتعزف الموسيقى ، وتقوم تلك المرأة ذات العهر والفجور للرقص ، وأطلق عليها الحاج زينب يريد تشبيهها بعقيلة الرصي زينب الكبرى ، بطلّة كربلاء . فأَيّ الفريقين أحقّ بالأمريّا مسلمون ؟! فدعوا الشيعة وشأنهم ، فإنهم هم الفرقة التي عنها رسول الله ﷺ من الثلاث والسبعين فرقة ، لذلك اعتنقنا هذا المذهب الشريف ، وتركنا المذهب السنّي .

ولمّا وصلت إلى هنا شكرني جميع من في المجلس ، ثم قالوا : كنّا لا ندرى أنّ مذهب الشيعة هكذا ، بل كنّا نسمع عنهم بأنهم ليسوا على حق ، بل هم كفرة فجرة مشركون . فقلت : لا إنما هو كما أخبرتكم ، وستعرفون مذهب الشيعة بعد وقوفكم على كتبها ، والذنب ذنبكم في تقصيركم عن الوقوف على مؤلفات الشيعة ، ولماذا ؟ .

ثمّ إنّي أبين أنّ هذه التهم الموجهة إلى الشيعة الأبرار تبعة رسول الله ﷺ ، ووصيه أمير المؤمنين عليّ ، وذوّيته العترة الطاهرة ﷺ ، ليس لها واقع ، وإنما هي أكذوبات بحتة ، اختلقها عليهم الأثمون من أعداء المسلمين المسمين أنفسهم بالمسلمين . فعليكم أن تحجروا الحقيقة دائماً ، ولا تعتنوا بكل ما تسمعون ضد الشيعة ، دون أن تبحثوا عن واقعه وحقيقته ، وهذا ما أرجوه منكم .

ثم قاموا وودّعوني جميعهم ، وذهب كل منهم إلى محلّه ، بعد أن جاؤوا غضاباً ، فرجعوا فرحين مسرورين ، وأخيراً بلغني من بعض من أتق به أنّ بعضهم اعتنق المذهب الشريف ، مذهب أهل البيت ، والحمد لله على هذه النعمة الكبرى ، وهي ولاية أهل البيت ﷺ .

حادثة الإفتاء :

وفي اليوم الخامس من شهر ربيع الأول (عام ١٣٧٣ هـ) ، بينما أنا في مكتبي الواقع في منزلي في مدينة (حلب الشهباء) ، فإذا بشخصين قد استأذنا عليّ ، فأذنت لهما ، فدخل عليّ ، وبعد السلام والترحيب ، وبعد أن استقر بهما الجلوس ، رأيت عليهما أثر الكآبة ، فقلت : ما شأنكما ؟ فقال أحدهما للآخر : قصّ عليّ فضيلة الشيخ . فقال أحدهما : لا يخفى عليّ فضيلتكم ، أنا تلميذ في الجامعة ، وقد أخذت بمذهب أهل البيت منذ سنتين . وذلك عند وقوفي عليّ كتب الشيعة ومؤلفاتهم ، خصوصاً كتاب (المراجعات) للإمام الفقيه شرف الدين عليه السلام . ففي اليوم الماضي كنّا نتلقّى الدرس من الأستاذ في الجامعة ، فأخذ يوجّه المطاعن عليّ الشيعة ، ويكيل لهم الشتائم ، ويوجّه إلى مذهب أهل البيت نقداً ، وتنكّر عليّ الشيعة بشدة ، وحمل عليهم حملة شعواء ، لا هوادة فيها (وهو لا يعلم أنني شيعي) ومما قال :

إنّ أحاديث الشيعة كلها كذب وإفتاء عليّ رسول الله ﷺ . ورمى الشيعة بالبهتان ، فقال : إنّ الشيعة يجوزون الجمع بين تسع نسوة ، ويستدلون بالآية الشريفة ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ ويمسحون عليّ الأرجل في الوضوء بعد الغسل ، فصلاتهم باطلة ، ويتهمون عائشة بالزنا ، ويتناولون عليّ الصحابة جرأة منهم عليّ الله ورسوله .

فأخذتني الدهشة وأزعجني جداً هذا النبأ المؤلم ، وقلت : يا سبحان الله ! ما هذا التعصب الأعمى من القوم (السنة) ، ولماذا يوجهون

هذه الأكاذيب والافتراءات إلى الشيعة الأبرار ، ويفضحون أنفسهم بها ؟
ثم أخذت بالرد على هذا الأستاذ الجاهل المعاند ، وذلك على
سبيل :
● الرسالة :

« أهكذا كتبت أيها الأستاذ المرشد المتصدي لتهذيب الجيل
الجديد ؟ أهكذا تهذب طلابك ، وتعلمهم بالأكاذيب لتهذيب الجيل
الجديد ؟ أهكذا تهذب طلابك ؟ وتغريهم بسوء الأخلاق الداعية للتفرقة
بين المسلمين ، بلغني أنك في اليوم الماضي في الجامعة تعرضت في أثناء
محاضراتك على طلبتك على الشيعة الأبرار ، تبعة رسول الله ﷺ
ووصيه من بعده عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك جهلاً منك بالمذهب
الشيعة الإمامي الشريف ، فقلت : إن أحاديث الشيعة كلها كذب وافتراء
على رسول الله ، ورُميت الشيعة بالبهتان فقلت : إن الشيعة يجوزون
الجمع بين تسع نسوة ، ويستدلون بالآية ﴿ فانكحوا ما طاب ﴾ . . .
الخ ، ويمسحون على الأرجل في الوضوء بدل الغسل ، فصلاتهم باطلة ،
ويتهمون عائشة بالزنا ، ويتناولون على الصحابة جرأة منهم على الله
ورسوله !

فالعجب كل العجب منك أيها الأستاذ ، وأنت تدّعي أنك المهذب
المرشد ! فما هذا التحامل الأعمى ، والتناول الشنيع ، على مائة مليون
مسلم من أتباع رسول الله ، وأهل البيت عليه السلام ؟ فماذا عدرك عند ربك يوم
تلقاه وتبلغ القلوب الحناجر ؟ ولماذا اغتبت واتهمت المسلمين
بالأكاذيب ؟ ولم فضحت نفسك بخرافتك هذه ؟ فإن العصر عصر نور ،
والكل يعلم بأنك كذبت وافتريت ، فأليك الجواب عن فريتك على سبيل

الإختصار :

أما قولك : إنَّ أحاديث الشيعة كلها كذب على رسول الله : لا يا أستاذ ، ليس الأمر كما تزعم ، بل الأمر بالعكس ، فإنَّ الشيعة أخذوا العلم واستقوه من نمير صاف زلال ، عن النبي وشرته ، أئمة أهل البيت عليهم السلام ، الذين طهرهم الله من الرجس تطهيراً ، ليس في مذهبهم دخیل ، فكلما صتم به عليهم ، فهو فيكم ، فإنَّ روايتكم حالهم معلوم لدى الجميع ، كأبي هريرة ، وسُمرة بن جندب ، وعمران بن حطان ، رئيس الخوارج ، وعمرو بن العاص ، ومروان ، والمغيرة بن شعبة ، وغير هؤلاء من الكذابين . راجع كتاب (الغدير) للإمام الحجة المجاهد الشيخ الأميني العظيم ، فإنه عرف الأئمة عن أحوال هؤلاء الوضاهين .

وأما قولك : إنَّ الشيعة يجوزون نكاح تسع نسوة عملاً بظاهر الآية . فالجواب : إنَّ الشيعة أجلُّ قدراً ، وأرفع مقاماً ، من أن يسفوا بعقولهم المنيرة إلى هذه الخرافة ، فيعملون بحكم الآية الكريمة التي أباحت للأمة الإسلامية الزواج بأربعة من النساء عند الاستطاعة بالقيام بالعدل بين الزوجات ، فإن لم يستطع فلا يجوز له أن يتزوج بأكثر من واحدة ، فإن تمكن من إقامة العدل ، فلا بأس أن يتزوج باثنتين ، وهكذا إلى الرابعة .

ومعنى الآية : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ﴾ أي اثنين وثلاث أي : ثلاثة ، ورباع أي : أربعة ، فلا يحل له أن يتزوج بالخامسة ، إلا إذا ماتت إحداهن ، أو طلق ، وذلك بعد انقضاء عدتها . هذا ما عليه إجماع الشيعة .

وأما قولك : بأنهم يمسحون على الأرجل في الوضوء : فصحيح ،

وهو الواجب الذي أراده الله من عباده المكلفين ، وعمل به الرسول الأعظم ﷺ ، والأئمة من عترته عليه السلام ، وعلى ذلك جرى الشيعة الإمامية من يومهم إلى اليوم ، ثم إلى يوم يعشون ، لا يحيدون عن أئمتهم عليهم السلام ، وعملًا بالقرآن المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فأية الوضوء علمان يخالف أحدهما الآخر ، لأن حكم الله المنزل لا خلاف فيه . وإنما أحدث الخلاف من أخذ من كل من دب ودرج ، كخاطب ليل .

والشيعة استقوا علومهم من بحور علوم آل بيت العصمة ، من ندير صاف زلال ، وما جاء مخالفًا لأقوال الأئمة ، يضرّبون به عرض الجدار ، كأننا من كان قائله : انظروا إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ الآية .

يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين ، أمرأ لهم : أنهم حينما يقومون لأداء فريضة الصلاة ، أن يتطهروا على الكيفية التي قصّها عليهم ، فقال : ﴿ اغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ .

فالآية ناصّة بصراحة بغسل عضوين ، وهما الوجه واليدان ، ومسح عضوين ، وهما الرأس والرجلان ، وهي جملتان كل منهما على حدة ، لا علاقة لها بالأخرى .

الإهراب :

اغسلوا : فعل وفاعل ، وجوهكم : مفعول ، ومسحوا إليه ، والميم علامة الجمع . وأيديكم : عطف على الوجوه . وامسحوا : فعل أمر وفاعل على نسق ما تقدم . وبرؤوسكم : الباء حرف جر ، ورؤوس :

مجرور بها ومضاف أيضاً ، والكاف : مضاف إليه . والميم : علامة الجمع ، والأرجل : معطوفة على الرؤوس .

فإن قرئ بالجـر ، فيكون معطوفاً على اللفظ . أو بالنصب فعلى المحل ، إذ أنه لو رفعت الياء لقرئ بالنصب ليس إلا .

قال الشيخ إبراهيم الحلبي الحنفي ، صاحب حلبي كبير ، أثناء تفسيره لهذه الآية ، ما هذا لفظه : قرئ في السبعة بالنصب والجـر . والمشهور أنَّ النصب بالمعطف على الوجوه ، والجـر على الجوار . قال : والصحيح أنَّ الأرجل معطوفة على الرؤوس في القراءتين ، ونصبها على المحل ، وجرها على اللفظ .

قال : وذلك لامتناع المعطف على المنصوب ، للفصل بين العاطف والمعطوف بجملة أجنبية ، والأصل أن لا يفصل بينهما بمفرد ، فضلاً عن الجملة . قال : ولم يسمع في الفصح نحو ضربت زيداً ، ومررت بعمرو وبكراً ، بمعطف بكر على زيداً . قال : وأما الجـر على الجوار ، فلأنما يكون على قلة في التعت ، كقول بعضهم : هذا جحر ضب خرب ، بجـر خرب . أو في التأكيد كقول الشاعر :

يا صاح بلّغ ذري الحاجات كلهم أن ليس وصل ، إذا انحلت هري الذنب بجـر (كلهم) على ما حكاه الفراء . قال : وأما في عطف النسق فلا يكون ، لأنَّ العاطف يمنع المجاورة هذا كلامه . راجع (ص ١٥) والتي بعدها من كتابه المشهور بحلبي كبير المتملي في شرح منية المصلي في الفقه الحنفي ، وإن شئت فراجع :

تفسير الرازي الكبير ، حول تفسير الآية ، والطبري ، والخازن ، وغيرها ، تجد صحة ما نقول ، وكفى بذلك حجة على وجوب مسح

الأرجل ، دون غسلها في الوضوء .

وروى ابن عباس ^(١) أن الوضوء : غسلتان ومسحتان ، وقال :
أيضاً افترض الله الوضوء غسلتين ومسحتين ، ألا ترى أنه ذكر التيمم فجعل
مكان الغسلتين مسحتين ، وترك المسحتين .

وقال ^(٢) في مقام آخر : يأبى الناس إلا الغسل ، ونجد في كتاب الله
المسح .

وعن الشعبي ^(٣) قال : أما جبرائيل فقد نزل بالمسح على القدمين .
وعنه أيضاً ^(٤) قال : نزل القرآن بالمسح على القدمين . الحديث .

وعن ابن عباس أنه حكى وضوء رسول الله ﷺ فمسح على
رجليه .

وأخرج الطبراني ^(٥) ، عن عباد بن تميم ، عن أبيه ، قال : رأيت
رسول الله ﷺ يتوضأ ، ويمسح على رجليه .

أما ما روي عن سادة أهل البيت ﷺ في ذلك ، فأكثر من أن
يحصى ، فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الأهوازي ، عن فضالة ،
عن حماد بن عثمان ، وعن غالب بن هذيل ، قال : سألت أبا جعفر

(١) كنز العمال : ج ٥ ، ص ٣١٠ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، والترمذي وأبو داود والنسائي في صحاحهم ، وسعيد بن
منصور في سننه ورواه ابن أبي شيبة وغيره من أعاظم السنّة وكذا جاء في ص ١٠٣ من
الكنز .

(٣) كنز العمال : ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٤) الكنز : ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(٥) كما في أواخر ص ١٩ من كتاب المسح على الجوربين ، للشيخ محمد جمال الدين
الدمشقي .

الباقر عليه السلام ، عن المسح على الرجلين ، فقال : هو الذي نزل به جبرائيل .

وعن أحمد بن محمد ، قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، عن المسح على القدمين كيف هو ؟ فوضع بكفه على الأصابع ، ثم مسحهما إلى الكعبين . والأخبار في هذا متواترة عن سائر الأئمة من العترة الطاهرة ، فنصوص الثقلين صريحة بوجوب المسح على القدمين ، وبها أخذ الإمامية من يوم وجوب الوضوء ، ثم استمر الأمر عنهم ، وعن شيعتهم ، حتى اليوم .

فإذا جاء ما يعارض ذلك ، ضرب به عرض الجدار ، كائناً من كان راويه ، ولو وثقوه^(١) .

فالشيعة لا يأخذون برواية الرضاعين ، والطلقاء ، وأبناء الطلقاء ، والمجاهيل ، كأبي هريرة ، وسُمرة بن جندب ، وعمران بن حطان ، والمغيرة بن شعبة ، وزباد بن أبيه ، وعمر بن العاص ، ومعاوية ، ومروان ، وغيرهم ممن لا يوثق بهم لسوء سمعتهم ، ولا تغتر بدعاية عدالة الصحابة من أولهم إلى آخرهم ، فإن كلهم ليسوا بعدول كما تقدم .
فإن رجعت إلى كتب الشيعة الأبرار ، متأماً منصفاً ، وجرّدت نفسك عن العصبية العمياء ، والطائفية ، لعرفت أن الشيعة سلكوا سبيلاً مستقيماً لا عوج فيه ، ولا اعوجاج .

لهذا كثرت المطاعن عليهم من أهل الأضرار المتكالبين على الدنيا .

(١) بعض ما أورده لك في هذه الرسالة أخذنا من كتاب (أجوبة مسائل جابر الله) للإمام شرف الدين رحمه الله ص ٢٧ . فراجع .

وأما الأخبار الواردة في الغسل : فلا تخلو إما أن تكون مفتراة ،
وإما متوهم بها ، فإن رسول الله ﷺ كان يتوضأ ويمسح ، ثم يصب
الماء على قدميه تبرداً ، ولم يثبت أنه غسل قدميه في الوضوء أبداً ، طيلة
حياته .

ونحن إذا أقمنا الحجة على أخصامنا ، أخذوا يتعطلون بالنظافة
مرة ، وبالإسراف أخرى ، أو بالعموم والخصوص ، فيقولون : كل غسل
مسح ، ولا عكس ، وهي حجج واهية ، أو من من بيت المنكوبات .

فهل كان رسول الله يأمر الناس بالمسح على الأرجل القذرة
النجسة ، نعوذ بالله من الجهل ، أو كان رسول الله لا علم له بالعموم
والخصوص ، حتى أتانا قوم بعد ثلاثة قرون ، فذهبوا مذاهب تضاربت
فيها الأقوال . فيرشدون الأمة إلى أن النبي كان مخطئاً (نعوذ بالله) ، أو
أنه ترك الدين ناقصاً فأكملوه ، أو زاد فيه شيئاً فأصلحوه ، (نعوذ بالله) لا
حول ، ولا قوة ، إلا بالله العلي العظيم .

وأما حديث « ويل للأعقاب من النار » فإن صح (وهو لا يصح) ،
فهو حجة عليهم ، لا لهم ، حيث يقول : « ويل للأعقاب من النار » ولم
يقُل : « ويل لمن لم يغسل » . فقد أرشدهم إلى أن المسح لا يجوز مع
نجاسة الأرجل .

ولنا أن نسأل الراوي لهذا الحديث . وهو عبد الله بن عمرو بن
العاص ، المعروف حاله ، وحال أبيه . فنقول له : من أين عرفت المسح
لو لم يكن له سبق ؟ لأنه يروي هكذا . . غزونا مع رسول الله ﷺ
فسبقناه ، فأرھقتنا صلاة العصر ، فأخذنا نتوضأ ونمسح ، فأدركنا
رسول الله ﷺ ، فقال : « ويل للأعقاب من النار . . ثلاثاً » فالرواية

ظاهر عليها الوضع من وجوه :

الأول : إن النبي ﷺ كان على جانب عظيم من حسن الخلق ، إذ قد وصفه الله سبحانه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ولم يكن فظاً غليظاً ، فكيف يتوعدهم بالنار ، ولم يكن لهم علم بالنسخ ، حيث قالوا إنه : قد نزل عليه جبرائيل بالفلس .

وهذا القول غير سديد ، لأنه حديث رواه واحد ، وحديث الآحاد لا ينسخ القرآن ، ولا سيما المحكم منه كآية الوضوء .

الوجه الثاني : إن الراوي أتى بما سمعت أنه فزا مع الرسول ، وأخرى أنه سافر مع الرسول من مكة إلى المدينة .
وروى الحديث ، وهذا دليل على أن الرواية مفتعلة .

الوجه الثالث : هو إجماع الفرقة على المسح ، وكثير من علماء السنة قد وافقوا على أن القرآن نزل بالمسح . فلا تترك العمل بالقرآن وعمل أهل البيت ، لحديث مشكوك فيه ، بل موضوع .

فهل فيما قدمناه لك أيها الأستاذ المرشد مقنع ، وتسمع لنا أن نسألك : هل أنت من المصلين أم من التاركين ، والثاني هو الغالب على الظن ؟ وهل تعرف مذهبك الذي تؤدي العبادة به إن كنت من أهلها ، أم تجهل وهل تعرف الأحاديث الصحيح منها والمكذوب ؟

وهل عندك علم الناسخ والمنسوخ ؟

وأما قولك في عائشة : إنهم يتهمونها بالزنا ، فهذه التهمة منكم لا من الشيعة ، فالشيعة لا يتهمونها بالزنا حتى يبرؤونها ، وهاك كتب

الشيعة ، ففي أيّ كتاب من كتب الشيعة رأيت ذلك ؟ ومن أيّ عالم من علمائها سمعت ؟ سبحانك اللهم هذا وغيرها بهتان عظيم على الشيعة الأبرار .

وأما قولك : إنّ الشيعة يتناولون على الصحابة جرأة منهم على الله ورسوله ، فهذا قول زور ، فإنّ الشيعة أعطوا الصحابة كل ذي حق حقه ، إذ فيهم العالم والجاهل ، والعدل وغير العدل ، كما أمر الله تعالى عنهم - وفيهم المنافقون - .

ثم أيها الأستاذ ! إن كنت عالماً بتاريخ الشيعة والتشيع ، فما هذه الأكاذيب التي صدرت عنك وعن أمثالك ممن ليس لهم المروءة والإنصاف ؟ وإن كنت جاهلاً في ذلك كله ، فكيف تقدم على الطعن في فرقة مؤمنة تدعى الله بمذهب أهل بيت الرسول ﷺ ، وفيهم العلماء الأعلام ، والفقهاء العظام ، والحكماء والفلاسفة وقد ملأوا أرض الله الواسعة علماً وعملاً ، ولكن نقول ليس للكذوب حافظة .

وفي الختام أقدم لك نصيحة خالصة أيها الأستاذ ! سامحك الله إتق الله في نفسك ، وكف عن الخوض في أعراض المسلمين ، ودع كلاً منهم يعمل بما يدين الله به من المذاهب ، وحسابهم على الله ، ونحن في عصر عصيب ، وخطب جلل ، وإننا لفي أشد الحاجة إلى التماسك والتكاتف ، كما قد سكتنا عن كثير من المشاغبين الذين لا يعرفون عن العلم والتاريخ شيئاً ، ولا يدينون الله أبداً ، وليس لهم ضمير حر ، ومروءة وإنصاف ، وهم الذين وجهوا إلينا المطاعن ، والأكاذيب ، والتهم وسكوتنا كان حرصاً منا على حفظ الإسلام ،

والسلام على من اتبع الهدى .

محمد مرعي الأمين الأنطاكي
المعتنق لمذهب أهل البيت عليه السلام
٢٥ / ربيع الثاني / ١٣٧٩ هـ
حلب - سورية

وقد أعطيت الرسالة إلى الشخصين المذكورين ، وقلت لهما
أوصلاها إلى الأستاذ فذهبا .

وفي اليوم السابع والعشرين من ربيع الثاني ، زارني الأستاذ
المذكور في بيتي خجلاً منفعلاً عما صدر عنه ، واعتذر عن عدم إطلاعه
وعلمه بالمذهب ، وطلب مني بعض مؤلفات الشيعة ، وذلك بعد
مناظرات طويلة جرت بيننا ، فأعطيته مؤلفات الإمام شرف الدين عليه السلام ،
فاستمع منا ، وودّعنا ، وذهب إلى محله .

فبعد أسبوع أانا ثانياً حامداً شاكرأ لنا ، وأعلمنا عن أخذه بمذهب
أهل البيت عليه السلام ثم قال : لا يخفى على سماعتكم أنني أخفي أمري ،
وأكنم مذهبي ، مذهب العترة الطاهرة ، ولم أعلن بالشيعة ، وذلك لأمر
ما ، إلا أنني أقوم بالدعوة والإرشاد حسب ما يرضي الله ، ورسوله ،
والعترة الطاهرة وقد أهديته قرأناً خطياً ثميناً .

مولانا الحاج مقبول أحمد بن غصنفر علي بن مراد علي

ولد (سنة ١٢٨٧ هـ / سنة ١٨٧٠ م) في الهند وتوفى
(سنة ١٣٤٠ هـ / سنة ١٩٢١ م) في (دلهي) .

كان من مشاهير الفضلاء في (دلهي) ، وخطيباً بارعاً في الهند ،
فقد حنانَ أمه في أيام الرضاعة ، وفقد والده الرؤوف في السابعة من
عمره ، فأشرف على تربيته أخوه الأكبر حفيظ الله . وكان يسكن الأخير في
بلدة (پاني پت) في ولاية (أترپردیس) الهندية .

أنهى بعض مراحل الدراسة الرسمية هناك ، ثم جاء إلى (دلهي) ،
ودخل مدرسة « اینگلو عربك اسكول » وقد لقي اهتماماً كبيراً من قبل
مدير المدرسة الميرزا أحمد بيگ ، لجودة ذهنه ، وقوة فهمه ، إضافة إلى
بُحبه .

وقد بذل مولانا الجهد الكبير في تحصيل العلم والثقافة العامة ،
وكانت عنده رغبة شديدة في مطالعة الكتب الدينية ، وغيرها .

تلقى دروسه الدينية من مولانا السيد آفتاب حسين ، والد الخطيب

البارع السيد محمد الدهلوي فترة طويلة ، قبل استبصاره - وقبل إنه عندما ذهب إلى أستاذه المذكور لتلقي الدروس ، قال له : كيف أدرّسك ، وأنت سني المذهب ؟ فقال : أنا أحبّ ذلك ، فقبل الأستاذ تدريسه ، ودرّس عنده بعض الكتب العقائدية ، وغيرها ، ونتيجة هذه الدروس ، نشأت عنده فكرة البحث عن الحقيقة في المذاهب الإسلامية ، واختار (سنة ١٨٨٦ م) المذهب الجعفري ، وأعلنه في الجامع الكبير في (دلهي) وتحدى العالم الإسلامي بالمناظرة ، ولكن لم يأت أحد أمانته وخرج من الجامع مرتدياً زيّ العالم الشيعي .

وظل يتابع دراسته المرحلية في المدارس الرسمية والدينية ، ولكن أوقف دراسته بعد الزواج لانشغاله في شؤون الحياة العائلية ، وابتدأ في التصنيف والتأليف ، وبرز في الخطابة ، وشرع في علم الطب ، وكان يقرأ الأدعية والأوراد كثيراً .

وعندما وسّع دائرته الخطابية اشتهر في أنحاء الهند ، وباكستان ، وتغلب على خطباء (لكهنؤ) قال السيد مرتضى حسين النقوي صاحب كتاب « مطلع أنوار » : لقد سمعتُ من بعض المؤمنين أن مولانا مقبول أحمد ، عندما كان يصعد المنبر ، كان يحمل الكتب المهمة لمذهب السنة ، كالصالح السّنة ، استعداداً لأيّ حوار خلال المجلس ، وكان يحملها أيضاً حين سفره ، وكان هذا الأسلوب سبباً في شهرته بين الخاص والعام .

كان روحانياً ، وصاحب نفس طويل ، وكان يصوم ثلاثة أشهر متواصلة أحياناً ، مع ممارسة الأوراد ، والعبادات ، والروحانيات .

وعندما انتشر الوباء في بلدة (رام پور) توفي له شابان ، فتأثر

صحيحاً ، ولكنه احتسبهما عند الله ، ولم يتزعزع إيمانه ، بل ازداد رسوخاً ، وراح يمارس مهامه التبليغية والإرشادية بنشاط وحيوية بالغين حيث كان يتجول في المدن الهندية الكبيرة ، ونتيجة هذه الجولات فقد تشييع مائة نفر من قوم « آهاخان »^(١) .

وفي سنة (١٩٢١ م) تشييع ثمانون منهم آخرين . كان يسكن في (دلهي) على الأغلب مع أفراد عائلته الذين كانوا من أهل السنة والجماعة المتشدددين ، ومنهم العلماء والمثقفون الذين كانوا يفسرون القرآن بالرأي ، وكانوا يهاجمون الشيعة ، وهو يواجههم أشد المواجهة بالكتابة والخطابة ، وأيقظ النائمين من غفلتهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

وكان يتقن اللغة الانكليزية إضافة إلى اللغات المحلية المستعملة في (دلهي) ، ولهذا كان يتوהל في أي قوم أو بيعة من المسلمين وغيرهم ، لتعليم الدين الحنيف . وقد أقيمت عدة محاكم ضد الشيعة في (فيض آباد) و (جونپور) فتقدم مولانا مقبول أحمد للرد على القضية والمحامين ، واستمر في الرد حتى أفحم الخصوم وأجبرهم على إصدار حكم لمذهب الشيعة .

لقد كان هوناً وقوة للمذهب وأهله في عصره . وقد خدم المدارس الدينية مادياً ومعنوياً والمؤسسات التجارية الإسلامية للشيعة . أما خدماته العلمية من خلال التصنيف والتأليف ، فقد رتب عدة كتب مدرسية للمدارس الرسمية ، والمحوزات الدينية ، في اللغة الأردوية . وقد عُرف من مؤلفاته :

(١) آهاخان : هم طائفة من الشيعة غير اثني عشرية ، مثل الزيدية ، والاسماعيلية ، ولهم عقيدة خاصة يسكنون في (بومباي) في (الهند) ، وهم أهل الثروة والمادة .

« تهذيب الإسلام » ، ترجمة « حلبة المتقين للمجلسي » ،
« وظائف مقبول » في الأدعية والأوراد ، « ترجمة القرآن وتفسيره »
بأساليب مختلفة ، « مفتاح القرآن » وله مقالات كثيرة في الرد على التفسير
بالرأي .

قصة النصراني مع الإمام الكاظم عليه السلام

عن أحمد بن مهران ، عن محمد بن أبي علي ، عن الحسن بن راشد ، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم ، قال :

كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام ، إذ أتاه رجل نصراني ، ونحن معه في (العريض) .

فقال النصراني : أتيتك من بلد بعيد ، وسفر شاق ، وسألت ربي منذ ثلاثين سنة ، أن يرشدني إلى خير الأديان ، وإلى خير العباد ، وأعلمهم ، وأتاني آت في النوم ، فوصف لي رجلاً بـ (عليا دمشق) ، فانطلقت حتى أتيت ، فكلمته فقال : أنا أعلم أهل ديني ، وغيري أعلم مني .

فقلت : أرشدني إلى من هو أعلم منك ، فأني لا أستعظم السفر ، ولا تبعد عليّ الشقة . وقد قرأت الأنجيل كلها ، ومزامير داود ، وقرأت أربعة أسفار من التوراة ، وقرأت ظاهر القرآن حتى استوعبته كله . فقال لي العالم : إن كنت تريد علم النصرانية ، فأنا أعلم العرب والعجم بها ، وإن كنت تريد علم الإسلام ، وعلم التوراة ، وعلم الإنجيل ، وعلم

الزبور ، وكتاب هود ، وكلما أنزل على نبي من الأنبياء في دهرك ، ودهر غيرك ، وما نزل من السماء من خبر ، فعلمه أحد ، أو لم يعلم به أحد ، فيه تبيان كل شيء للعالمين ، وروح لمن استروح إليه ، وبصيرة لمن أراد الله به خيراً ، وأنس إلى الحق ، فأرشدك إليه ، فإنه لو مشينا على الرجلين ، فإن لم نقدر ، فحبواً على الركبتين ، فإن لم نقدر ، فزحفاً على إصبعك ، فإن لم نقدر ، فعلى وجهك ! فقلت : لا بل أنا أقدر على المسير في البدن والمال ، قال : فانطلق من فورك حتى تأتي (يشرب) .

فقلت : لا أصرف (يشرب) قال : انطلق حتى تأتي مدينة النبي ﷺ ، الذي بعث فيها نبي العرب ، وهو النبي العربي الهاشمي ، فإذا دخلتها ، فسل عن بني عم بن مالك بن النجار ، وهو عند باب مسجدها ، وأظهر بزة النصرانية وحليتها ، فإن واليها يشدد عليهم ، والخليفة أشد .

ثم تسأل عن بني عمرو بن مبدول ، وهو بقيق الزبير ، ثم تسأل عن موسى بن جعفر عليه السلام ، وأين منزله ، وأين هو ، مسافر أم حاضر ؟ فإن كان مسافراً فالحقه ، فإن سفره أقرب من ما ضرب إليه ، ثم أعلمه أن مطران عليا الغوطة دمشق ، هو الذي أرشدني إليك ، وهو يقرؤك السلام كثيراً ، ويقول لك : إنني لأكثر مناجاة ربي أن يجعل إسلامي على يديك ، فقص على الإمام عليه السلام هذه القصة . وهو قائم معتمد على عصاه ، ثم قال : إن أذنت لي يا سيدي كفرت لك ، أو جلست . فقال : آذن لك أن تجلس ، ولا آذن لك أن تكفر . فجلس ثم ألقى عنه برنسه .

ثم قال : جعلت فداك تأذن لي في الكلام ؟ قال : نعم ما جئت إلا له ، فقال له النصراني أردد على صاحبي السلام ، أو ما ترد السلام ، فقال أبو الحسن عليه السلام على صاحبك إن هداه الله .

فأما التسليم ، فذاك إذا صار في ديننا ، فقال النصراني : إني أسألك - أصلحك الله - قال : سل . قال : أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي أنزل على محمد ، نطق به ثم وصفه بما وصفه به ، فقال ﷺ : ﴿ حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم .. ﴾ (٤٤ : ٣) .

ما تفسرها في الباطن ، فقال : أما حم : فهو محمد ﷺ ، وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه . وهو منقوص الحروف ، وأما الكتاب المبين : فهو أمير المؤمنين ﷺ ، وأما الليلة : فعاظمه ﷺ . وأما قوله : فيها يفرق كل أمر حكيم : يقول يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ، ورجل حكيم ، ورجل حكيم ، فقال الرجل : صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال .

فقال : إن الصفات تشبه ، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله ، وأنه عندكم في الكتب التي نزلت عليكم ، إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا ، وقديماً ما فعلتم .

قال النصراني : إني لا أستر عنك ما علمت ، ولا أكذبك : وأنت تعلم ما أقول في صدق ما أقول . وكذبه ، والله لقد أعطاك الله من فضله ، وقسم عليك من نعمه ما لا يخطر الخاطرون ، ولا يستره الساترون ، ولا يكذب فيه من كذب . فقولي لك في ذلك الحق ، كما ذكرت ، فهو كما ذكرت .

فقال له أبو إبراهيم ﷺ : أعجلك أيضاً خبراً لا يعرفه إلا قليل ممن قرأ الكتب . أخبرني ما اسم أم مريم ، وأي يوم نفخت فيه مريم ؟ ولكم من ساعة من النهار ؟ وأي يوم وضعت مريم عيسى ﷺ ؟ ولكم

من ساعة من النهار ؟

فقال النصراني : لا أدري . فقال أبو إبراهيم عليه السلام : أما أم مريم : فاسمها (ميرثا) ، وهي وهبة بالعربية ، وأما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال ، وهو اليوم الذي هبط فيه الروح الأمين وليس للمسلمين عيد كان أولى منه ، عظمه الله تبارك وتعالى ، وعظمه محمد صلى الله عليه وآله ، فأمر أن يجعله عيداً ، فهو يوم الجمعة . وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم : فهو يوم الثلاثاء لأربع ساعات ونصف من النهار ، والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى عليه السلام هل تعرفه ؟ قال النصراني : لا .

قال عليه السلام : هو الفرات ، وعليه شجرة النخل والكرم ، وليس يساوي بالفرات شيء للكرم والنخيل . فأما الذي حجبت فيه لسانها ، ونادى قيذوس ولده وأشياعه فأعانوه ، وأخرجوا آل عمران ، لينظروا إلى مريم ، فقالوا لها ما قص الله عليك في كتابه ، وعلينا في كتابه .

فهل فهمته ؟ قال : نعم ، وقرأته اليوم الأحداث . قال : إذن لا تقوم من مجلسك حتى يهديك الله .

قال النصراني : ما اسم أمي بالسريانية وبالعربية ؟ فقال : كان اسم أمك بالسريانية (عنقالية) : (وعنفودة) وكان اسم جدتك لأبيك .

وأما اسم أمك بالعربية فهو (مية) . وأما اسم أبيك فعبد المسيح وهو عبد الله بالعربية ، وليس عبد الله . قال : صدقت وبررت ، فما كان اسم جدي ؟ قال : كان اسم جدك جبرائيل ، وهو عبد الرحمان ، سمّيته في مجلسي هذا .

قال النصراني : أما إنه كان مسلماً . قال أبو إبراهيم عليه السلام : نعم ،

وقتل شهيداً دخلت عليه أجناد فقتلوه في منزله غيلة ، والأجناد من أهل الشام . قال : فما كان اسمي قبل كنييتي .

قال ^{عليه السلام} اسمك عبد الصليب . قال : فما تسميتني ؟ قال : أسميك عبد الله .

قال آمنت بالله العظيم ، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرداً صمداً . ليس كما تصفه النصارى ، وليس كما تصفه اليهود ، ولا جنس من أجناس الشرك .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق فأبان به لأهله ، وعمي المبطلون ، وأنه كان رسول الله إلى الناس كافة ، إلى الأحمر والأسود ، كل فيه مشترك ، فأبصر من أبصر ، وتوازروا على الطاعة لله ، وفارقوا الباطل وأهله ، والرجس وأهله ، وهجروا سبيل الضلالة ، ونصرهم بالطاعة له ، وعصمهم من المعصية .

فهم أولياء الله ، وللدن أنصار يحشون على الخير ، ويأمرون به . آمنت بالصغير منهم والكبير ، ومن ذكرت منهم ، ومن لم أذكر ، وآمنت بالله تبارك وتعالى رب العالمين .

ثم قطع زناؤه ، وقطع صليبه الذي كان في عنقه من ذهب ، ثم قال : مرني حتى أضع صدقتي حيث تأمرني . فقال : ههنا أخ لك كان على مثل دينك ، وهو رجل من قومك ، من قيس بن ثعلبة ، وهو في نعمة كنعمتك ، فتواسيا وتجاورا ، ولست أدع أن أورد عليكما حقكما في الإسلام .

فقال : أصلحك الله إنني لغني ، ولقد تركت ثلاثمائة طروق بين فرس وفرس ، وترك ألف بعير ، فحقك فيها أوفر من حقي . فقال

له ﷺ : أنت [مولى الله ورسوله ، وأنت في حد نسبك على حالك] .
 فعحسن إسلامه وتزوج امرأة من بني فهر ، وأصدقها أبو
 إبراهيم ﷺ خمسين ديناراً من صدقة علي بن أبي طالب ﷺ ، وأخدمه
 وبوآه ، وأقام حتى خرج أبو إبراهيم ﷺ ، فمات بعد خروجه بثمان
 وعشرين ليلة^(١) انتهى .

(١) ماذا في التاريخ : ١٨٠ / ٩ . نقلًا عن (الكافي : للكليني) .

الوجه متين (برويز) البهائي

هذا العظيم يعتنق الدين الإسلامي الحنيف ، وبالخصوص مذهب الشيعة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام ، بعد تحقيق كامل في المذاهب عامة ، فيرى بحكم العقل أن الديانة الحقّة الواجبة الإلتباع اليوم ، هي الدين الإسلامي الحنيف ، وبالخصوص المذهب الإمامي الجعفري .

يقول : على أثر التحقيق الجذري الذي قمت به بمساندة بعض علماء المسلمين ، فيما يخص أصول المذاهب عامة ، تبرهنت لدي أخيراً بحكم العقل ، أن الدهانة الحقّة التي يجب اتباعها في العصر الحاضر ، هي الدين الإسلامي المقدس ، وبالخصوص مذهب الشيعة ، مذهب أهل بيت النبوة عليهم السلام .

وأما سائر الأديان والمذاهب ، فليست بلائقة لأن يعتنقها الإنسان . . ولذلك ، وبهذه المناسبة ، أبدي علاقتي القلبية ، وعقيدتي الراسخة ، في أعماق نفسي ، بالنسبة إلى المذهب الجعفري المقدس ، وأراني متظراً القدوم الزاهر لبقية الله - في أرضه - الحجّة المنتظر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام (عجل الله فرجه) ، وأضرع إلى الله

تعالى أن يهدي الضالين ، ولا سيما البهائيين من الإيرانيين ، إنه ولي
التوفيق^(١) .

(١) مجلة نور دانش ، العدد ٧ ، عام ١٣٤٢ هـ . معرب عن جريدة (نداي حق) الطهرانية ،
العدد (٤٣١) عام ١٣٨١ هـ .

يوسف عادل شاه

هو مؤسس عاصمة دولة (بيجاپور) في الهند ، وقد دخل عاصمة البهمنية والبدأ من إيران ، وهو شاب ، وكان من مخلصي السلطان حيدر الصفوي . والد الشاه إسماعيل ، رأس الدولة الصفوية ، فتقرّب بحذقه وحسن رأيه من الملك نظام شاه البهمني ، حتى ارتفع عنده ، وعزّ لديه . بل وبلغ من الجلالة والشرف أن أحد أولاد الملوك البهمنية تزوج ابنته الصغيرة « سني بي بي » .

ولما أخذت تستقل عمال البهمنية فيما تحت أيديهم من البلاد ، نشر يوسف لواء الاستقلال على « بيجاپور » ، وكان قائده العزم والثبات والنشاط .

وفي بدء استقلاله وافته الأنباء بأن الشاه إسماعيل الصفوي خطب في إيران بأسماء الأئمة الاثني عشر عليه السلام ، وأعلن بأن المذهب الرسمي في إيران هو المذهب الجعفري ، وسعى حثيثاً لترويجه . فارتاح لذلك يوسف عادل شاه ، وقويت عزيمته على الخطبة يوم الجمعة بأسماء الأئمة الإثني عشر ، وأضاف إلى الأذان الشهادة لعلي بالولاية ، وذلك

(سنة ٩٠٤هـ) وهو أول من اقترح الخطبة بأسماء الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ،
في الهند ، وسعى لترويج التشيع فيها .

ثم أرسل العالم الجليل « السيد أحمد الهروي » إلى الشاه إسماعيل
مستنجداً به ، فوعده بالنصر ، فكان هذا الوعد إمضاءً لعزمته ، وتعزيزاً
لقواه وإماتة لقوى أعدائه . فكانت أعماله متوالية في خدمة مذهب أهل
البيت عليهم السلام ، وترويج معارفهم ، إلى أن لقي ربه .

ثم ملك من بعده ابنه الشاه إسماعيل عادل شاه ، وكان أرسخ قدماً
في التشيع من أبيه ، ولقد قهر جنده على لبس القلائس الإثني عشرية ،
وهي تحتوي على إثنتي عشرة زاوية . وكان ذلك شعار الصفوية في
التشيع ، رمزاً إلى أنهم ينتمون إلى الأئمة الإثني عشر في المذهب وأمر
بإعلان البراءة من أعداء آل محمد عليهم السلام ، في جميع شوارع
العاصمة « بيجاپور دكن » وسككها .

ثم قام من بعده ابنه إبراهيم عادل شاه ، ولكنه أظهر التسنن ،
فأسقط من الأذان الشهادة لعلي بالولاية ، ومن الخطبة أسماء الأئمة
الإثني عشر عليهم السلام ، ومات وبه عاهات عديدة .

ثم ملك من بعده علي عادل شاه ، وقبل أن يقبض على أزمة
الحكم حيث كان أبوه على فراش المرض أذن على طريقة الشيعة . وكان
هذا بفضل العالمين الجليلين الشهيدين الخواجة عناية الله الشيرازي ،
والملا فتح الله الشيرازي لأنهما كانا القائمين بتربيته ، الغارسين في قلبه
حب أهل البيت ، والولاية لهم وهذا هو السبب لقتل إبراهيم أبوه - عادل
شاه - لهذين المعلمين ، وقتله لهما لم يشن ولده علياً عما حمله بين
أضلاع من ولاء آل محمد عليهم السلام ، وكان أبوه قد أبعده إلى قلعة (مرج)

بعد قتل ذينك المجاهدين ، وجعل عليه الحرس والعيون .

ولما بلغ أباه أذانه بالشهادة لعلي بالولاية ، حاول أن يعهد لابنه الأصغر « طهماسب » بولاية الأمر ، ولكنه علم أيضاً أنه هوألي أهل البيت عليه السلام .

ولما قبض عادل شاه على أئمة الأمراء ، عاد الصلات الوُدّية مع الدولة الصفوية . وقد استرجع ما اختصب من ممالك العادل شاهية ، بعد حروب كان المظفر الموفق فيها ، فكان هذا نهجه في التشيع ، وتلك انتصاراته وهاتيك شوكرته وقوته ، إلى أن قتل عام (٩٧٤ هـ) .

فقام من بعده ابنه إبراهيم عادل شاه الثاني ، وكان غلاماً حدث السن ، فقضت عليه واستولت على بلاده الملوك المغولية في (دلهي) وبه انقرضت الدولة العادل شاهية ^(١) .

(١) تاريخ الشبّة : ص ٢٣٣ ، للشيخ المظفر .

يهودي من يهود الشام

روي عن الإمام موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، عن الحسين بن علي عليه السلام ، قال : إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم ، كان قد قرأ التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف الأنبياء عليهم السلام ، وعرف دلائلهم .

جاء إلى المجلس الذي فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهم ، فقال : يا أمة محمد ! ما تركتم لنبي درجة ، ولا المرسل فضيلة إلا أنحلتموها نبيكم ، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه ؟ فتوقف القوم ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : نعم ما أعطى الله نبياً درجة ولا مرسل فضلاً إلا وقد جعلها لمحمد صلى الله عليه وآله ، وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة .

فقال له اليهودي : فهل أنت مجيبي ؟

قال عليه السلام له : نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما يقر الله به أمين المؤمنين . ويكون فيه إزالة شك الشاكين في فضائله صلى الله عليه وآله .

إنه كان إذا ذكر لنفسه فضيلة قال : « ولا فخر » ، وأنا أذكر لك فضائله غير مزر بالأنبياء ، ولا منتقص لهم ، ولكن شكراً لله على ما أعطى محمداً ﷺ ، مثل ما أعطاهم ، وما زاده الله ، وما فضله عليهم .
قال اليهودي : إني أسألك فأعد له جواباً . قال له علي عليه السلام : هات .

قال اليهودي : هذا آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكة ، فهل فعل لمحمد شيئاً من هذا ؟

فقال عليه السلام : لقد كان كذلك . . ومحمد ﷺ ، أعطي ما هو أفضل من هذا ، إن الله عز وجل صلى عليه في جبروته ، والملائكة بأجمعها ، وتعبد المؤمنون بالصلاة عليه ، فقال عز وجل :

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ (١) .

فهذه زيادة له يا يهودي .

قال اليهودي : فإن آدم عليه السلام تاب الله عليه بعد خطيئته . .

قال عليه السلام : لقد كان كذلك . ومحمد ﷺ ، نزل فيه ما هو أكبر من هذا ، من غير ذنب أتى ، قال الله تعالى :
﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ (٢) .

إن محمداً ﷺ ، غير مواف يوم القيامة بوزر ، ولا مطلوب فيها بذنب .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٣ .

قال اليهودي : فإن إدريس رفعه الله عز وجل ، مكاناً عليّاً ، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته .

قال عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، أعطي ما هو أفضل من هذا ، إن الله جل ثناؤه قال فيه : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ^(١) .

فكفى بهذا من الله رفعة ، ولئن أطعم إدريس من تحف الجنة بعد وفاته ، فإن محمداً أطعم في الدنيا في حياته : بينما يتضور جوعاً ، فأتاه جبرائيل عليه السلام بجام من الجنة فيه تحفة ، فهلل الجام ، وهللت التحفة ، فناولها أهل بيته . . .

وقال له : كلها فإنها تحفة من الجنة أنحكفك الله بها ، وإنها لا تصلح إلا لنبي ، أو وصي نبي . فأكل منها ﷺ ، وأكلنا معه ، وإنني لأجد حلاوتها ساعتني هذه .

قال اليهودي : فهذا نوح عليه السلام صبر في ذات الله تعالى ، وأعذر قومه إذ كُذّب .

قال عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، صبر في ذات الله عز وجل ، فأعذر قومه إذ كُذّب وشُرد ، وحصب بالحصى ، وعلاه أبو لهب بسلا ناقة وشاة ، فأوحى الله تعالى إلى ملك الجبال : أن شق الجبال ، وأنته إلى أمر محمد ، فأتاه فقال : إنني بالطاعة ، فإن أمرت أن أطبق الجبال عليهم ، فأهلكتهم بها ! فقال ﷺ :

إنما بعثت رحمة للعالمين رب اهد أمّتي فإنهم لا يعلمون .

(١) سورة الشرح ، الآية : ٤ .

ويحك يا يهودي إن نوحاً لما شاهد غرق قومه ، رقى عليهم رقة
القرابة شفقة ، فقال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ .

فقال الله تعالى :

﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ ^(١) .

قال اليهودي : فإن نوحاً دعا ربّه فهطلت السماء بماء منهمر .

فقال ﷺ : لقد كان كذلك ، وكانت دعوته دعوة غضب ،
ومحمد ﷺ ، هطلت له السماء بماء منهمر ، رحمة ، وذلك
أنه ﷺ ، لما هاجر إلى المدينة ، أتاه أهلها في يوم الجمعة ، فقالوا
له : يا رسول الله ، احتبس المطر ، واصفرّ العود ، وتهافت الورق ،
فرفع يده المباركة حتى رأى بياض إبطه . وما ترى في السماء سحابة ، فما
برح حتى سقاهم الله حتى أن الشاب المعجب بشبابه لهفته نفسه في
الرجوع إلى منزله ، فما يقدر على ذلك من شدة السيل ، فدام أسبوعاً ،
فأتوه في الجمعة الثانية ، فقالوا : يا رسول الله تهذمت الجدر ، واحتبس
الركب والسفر ! فضحك ﷺ ، وقال : هذه سرعة ابن آدم .

ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم في أصول الشيع ، ومراتع
البقع . فرأى حوالى المدينة المطر يقطر قطراً ، وما يقع بالمدينة قطرة
لكرامته ﷺ ، على الله عز وجل .

قال اليهودي : فإن هذا هود ، قد انتصر الله له من أعدائه بالريح ،
فهل فعل محمد ﷺ ، شيئاً من هذا ؟

قال له علي ﷺ : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، أعطي ما هو

(١) سورة هود ، الآية : ٤٦ .

أفضل من هذا . إن الله عز وجل قد انتصر له من إعدائه بالريح ، يوم الخندق ، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرو الحصى ، وجنوداً لم تروها ، فزاد الله تعالى محمداً ﷺ ، بشمانية آلاف ملك ، وفضله على هود ، بأن ريح عاد ريح سخط ، وريح محمد ريح رحمة ، قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ (١) .

قال اليهودي : فهذا صالح أخرج الله له ناقة لقومه عبرة .

قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، أعطي ما هو أفضل من ذلك . إن ناقة صالح لم تكلم صالحاً ، ولم تشهد له بالنبوة . ومحمد ﷺ ، بينما نحن معه في بعض غزواته ، إذ هو ببعير قد دنا ، ثم رغا فأنطقه الله تعالى .

فقال : يا رسول الله إن فلاناً استعملني حتى كبرت ، يريد نحري . فأننا استعبد بك منه . فأرسل رسول الله ﷺ ، إلى صاحبه فاستوبه منه ، فوهبه له وخلاه .

ولقد كنا ، وإذا نحن بأعرابي معه ناقة له يسوقها ، وقد استسلم للقطع لما زور عليه من الشهود ، فنطقت الناقة ، فقالت : يا رسول الله ! إن فلاناً مني بريء ، وإن الشهود يشهدون عليه زوراً ، وإن سارقي فلان اليهودي .

قال اليهودي : فإن إبراهيم عليه السلام قد أسلمه قومه إلى الحريق ، فصبر ، فجعل الله تعالى عليه النار برداً وسلاماً ، فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك ؟

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٦ .

قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، لما نزل بخير سمته الخيرية ، فصبر الله السم في جوفه برداً وسلاماً ، إلى منتهى أجله . فالسم يحرق إذا استقر في الجوف ، كما أن النار تحرق ، فهذا قدرته لا ننكره .

قال له اليهودي : فإن هذا يعقوب عليه السلام أعظم في الخير نصيبه ، إذ جعل الأسباط من سلالته ، ومريم بنت عمران من بناته .

قال عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ أعظم في الخير نصيباً ، إذ جعل فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته ، والحسن والحسين من حفدته ، والأئمة الطاهرة من ذريته .

قال اليهودي : فإن يوسف قاسى مرارة الفاقة ، وحبس في السجن توقياً للمعصية .

قال عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، قاسى مرارة الفاقة ، وفراق الأهل والأولاد ، وهاجر من حرم الله تعالى . . . ولئن كان يوسف عليه السلام حبس في السجن ، فلقد حبس رسول الله ﷺ نفسه في الشعب ثلاث سنين ، وقطع منه أقاربه . .

فقال اليهودي : فهذا موسى بن عمران آتاه الله التوراة التي فيها حكمة .

قال عليه السلام : فلقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، أعطي ما هو أفضل منه : أعطي محمد سورة البقرة ، وسورة المائدة بالإنجيل . والطواسين وطه والحواميم بالتوراة . وأعطي نصف المفازل ، والتسابيح بالزبور . وأعطي سورة بني إسرائيل والتوبة بصحف إبراهيم وموسى عليه السلام . وزاد

الله عز وجل محمداً السبع الطوال ، وفاتحه الكتاب ، والقرآن العظيم .
وأعطي الكتاب والحكمة .

قال اليهودي : فإن موسى نجاه الله على طور سيناء .

قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ولقد أوحى الله إلى محمد ﷺ ،
عند سدرة المنتهى ، فقامه في السماء محمود ، وعند منتهى العرش
مذكور .

قال اليهودي : فلقد ألقى الله على موسى المحبة منه .

قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، وقد أعطي محمد ﷺ ، ما هو
أفضل من هذا ، لقد ألقى الله محبة منه ، فمن هذا الذي يشركه في هذا
الإسم ، إذ أتم الله به الشهادة ، فلا تتم الشهادة إلا أن يقال : (أشهد أن
لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) ينادى به على المنابر فلا يرفع
صوت بذكر الله إلا رفع بذكر محمد ﷺ ، ومعه .

قال اليهودي : فهذا داود عليه السلام قد لبت الله له الحديد ، فعمل منه
الدروع .

قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، قد أعطي ما هو
أفضل من هذا إنه لين الله له الصم الصخور الصلاب ، وجعلها خاراً ،
ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لبينة حتى صارت كهيفة
العجين ، وقد رأينا ذلك والتمسناه .

قال اليهودي : فإن هذا سليمان أعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من
بعده !

قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، أعطي ما هو

أفضل من هذا ، إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله وهو : ميكائيل ، فقال له : يا محمد ! عش ملكاً منعماً ، وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك ، ويسير معك جبالها ، ذهباً وفضة ، ولا ينقص لك مما أدخر في الآخرة شيء .

فأوماً إلى جبرائيل - وكان خليله - فأشار أن تواضع ، فقال له : بل أعيش نبياً عبداً ، أكل يوماً ، ولا أكل يومين ، والحق بأخواني من الأنبياء ، فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر ، وأعطاه الشفاعة ، وذلك أعظم من ملك الدنيا ، من أولها إلى آخرها ، سبعين مرة . . فهذا أفضل مما أعطي سليمان .

قال اليهودي : هذا يحيى بن زكريا عليه السلام يقال : إنه أوتي الحكم صبياً .

فقال عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد عليه السلام ، أعطي ما هو أفضل من هذا . إن يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ، ولا جاهلية . ومحمد عليه السلام أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، فلم يرغب لهم في صنم قط .

قال اليهودي : فإن هذا عيسى بن مريم يزعمون أنه : تكلم في المهد صبياً .

قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد عليه السلام ، سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض ، رافعاً يده اليمنى إلى السماء ، يحرك شفثيه بالتوحيد . . .

قال اليهودي : فإن عيسى يزعمون : إنه كان زاهداً .

قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ومحمد ﷺ ، أزهـد
الأنبياء ﷺ ، كان ما رفعت له مائدة قط عليها طعام ، ولا أكل خبز برّ
قط ، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط .

وتوفي رسول الله ﷺ ، ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة
دراهم ، وما ترك صفراء ولا بيضاء ، مع ما وطئ له من البلاد ، ومكّن له
من الغنائم .

ولقد كان يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف
- درهم - ويأتيه السائل بالعشي فيقول : والذي بعث محمداً بالحق ، ما
أمسى في آل محمد صاع من شعير ، ولا صاع من بر ، ولا درهم ، ولا
دينار .

قال اليهودي : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً
رسول الله ، وأشهد أنه ما أعطى الله نبياً درجة ، ولا مرسلأ فضلاً ، إلا
وقد جمعها للمحمداً ﷺ ، وزاد محمد على الأنبياء ، وأضاف
درجات .

قال ابن عباس لعلي عليه السلام : أشهد يا أبا الحسن أنك من الراسخين
في العلم .

فقال عليه السلام : ويحك وما لي لا أقول ما قلت في من استعظمه الله .
تعالى في عظمته ، فقال عز وجل :
﴿ وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) .

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ ، نقل النص من الاحتجاج للشيخ الطبرسي : ١ / ٣٣٥ .

يهودي ، وابنته ، وخمسمائة آخرون

ورد في (البحار)^(١) عن يهودي وابنته المريضة ، وخمسمائة آخرين بأنهم استبصروا على الكيفية التالية :

روي من طريق أهل البيت عليهم السلام أنه لما استشهد الحسين عليه السلام ، بقي في كربلاء صريعاً ، ودمه على الأرض مسفوحاً ، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتمسح بدمه ، وجاء والدم يقطر منه ، فرأى طيوراً تحت الظلال على الغُصون والأشجار ، وكلٌّ منهم يذكر الحَبَّ والعلف والماء ، فقال لهم ذلك الطير المتلطف بالدم : يا ويلكم ! أنشغلون بالملاهي ، وذكر الدنيا والمناهي ، والحسين في أرض كربلاء ، في هذا الحرِّ ، ملقى على الرَّمضاء ، ظامئ مذبوح ، ودمه مسفوح ؟

فعادت الطيور كلٌّ منهم قاصداً كربلاء ، فرأوا سيِّدنا الحسين عليه السلام ملقى في الأرض ، جثة بلا رأس ، ولا غسل ، ولا كفن ، قد سفت عليه السواقي ، ويدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها زُرَّاره وحوش القفار ، وندبته جنُّ السهول والأوعار ، قد أضاء التراب من أنواره ،

(١) ج ٤٥ ، ص ١٩١ .

وأزهر الجوّ من أزهاره .

فلَمَّا رآته الطيور ، تصايحن وأعلنن بالبكاء والتّبور ، وتواقعن على دمه يتمرّغن فيه ، وطار كلُّ واحد منهم إلى ناحية ، يُعلم أهلها عن قتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

فمن القضاء والقدر أنّ طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرّسول ، وجاء يرفرف والدّم يتقاطر من أجنحته ، ودار حول قبر سيّدنا رسول الله ، يعلن بالنداء : ألا قتل الحسين بكربلاء ، ألا ذبح الحسين بكربلاء ! فاجتمعت الطيور عليه وهم يبكون عليه ، وينوحون .

فلَمَّا نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النوح ، وشاهدوا الدّم يتقاطر من الطير لم يعلموا ما الخبر ، حتّى انقضت مدّة من الزمان ، وجاء خبر مقتل الحسين ، علموا أنّ ذلك الطير ، كان يخبر رسول الله بقتل ابن فاطمة البتول ، وقرّة عين الرّسول .

وقد نقل أنّه في ذلك اليوم الَّذي جاء فيه الطير إلى المدينة ، كان في المدينة رجل يهودي ، وله بنت عمياء ، زمنا ، طرشاء ^(١) مشلولة ، والجذام قد أحاط ببدنها ، فجاء ذلك الطائر ، والدّم يتقاطر منه ، ووقع على شجرة يبكي طول ليلته ، وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان ، وتركها في البستان الَّذي جاء الطير ، ووقع فيه ، فمن القضاء والقدر أنّ تلك الليلة عرض لليهودي عارض ، فدخل المدينة لقضاء حاجته ، فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المشلولة ، والبت لمّا نظرت أباه ، لم يأتها نوم لوحدها لأنّ أباه كان يحدثها ، ويسلّيها ، حتّى تنام .

(١) مونث أطرش، وهو الأصم الذي تعطلت آلات سمعه .

فسمعت عند السَّحَر بكاء الطير وحنينه ، فبقيت تتقلب على وجه الأرض إلى أن صارت تحت الشجرة التي عليها الطير ، فصارت كلما حزن ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون ، فبينما هي كذلك إذ وقع قطرة من الدَّم ، فوقعت على عينها ففتحت ، ثم قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرأت ، ثم قطرة على يديها فعوفيت ، ثم على رجليها فبرأت ، وعادت كلما قطرت قطرة من الدَّم تلتطع به جسدها ، فعوفيت من جميع مرضها ، من بركات دم الحسين عليه السلام .

فلما أصبحت ، أقبل أبوها إلى البستان ، فرأى بنتاً تدور ، ولم يعلم أنها ابنته ، فسألها أنه كان لي في البستان ابنة علية ، لم تقدر أن تحرك ، فقالت ابنته : والله أنا ابنتك ، فلما سمع كلامها ، وقع مغشياً عليه ، فلما أفاق قام على قدميه ، فأتت به إلى ذلك الطير ، فراه وكرأ على الشجرة ، يئن من قلب حزين محترق ، مما رأى مما فعل بالحسين عليه السلام .

فقال له اليهودي : أقسمت عليك - بالذي خلقك أيها الطير ! - أن تكلمني بقدرة الله تعالى ، فنطق الطير مستعبراً ، ثم قال : إني كنت وكرأ على بعض الأشجار ، مع جملة الطيور عند الظهيرة ، وإذا بطير ساقط علينا ، وهو يقول : أيها الطيور تأكلون وتنعمون ، والحسين في أرض كربلاء ، في هذا الحر ، على الرمضاء طريحاً ظامئاً ، والنحر دام ، ورأسه مقطوع ، على الرُمح مرفوع ، ونساؤه سبايا ، حفاة عرايا ، فلما سمعن بذلك تطايرن إلى كربلاء ، فرأيناه في ذلك الوادي طريحاً : الغسل من دمه ، والكفن الرمل السافي عليه ، فوقعنا كلنا عليه ننوح ونتمرغ بدمه الشريف ، وكان كل منا طار إلى ناحية ، فوقعت أنا في هذا المكان .

فلَمَّا سَمِعَ الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ تَعَجَّبَ وَقَالَ : لَوْ لَمْ يَكُنِ الْحُسَيْنُ ذَا قَدَرٍ
رَفِيعٍ عِنْدَ اللَّهِ ، مَا كَانَ دَمُهُ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، ثُمَّ أَسْلَمَ الْيَهُودِيُّ وَأَسْلَمَتِ
الْبَنْتُ وَأَسْلَمَ خَمْسَمِائَةٍ مِنْ قَوْمِهِ .

الثالثة

بعد الإطلاع على أحوال المستبصرين ، تبينت المعاناة والمصائب التي تحملوها في سبيل الله ورسوله ، والأئمة المعصومين عليهم السلام ، فإنهم يستحقون أن يُحى ذكْرهم ، لما قَدَّموا في سبيل إحياء الإسلام وتعاليمه ، إنهم بايعوا الله ورسوله وعترته المعصومين عليهم السلام ، وفتحوا باب التحقيق ، والجرأة للآخرين .

فعلى القارىء ! أن يمعن النظر في مواقفه وقناعاته المسلكية الدينية ، وينزع رداء التعصب حتى يتوفق إلى الهداية ، فليَنصِف تجاه مذهبه كي يتحقق المطلوب .

إنني لا أدعوه إلى أن يترك مذهبه المتمسك به ، ولكن أُلْتِ نظرة إلى التفكير والتعمق فيما اختاره المستبصرون ! هل كان اختيارهم من الباطل والضلال إلى الحق والهداية ، أو العكس ؟ فإذا اطلعت جيداً على أحوالهم ، وكنت على غير ما اختاروه ! فكيف لا تتحرك نفسك تجاه التحقيق ؟ لتعرف ! هل الحق مع المستبصرين أو معك ؟

فانتبه إن الحياة فرصة للإنسان ولا يجوز تركها خوفاً من القوم والمجتمع ، أو تكون ضحية للبغض والعناد .

أيها القارئ العزيز ! عليك الغريبة والتمحيص ، والتحقيق والتدقيق ، في سبيل اختيار الدين الحق بالأدلة والبراهين ، فلما تؤيد عقيدتك ، أو لا ! فإذا أيدت الأدلة عقيدتك ، زدت قناعة أكثر فأكثر ، وإلا فعليك إعادة النظر في العقيدة التي تحملها ، لأنها مسؤولية كبيرة أمام الله (سبحانه وتعالى) .

إن بعض التراجم المذكورة في كتابي هذا ، هي المصدر الوحيد في اللغة العربية ، ولم تذكر في أي كتاب من الكتب العربية ، لأنها أخذت من الكتب الأردوية ، مثل « مطلع أنوار » طبع باكستان للسيد مرتضى حسين النقوي و « إثبات حق » لعبد الرزاق البشاوري الباكستاني الحنفي المذهب سابقاً ، وقد بذلت جهدي في أخذ تراجم العلماء والمثقفين وممن لهم مصنفات ومؤلفات ، أو لهم موقع في المجتمع ، وعندهم أدلة وبراهين لاختيار المذهب الجعفري .

أما العوام الذين استبصروا باستبصار العلماء والمثقفين ، أو عاطفة للأئمة المعصومين عليهم السلام ، فهم كثيرون ، وإن إحصاءهم يكلف الباحث أن ينفق زمناً طويلاً من عمره في البحث وتأليف عدة كتب ضخمة الحجم ، وليس بوسعنا ذلك .

وأحب أن أشير إلى أن هناك شخصيات مرموقة ، لهم موقع علمي وسياسي واجتماعي وثقافي ، استبصروا ما بينهم وبين الله ، ولا تسمح ظروفهم أن يعلنوا ما اختاروه ، والأيام الآتية تكشف النقاب عن ذلك .

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون ﴿ ١١ ﴾ .

إخواني القارئ الكرام ! ولئن مرّت بعض أخطاء آسف لعدم التنبّه إليها ، فإنّ حسن التعبير في أي لغة حق لأهلها ، فأطلب الصفح والعفو فإنّ العصمة لله وحده ، ولمن اختاره من عباده ، وأنّ يبتّهوني إلى الأخطاء إنّ وردت فأكون شاكراً لهم ، وأسأل الله تعالى أن يعصمنا بحق محمد وآله من الهفوات والعثرات ، فهو مقبل العثرات ، وأنّ يوفّقنا جميعاً للصواب والصلاح ، إنه ولي الإجابة والتوفيق .

(١) سورة التوبة، الآية : ٣٢ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥ :
مقدمة	٩
الشيعة - معنى الشيعة	١٥
- متى ابتدا التشيع	١٧
- عقيدة الشيعة	١٨

المستبصرون

أبا ذر (ابوان) المسيحي الكاثوليكي	٢٣
مولانا أحمد حسين خان	٢٧
السيد أحمد حسين شاه بن سرفراز علي	٢٩
الشيخ أحمد دهبندي كبير علماء السنة	٣١
الشيخ أحمد أمين الأنطاكي	٣٣
- كتاب «في طريق إلى التشيع»	٤١

٤٥	إمداد إمام
٤٧	أمير الدين
٤٩	أمير محمد ثونسوي
٥١	بركة على شاه
٥٣	برهان نظام شاه
٦١	(ر. ج. فلورز) قسيس بريطاني
٦٥	حبیب الله جهانکيري البهائي
٦٧	الحمر بن يزيد الرياحي
٨١	حسن روشنيان البهائي
٨٣	وارثون كيراسي الفرنسي
٨٩	حمد الله السنديلي الهندي
٨٩	حيدر علي السنديلي الهندي
٩١	السيدة خاور يزداني البهائية
٩٣	خضر خضر العموري
١٠١	الشيخ خليل إبراهيم هاشم
١١٣	الراهب والراهبة مع الإمام الكاظم (ع)
١١٩	راهب نصراني
١٢٣	سلمان الفارسي
١٣١	شيخ الأزهر: سليم البشري
١٣٩	مولانا الحافظ سيف الله اللدهياني الهندي
١٤٣	الشيخ صدر جهان المعروف بـ (ميان زنكرو)
١٤٥	طاهر شاه دكني

١٤٧	 طوني أبي غانم
١٤٩	 عبد القوي لكهنوي
١٥١	 مولانا عبد الرزاق اليشاوري
١٥٥	 عبد الشمس النصراني
١٥٩	 الأستاذ عباس جنيد البهائي
١٦١	 علي أكبر عباسي البهائي
١٦٣	 كروب هوناتيان المسيحي الأرمني
١٦٧	 الأستاذ ويرنر الفريد المسيحي الألماني
١٦٩	 غلام شاه الباكستاني
١٧٣	 كاكا كيلا وكاكي كيللي الهندوسيان
١٧٧	 كل ما في مسرا البرهمي
١٨٥	 محمد إسماعيل ديونبدي الهندي
١٨٧	 شانتال الفرنسية
١٩٣	 مونتسدادت روفيرا الإسبانية
١٩٩	 ماري بوايو الإسبانية
٢٠٧	 ماري ستاينهوف الأميركية
٢١٣	 نيكول النيروث الأسترالية
٢١٩	 روزاريو باسكوني الإيطالي
٢٢٥	 جون هولت البريطاني
٢٤١	 إسماعيل عبد الله الأفريقي
٢٥٣	 روجر ريف البريطاني
٢٦١	 البرفسور دونالد ريكيفول الأمريكي

٢٦٥	ستريد سمارت الأمريكي
٢٧١	فاضلة الفرنسية
٢٧٧	ماريا سلفادور الإسبانية
٢٨٥	زينب كسالس الإسبانية
٢٩١	ماريون الأمريكية
٢٩٧	تيري دو بومون الفرنسي
٣٠٥	البرفسور ناشكانتا بادهييا الهندي
٣٠٩	د محمد التيجاني السماوي التونسي
٣٦٥	ديوانه سنكه الهندي
٣٦٧	محمد عمر خان الهندي
٣٦٩	محمد يار
٣٧١	الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي
٤٢٧	مولانا الحاج مقبول أحمد الهندي
٤٣١	قصة النصراني مع الإمام الكاظم (ع)
٤٣٧	الوجه متين برويز البهائي
٤٣٩	يوسف عادل شاه
٤٤٣	يهودي من يهود الشام
٤٥٣	يهودي وابنته وخمسمائة آخرون
٤٥٧	الخاتمة